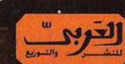
"أغرب حكايات الكرة وأبطالها"

جنون المستديرة

خوان بيورو

ترجمة: محمد عثمان خليفة



خوان بيورو

جنون المستديرة

أغرب حكايات الكرة وأبطالها

ترجمة: محمد عثمان خليفة



بطاقة فهرسة

بيورو، خوان

جنون المستديرة/ خوان بيورو؛ ترجمة محمد عثمان خليفة.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2018.

ص، سم.

تدمك 9789773194048

1- كرة القدم.

أ- العنوان 796,028

عندما يتحدث الأدب عن كرة القدم

استعراض طريف لتاريخ بطولة كأس العالم..

من زاوية جديدة تمامًا..

مقدمة المترجم

ربما كان كتاب أمريكا اللاتينية أول من أقام تلك العلاقة الفريدة على الورق بين الأدب وكرة القدم. وربما لا يعرف كثيرون أن أسماء مثل "جابرييل جارسيا ماركيز" و"ماريو فارجاس ليوسا"؛ الحائزان على جائزة نوبل في الأدب، قد بدآ مشوار الكتابة بمقالات كانا يسطِّرانها شغفًا بكل المتعة والإثارة التي كانت تدور أمامهما في الحلبة الخضراء. وكاتبنا "خوان بيورو" أحد أشهر أدباء المكسيك، فهو روائي وقصاص ومترجم إلى الإسبانية أعمالًا لأسماء منها "جراهام جرين" و"جوته" و"ترومان كابوتي". وفي هذا الكتاب، يقدم لنا رحلة في عالم المستديرة تتخذ أكثر من مسار زماني ومكاني فريد، يرى من خلاله اللعبة بعين الأديب، ويقص علينا نوادرها بروح

وشغف مشجع سكن المدرجات لأعوام طويلة. ينغمس "بيورو" في الأعماق النفسية والوجدانية لما تمثله اللعبة للعالم أجمع، ومعنى أن تكون مشجعَ كرة قدم حقيقيًا. وهو يدفعك دفعًا إلى أن تقوم بمزيد من البحث في أسرار المستطيل الأخضر وكرته المجنونة. فهو أمضى حياته مشجعًا مخلصًا للعبة، وأهدانا هذه التحفة الأدبية في محاولة منه لتخليد مشاعره نحوها.

لن تجد محور الكتاب حكاية نادي، أو ملحمة نجم كروي، أو قصة انتصار في كأس العالم، بل هو جماع كل ذلك، وأكثر. لماذا كان اللاعب "الأشول" أشد موهبة وذكاءً من غيره من اللاعبين؟ لماذا يصر مشجع على إخلاصه وولائه وتشجيعه لنادٍ بعينه، حتى وإن خيب آماله موسمًا بعد موسم؟ هل يسبق التفكير التمرير والتسديد أم أن اللاعب في تلك اللحظة لا يفكر في أي شيء؟ هل صار "الإخلاص للفانلة" ضربًا من المستحيلات؟

يرى "بيورو" أن الرياضة صورة راقية من صور الشغف، وتفريغ للشحنات العاطفية الوجدانية في مجتمعاتنا المعاصرة. وهو يخرج كل طاقاته في أنماط التشجيع؛ الأولتراس، العنف، الهتافات، وبقية أشكال تفريغ الطاقات المكبوتة فوق كراسي المدرجات.

وتكمن القيمة الحقيقية للأفكار المتنوعة في هذا الكتاب في الأسلوب الذي يتبناه "بيورو" عند الكتابة عن كرة القدم؛ حيث تتجلى موهبته الأدبية التي أحسن استغلالها، ومزج في سرده بين الخيال والثراء اللغوي وحسن اختيار التشبيهات، التي لا تخلو من سخرية أحيانًا. فلا أعتقد أن القارئ المحب لكرة القدم قد قرأ من قبل وصفًا أدبيًا لافتًا لأجمل هدف على مر العصور، أو للحظات الحاسمة في تاريخ المونديال الكروي، أو سحر الرقم 10، أو نقاط القوة والضعف لدى نجوم المستديرة أمثال "مارادونا" و"ميسي" و"بيليه" و"زيدان"، وغيرهم من العمالقة عبر أكثر من مائة عام.

من هنا كان اختيار دار العربي للنشر والتوزيع لهذا الكتاب ليكون هديتها للقارئ المحب للأدب والشغوف بكرة القدم؛ ليواكب صدور الترجمة العربية بداية فعاليات مونديال الكرة لهذا العام، والذي يشهد مشاركة منتخبنا المصري في منافساته.

وكان من حسن حظي أن يسند إليّ الأستاذ شريف بكر، مدير الدار، مهمة ترجمة هذا الكتاب، وربما كان ذلك لعلمه بمدى شغفي باللعبة، فأرجو أن أكون عند حسن ظن القارئ. ولأننا ندرك ما تمثله كرة القدم في حياة المصريين خاصة والعرب عمومًا، فقد ابتكرت الدار إضافة تفاعلية فريدة من نوعها سوف يجدها القارئ في أغلب

صفحات الترجمة العربية؛ حيث سوف يتسنَّى له، أثناء قراءة الكتاب، استخدام موبايله في مسح أكواد الاستجابة السريعة QR codes لمشاهدة مقاطع فيديو قصيرة تكمل له التجربة الأدبية غير المسبوقة بين صفحات هذا الكتاب. فقط قم بتحميل تطبيق QR Code Reader من أندرويد أو آبل، وحرك الكاميرا الخلفية على الكود ليتم تحميل الفيديو تلقائيًا.

أطيب التمنيات بقراءة ممتعة،،

محمد عثمان خليفة

صيف 2018

"كان فيثاغورس يرى أن الحياة أشبه ما تكون بألعاب أولمبية: مجموعة من الناس تستعرض قوة عضلاتها أملًا في حصد الجوائز؛ وآخرون يجلبون أشياءَ تافهة بغية إقناع الجمهور بشرائها؛ وهناك مَن لا يسعون وراء الربح - وهؤلاء ليسوا أسوأ البشر - ولكن ما يهمهم هو مراقبة العروض لتصيد أي أخطاء بها؛ فهم متفرجون على حياة غيرهم لكي يتسنى لهم الحكم عليها".

- دي مونتين

"ومن أخبرك أن الأرباب قد لا تتعاون معنا؟".

- ماركوس أوريليوس



"أونيتي".. بائع التذاكر

أيام كان عمالقة الأدب يدخنون بشراهة، أعاد "خوان كارلوس أونيتي" ابتكار فن التنفس. فقد كان الكاتب الأوروجواني يتحلى بروح خفيفة مرحة، وربما كان ذلك ضروريًا بسبب الموضوع المؤلم الذي طالما شغل كتاباته: الحقيقة. فكان له أسلوب كتابة يتميز بقدرة حنونة على استدراج القارئ وطمأنته. وتنخرط شخصياته في مساعٍ يائسة أو علاقات غرام مجنونة، وتكابد لفرض منطقها الخاص على الأمور. ودومًا ما تخسر على أرض الواقع وفي عالم لا يعرف سوى الحقائق، ولكنها لا تفقد كرامتها.

العجيب أن ذلك الكاتب الروائي الفذ كان ذات يوم بائعًا للأحلام. ففي خطاب مؤرخ في العاشر من يوليو عام 1937، ورد ما يلي: لا جديد. عندي عرض عمل: سوف أعمل بائعًا للتذاكر في الاستاد الوطني لكرة القدم. يبدو أنني سأبدأ عملي يوم الأحد.

نشر "هيوجو فيراني" هذه الرسالة عام 2009. وكان مؤلف "حياة قصيرة" يكتبها إلى الرسام والناقد الفني الأرجنتيني "جوليو إ. بايرو"، الذي أهدى إليه روايته "الأرض المحايدة" مرتين (ففي البداية كتب اسم صديقه، وبعد أربعة وعشرين عامًا، أضاف عبارة: "بكل الكراهية").

وكذلك عمل "أونيتي" في حمل الحجارة، والنقاشة، وشيَّالًا للحقائب، ومندوب مبيعات للآلات الحاسبة، قبل أن ينتقل للعمل في الصحافة (وأحيانًا ما كان يبيت في مقر الجريدة). ولكن تبقى أغرب وظيفة مرت عليه؛ تلك التي مارسها في ملعب "إستاديو سنتيناريو" بالأوروجواي. فالمفارقة هنا هي أن مهمة بيع تذاكر السعادة هذه أُوكِلَت إلى صانع الهزيمة واليأس.

وفي كتابه "رسائل إلى كاتب شاب"، ينصحنا الكاتب بأن نُطلَّ على العاصمة "مونتفيدو" من عند سارية العلم في الاستاد:

> **وجدت المدينة أمامي؛ ومن فوق الراية الخفاقة بكل فخر، وهي تحمل الشارات والشعارات التاريخية، وتذكرني بأيام النصر والمجد.. 0/4.. 2/4.. و1/3.. صيحات وصرخات الفرح والبهجة، وتطاير القبعات والزجاجات، وحبات البرتقال.**

إنه يذكرنا بنتائج حققتها بلاده الأوروجواي، وأهمها 4/2 على الأرجنتين، في المباراة النهائية لكأس العالم 1930.



أول كأس عالم عام 1930

لقد تعامل الأدباء مع كرة القدم بأساليب مختلفة ومتباينة (ولا أستثني هنا حتى الكتّاب الذين كانوا يجهلون كل شيء عن اللعبة). وقد أتاحت تلك الوظيفة في الاستاد لـ"أونيتي" توازنًا نفسيًّا لكل ما كان يدور بداخله:

"أقصد الاستاد حتى أتمكن من صياغة وعي وإحساس جمعي يخصني، يتسم بالغزارة وإجماع الآراء في الوقت نفسه".

وقد استغرب مؤلف "حوض السفن" ذلك الإجماع الذي يهيمن على جماهير الاستاد، ولكن الغواية الحماسية التي اعترته تبدو واضحة حينما نقرؤه وهو يتحدث عن أجواء المباريات بألفاظ لا يستخدمها سوى أبناء الطبقة العاملة الذين يمثلون السواد الأعظم لجمهور كرة القدم.

ونعرف من رسائله أيضًا أنه كتب مسرحية في عام 1937 بعنوان "جزيرة نابوليون"، ولكن المخطوطة فُقدت فيما بعد. وفيها، اختار "أونيتي" أن يكتب – كعادته – عن حياة الإمبراطور بعد الهزيمة، وقتما لم يعد بمقدوره سوى الإدانة والاستنكار والزجر والتوبيخ.

أي نوع من جماهير كرة القدم كان "أونيتي"؟ يقول في رسالة أخرى:

هناك شخصية في روايتي المملة تدافع عن وجود جزيرة خيالية في حضرة امرأة متشائمة. فهي تستمع له، قبل أن تقول: "لكن كل هذه أكاذيب، أليس كذلك؟" فيطرق الرأس في اعتراف بأنها على حق. وعندئذ، تبتسم المرأة: "هذا لا يهم. تبقى الجزيرة مكانًا حلوًا جذابًا. ألا تعتقد ذلك؟".. هناك ما نسميه أكاذيب الضرورة، ذلك الخداع اللطيف الذي يريح أنفسنا.. هكذا أرى كرة القدم.

ويوافقه الخبير الكروي القدير "سيزار مينوتي" الرأي، قائلًا: "ملعب كرة القدم هو المكان الوحيد الذي يمكن فيه أن أسمح لأي أحد أن يخدعني ويحتال عليَّ وأنا سعيد".

يُدخل "أونيتي"، في رواياته وفي "إستاديو سنتيناريو" على حدٍ سواء؛ أجواء تتعزز بما نتصوره نحن عنها، ويبين لنا أن المجد، في نهاية المطاف، مسألة بسيطة، وأمر يتحقق وسط "صيحات وصرخات الفرح والبهجة، وتطاير القبعات والزجاجات، وحبات البرتقال".

سيكون ضربًا من العبث والتفاخر أن أعتبر نفسي تلميذًا في حضرة "أونيتي"؛ فليس هناك سوى أستاذ واحد. على أن قراءاتي حدت بي إلى أن أعيش في الوهم، فأنا لا أراه في مخيلتي مديرًا فنيًا اختارني للعب في فريقه، وكذلك لا أراه النجم رأس الحربة الذي عليَّ أن أمرر له الكرة ليسجل، فقد تلقيت إرثه بطريقة أبسط من ذلك.. مستلهمًا تلك الفترة التي عمل فيها بائعًا لتذاكر مباريات الكرة.

أتصور مشهدًا لظهيرة مشمسة، وهو يناولني كعب التذكرة عند بوابة الدخول للاستاد، وكأنها خطاب أمان يتيح لي العبور فوق نهر الكتب وصولًا إلى قلب الملعب. يقوم بتلك الحركة بلا مبالاة، متنصلًا من أي مسؤولية تجاه نتائج هذا الفعل. ومن قبل، أقنعتني روايات "أونيتي" أن حلم الكتابة ممكن.

بين يديك، عزيزي القارئ، كتاب هو مزيج من الشغف بالأدب والجنون بكرة القدم. وما كان ليخرج إلى النور لولا وجود أولئك السحرة في حياتنا، ولولا أن أساتذة الأدب علمونا أن الواقع يصير أفضل بالكتابة عنه.

وتبقى حقيقة واحدة.. أن مباريات الساحرة المستديرة لا تدور إلا وسط "صيحات وصرخات الفرح والبهجة، وتطاير القبعات والزجاجات، وحبات البرتقال".





بطل الشتاء: خواطر مشجع

لو أنهم قرروا إقامة بطولة كأس العالم بين مشجعي كرة القدم، لكان من المحتمل جدًا أن يكون النهائي بين جماهير المكسيك والجماهير الأسكتلندية. كلتا الدولتين لم تحققا أي شيء يُذكر على الصعيد العالمي في اللعبة، وربما كان هذا هو السبب الذي يجعل جمهور الكرة في البلدين يعوض هذا النقص بالحرص الشديد على الاحتشاد في مدرجات الملاعب حتى يملأها عن آخرها في كل مباراة.

ومنذ كنت طفلًا، وعيت حقيقة أن المباريات التي أشاهدها ليست هي المستوى الأفضل. وتَعزَّز ذلك الشعور بالبُعد التام عن الاحترافية مع انتشار القنوات الفضائية، ومعها انتشرت البرامج الرياضية التي تأتينا بمقاطع الأهداف المصورة التي يسجلها اللاعبون في البلاد

البعيدة. على أن حقيقة كوني مشجعًا مكسيكيًا جعلتني أُومِنُ بأنه لا علاقة لشغف المرء باللعبة والقدرة على تحقيق الفوز في كل مباراة.

وأنت عندما تختار الفريق الذي سوف تشجعه بقية حياتك، تحسم في الوقت نفسه طبيعة المشاعر التي سوف تهيمن عليك في أيام المباريات، وهي في الغالب أيام الإجازات. فهناك مَن يفضل الالتحاق بالفريق القوي، الذي يشجعه أغلب الناس. فمن الطبيعي أن يختار البشر الناجح المنتصر ليكونوا في صفه. لكن القدر أحيانًا يلعب لعبته، وعندئذ تكون الغلبة للتعصب للمدينة أو البلدة، ويصير المشجع مسلوب الإرادة الحرة، منتميًا للفريق الذي يمثل مسقط رأسه بكل تعصب قَبَلي.

وفي أحيانٍ أخرى، يكون تشجيع الفريق بسبب حب من النظرة الأولى؛ تشاهد لاعبًا فتُغرم بمهاراته والسحر الذي يقدمه، وتُجسِّد فيه كل آمالك وأحلامك. ولا شيء يكسر القلب مثل أن ترى لاعبك المفضل هذا وهو يترك ناديك ليلتحق بنادٍ آخر، بعد أن تعلقت به كل الآمال والطموحات. وبرغم حدوث ذلك، فإنك تبقى وفيًا لناديك، بغض النظر عن أن السبب الأساسي في تشجيعك له لم يعد موجودًا. وتظل تتلمس السحر نفسه الذي اجتذبك في البداية وسط الأحد عشر شبحًا في الملعب. عندئذ، تتحول المباراة إلى مجرد مباراة لفريقك، في انتظار أن يحين موعد تلك المباراة التي ستجمع فريقك بالفريق الذي انتقل إليه نجمك

المفضل، ليظهر فوق أرض الملعب الذي كان ذات يوم سيدًا له طيلة التسعين دقيقة. يومها يتذوق جمهوره الذي كان يقدسه مرارة لا تباريها مرارة، وهم يدركون مع كل دقيقة تمر من المباراة أنه في الحقيقة لم يكن يومًا بطلهم وحدهم.

كم هي تعيسة تلك الظهيرة! إلا أنها تشهد تحول المشجع الصغير إلى رجل بحق، بعد أن مر بالطقوس التي هشمت بداخله أي رغبة في الكمال، وبعد أن فهم أن البطل الدائم مجرد وهم، وأن طبيعة اهتماماته تغيرت، ليحل الفريق، بألوانه المجردة، محل البطل الفرد بخصائصه الفذة.

وفي بعض الأحيان، يبدأ عشق كرة القدم بتشجيع قميص نادٍ بعينه، بغض النظر عمن يرتديه. وهنا يأسرك مظهر الفريق وليس روحه، فيكون تعصبك لشعاره وألوانه. يُقدَّر لمثل هذا العشق أن يدوم، وحتى إن طغت الإعلانات على ألوان القميص، فإن الحماس لا يخمد أبدًا، ولا يرى المشجع في مخيلته إلا الألوان الأصلية لقميص فريقه.

وما إنْ تشجع فريقًا بعينه، حتى تكون قطعت أي خط للرجعة. ومع أن هناك أمثلة على مشجعين أعملوا العقل والتفكير فبدلوا الفريق بالفريق، فإن مشجع الكرة الحقيقي لا يتخلى عن الفريق الذي اختاره، حتى وإن كان في أسوأ حال. وربما كان ذلك لأن كرة

القدم تمثل فاصلًا بين المنطق وبين نزعة الإنسان العاطفية للتشبث بمعتقداته وآرائه مهما كانت خاطئة، لأنه يجد في التخلي عنها خيانة للمبادئ التي تربى عليها، وإنكارًا لذلك الطفل الذي كان، والذي آمن بأن الأبطال يكونون إما في رداء أبيض، أو في رداء "البلوجرانا".

ربما يتسنى للمرء - ووفق منطق ما - أن يبدل قناعاته أو معتقداته، وأن يغير وظيفته، بل وربما جنسه، أو دينه، ولكنه لا يجرؤ على خيانة ذلك النشاط الذي وصفه "خافيير ماریاس" بأنه "العودة الأسبوعية إلى الطفولة"، فهذا محال. فمَن هو ذاك الذي يستطيع، بعد أن وضع كل الآمال في فريق بعينه، أن يغير قلبه بعد أن يكبر، متنصلًا من كل ما تمثله له كرة القدم؟

مشاعر مركبة: البارسا و"نيكاكسا"

مَثَلي مَثَل كثيرٍ غيري، وُلدت في ظل التزام وجداني بتشجيع نادٍ كان "أكبر من مجرد نادٍ". فقد وُلد أبي في برشلونة، ولما رحل عنها في عمر العاشرة، كان مقتنعًا بأهمية ما يمثله ذلك الشارع، "لا دياجونال"، الذي يقودك إلى ملعب "كامب نو". ولما بلغت السادسة من عمري، في عام 1962، تسنى لي أن أشاهد "فريقي" وهو يلعب خلال الجولة

التي قام بها في المكسيك. وتولد لديَّ شعور غريب وأنا أشجع فريقًا لا أراه. ولكن الشغف يحتاج بين حين وآخر إلى ما يرسخه.

بالإضافة إلى برشلونة، كنت معجبًا بفريق أضفى لونًا مختلفًا على أيام الأحد. والدي رجل أكاديمي في الأساس، فقد كان يساند فريق الجامعة "لوس بوماس"، ولكنني خالفته عندما قررت مساندة فريق محلي. درست في مدرسة "جيرمان كوليج"، حيث يكتسب الواقع غرابة في كل تلك القواعد والشروط التي ينبغي علينا احترامها. ومع ذلك فقد أغرمت بالألمان. لم نكن نتحدث الإسبانية إلا في الفسحة، ومن هنا ارتبط لعب الكرة لديَّ بمساحة التحدث بلغتي الأم. وخلال السنوات التسع التي قضيتها في المدرسة، والتي كنت أحصي كل ثانية فيها بفروغ صبر، كنت أنظر إلى فناء المدرسة من نافذة الفصل، حيث كنا نضع الملابس محل قوائم المَرمَيَيْن. مثلت تلك المساحة المستطيلة الحرية، ومثلت لغتي، ولو أنني تعلمت أي شيء من المنهج العقيم لتلك المدرسة، فهو أن اللغة الإسبانية أحب اللغات إلى قلبي. وكما أن الارتباط يتجسد بالصدفة المحضة، ارتبطت لدي متعة الصياح بمفردات اللغة التي كان ممنوعًا علينا التحدث بها بتلك اللعبة التي أضفت المعنى على أوقات فسحتنا.

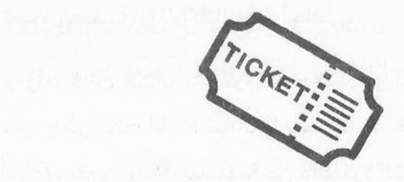
هكذا مثلت كرة القدم بذور الانتماء الأولى. وكان الجميع في الحي الذي عشت فيه يشجع فريق "نيكاكسا"، والذي اشتهر بلقب فريق

عمال الكهرباء. ولم يكن الفريق بالخيار المنطقي؛ فهو ليس بالفريق القوي، وكان يكسب المباريات بشِقِّ الأنفس. ولم يكن في الحي كثير يعملون في تلك المهنة، وكذلك لم يقصد كثير من هؤلاء المشجعين "نيكاكسا"؛ تلك البلدة التي أغرقوها لأجل بناء سد تمهيدًا لإقامة محطة كهرباء. ربما كانت الكهرباء في كشافات الأضواء في ملعبنا من محطة "نيكاكسا"، ولكن عقولنا لم تكن لتصل لذلك الإدراك (أتذكَّر هنا أنني في المرة الأولى قرأت فيها رواية "موبي ديك" لم أكن أعرف أنهم كانوا يصيدون الحيتان لصنع الشموع من حيواناتها المنوية: فلم يكن السعي وراء النور هو الذي أسرني في الرواية بل هي نظرات الكابتن "أهاب" المتعصبة ولحيته المبتلة دومًا بزبد البحر).

فما الذي دعا هؤلاء إلى تشجيع "نيكاكسا" إذن؟ لم أعرف أبدًا. أنا لم أَزُرْ تلك البلدة حتى يومنا هذا، وبقيت مقتنعًا تمامًا بأسطورة تقول بأنه عند انخفاض منسوب مياه السد خلال الجفاف فعندئذ يظهر برج جرس الكنيسة.

طيلة سبعة وخمسين عامًا، لم يفز فريق "نيكاكسا" بلقب الدوري، وهبط مرتين إلى الدرجة الثانية (كانت المرة الثانية خلال سنوات المراهقة، حينما هبط فريقي وصعد مكانه فريق "أتليتكو إسبانيول"، وصعد بعد عامين، وهو يحمل لقبًا جديدًا: "لوس

ريوس"؛ أشعة الشمس). ومع ذلك، فإن هذا هو الفريق نفسه الذي سبق له أن هزم فريق "سانتوس" البرازيلي وقت أن كان "بيليه" في صفوفه. لذلك نحن مشجعو "نيكاكسا" لا نحتاج إلى أن نرى معجزة ظهور كنيسة عند انحسار مياه السد حتى نؤمن بها.



الكتابة عن كرة القدم

من الصعب أن تكون مشجعًا لإحدى الرياضات من دون أن تجد في نفسك الرغبة في ممارستها. وأنا لعبت الكثير من كرة القدم، وكنت لاعباً في فئة الشباب في نادي "بوماس". وأدركت في عمر السادسة عشرة أنني لا يمكن أن أصير لاعبًا محترفًا، وأنني لن أتمكن من تسجيل هدف في "الماراكانا" إلا في أحلامي.

ربما كانت الكتابة عن كرة القدم نوعًا من المؤاساة للأدب. وبين حين وآخر، كنت أجد ناقدًا أدبيًا يتحدث باستغراب عن حقيقة أن أحدًا لم يقدم رواية أدبية مهمة عن عالم كرة القدم، برغم أننا كوكب يتنفس اللعبة، وتتوقف فيه كل مظاهر الحياة الأخرى، حتى الحروب، أثناء إقامة بطولة كأس العالم. وأرى أن الإجابة بسيطة للغاية: لكرة القدم إحالات ومرجعيات لها رموزها الخاصة، كما أنها تستغرق المشاعر والوجدان بدرجة كلية، وبطريقة ملحمية فريدة، تمتزج فيها التراجيديا بالكوميديا. من هنا تنتفي الحاجة إلى الوصف من خلال أعمال درامية موازية؛ لأن بنات أفكار أي كاتب تبقى قاصرة عن الإحاطة بكل ما يجري. ولذلك ربما تجد قصصًا قصيرة

جيدة عن هذا العالم، ولكنك لن تجد أبدًا رواية كاملة عنه. مباراة كرة القدم ذاتها عبارة عن سردية، وكل سردية تختلف عن الأخرى، ولها جوانبها الخفية، التي تستعصي عن التجلي في صورة أدبية. لذلك سرعان ما يبحث الروائي عن أفكار روايته المنشودة في عالم آخر. على أن القاصَّ يجد بُغيته من خلال قصة قصيرة ليس غير.

والحقيقة أن كرة القدم، في ذاتها ولذاتها، مسألة كلمات. قليلة هي الأنشطة البشرية التي تعتمد بالكلية على ما هو معلوم مسبقًا مثلما هو الحال في هذا الفن القائم على تكرار ثنائية القدر في كل مرة تقام فيها مباراة لكرة القدم. ودور أساطير اللعبة في المخيلة الجمعية لجمهور اللعبة هو استدامة ذلك التكرار لأجل شغف لا ينحسر تجاه اللعبة، وبدورها تجود اللعبة على جمهورها بكل سخاء.

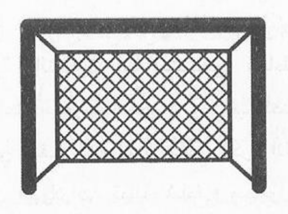
أذكر أنني وأنا صغير كنت أعتبر المعلق على المباراة المذاعة تليفزيونيًا أحد أهم الجوانب التي رسَّخت في ذهني كل ما عرفته عن اللعبة وعزز شغفي بها، وخاصة العظيم "أنخيل فرنانديز"، الذي كان يجعل من كل مباراة "ملحمة درامية" بمعنى الكلمة.

لا بد لمعلق كرة القدم من خيال جامح؛ وأذكر أنني عرفت معلقين قادرين على تقديم وصفٍ تفصيليٍّ ممتازٍ لمباريات لم يروها عَيانًا. ولا يمكن أن أنسى "كريستينو لورينزو" الذي كان ضريرًا، ولكنه قادر على أن يأسر عقول رواد كافيه "توبينامبا" كلما تحدث بشغف عن المباريات التي تابعها من خلال الراديو؛ و"بيدرو سيبتيان" معلق الراديو الساحر، والذي كان قادرًا على إثارة خيال مستمعيه وهو يتحدث عن نتائج المباريات في شتى الألعاب، وهو لا يعتمد إلا على برقيات لم تكن تحوي سوى أرقام مجردة.

ومن الأسف أن "هوميروس" لم يعش في زمن كرة القدم، ومن الأسف أيضًا أن المعلقين الموهوبين كانوا قلة تعدُّ على الأصابع. ولا أعني هنا أن اللعبة تفتقر إلا المنظرين والمتحذلقين والقادرين على التحدث في شؤونها بالساعات. وكرة القدم هي المجال الوحيد الذي يمكن لأي صاحب لسان أن يتحدث فيه بكل أريحية، وأن يدلي بدلوه ويقدم فرضياته ونظرياته الخاصة بكل جرأة. والسبب هو أن كرة القدم تحيا من خلال كل هذا الجدل. كم من مرة رأيت فيها لاعبًا رائعًا مخضرمًا وهو يضيع فرصة سهلة بوسع المعلق نفسه أن يسجلها بسهولة، أو أن تجد حارس مرمى

أعصابه فولاذية وفجأة يخطئ خطأ لا يقع فيه طفل، بل فريق قوي بأكمله وهو يخرج عن إيقاعه ومستواه في إحدى المباريات.

عندئذ يبحث الجمهور عن إجابة لدى الصحفي المتخصص الذي يحول تلك المفارقات إلى سرد منطقي يمكن للقارئ أن يصدقه ويقتنع به؛ حتى وإن كان ذلك المنطق يقوم على جوانب ملتبسة؛ كأن تجد صحفيًا يُرجِع خسارة الفريق لضربات ترجيحية إلى تغيير الفريق للون القمصان الذي اعتاد أن يرتديه!



عندما تساعدنا الأمنيات

تتسع الملاعب، مسارح الأحلام، لما يتجاوز ما يحدث على أرضها. فالجمهور المحتشد يشحن المباراة بكل ما يتعلق به من خرافات أو رغبات أو توق للانتقام أو عُقَد هائلة أو أساطير عجيبة. فكُرة القدم تجري فوق العشب وداخل وعي المتفرج الهائج على حد سواء. والصحافة الرياضية وسيلة لربط هذين المكانين معًا.

هذه اللعبة الجميلة قادرة على أن تقع في نطاق الملذات البريئة أو أن تطغى فتصل إلى مستوى تعصُّب "الهوليجان"، أو غطرسة إدارات الفرق، أو الأكاذيب الجاهزة في استوديوهات التحليل التليفزيوني. إنها مرآة للعالم خارج الملاعب، فكرة القدم تعرف العنف والعنصرية والتجارة. أما المشجعين فعاطفتهم نقية غير ملوثة، تستعصي على سخرية الخصم، وتلاعب الصحافة. إنها ذلك الشيء النادر الذي يبقى المحرك الأساسي لكرة القدم. فبعيدًا عن التعاقدات بملايين الدولارات، قبالة شاطئ مجهول، هناك شخص يركل الكرة، أو أي شيء آخر يعتبره كرة (لفائف قماش، علبة، كيس بلاستيكي مليء بالورق). هذا تعبير عن متعة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات: متعة اللعب من أجل اللعب.

أشار "والتر بنيامين" إلى أن الأطفال لا ينظرون إلى الكبار من منطلق قوتهم، ولكن من خلال "عجزهم عن السحر"، حيث فقدوا التواصل مع مملكة العجائب الممكنة. ولا أجد هنا أفضل من عبارة كتبها "الأخوين جريم": "في الزمان القديم، وقت أن كانت الأمنيات مفيدة..". حكايات الأطفال هي أدوات للعودة إلى العصر الذي كانت تمتلك الرغبات فيه تأثيرًا على الواقع.

مشجع الكرة في حالة طفولية دائمة، يتلفت حوله بحثًا عن القوى السحرية. أمامه فرجة مكثفة تحتشد فيها شتى أنواع مخدرات الحس التي يعززها الأداء والتسويق الجماهيري وأفعال الأولتراس الحمقاء البغيضة. وفي كل هذا، يجد المشجع تلك البقعة عند الشاطئ المجهول واللاعب الذي يداعب الكرة من أجل المتعة الخالصة.

وكما قال "جورجيو أجامبن": "يستمد الساحر سحره من حقيقة أن المرء لا يحتاج إلى كسب الحق في التفكير فيه".

تلك المواهب تظهر من دون تخطيط مسبق، بمحض الصدفة. فلم يكن العظماء؛ بيليه، ديدي، مارادونا، دي ستيفانو، زيدان، رونالدو، رونالدينيو، يسجلون أهدافهم لمكافأة الجمهور على تشجيعه لهم. كان سحرهم يتدفق لمجرد أنه سحر؛ مثل الهدية التي تنتظرها في نهاية حدوتة.

تشير تلك النزعة إلى ركل الأشياء من أجل نثر العواطف على كل أنواع الهواجس والشكوك. فلا نَتَتَبَّع السير الذاتية الشخصية وحدها، ولكن نتتبع أصل الأنواع؛ وصولًا إلى حقبة لم تكن تعرف هيمنة الأيدي. فهل هناك أهمية لهذا الدافع؟ حسنًا، هل يمكننا أن نعيش من دون المرور بمرحلة الطفولة، أو متنصلين من الأصول التي انحدرنا منها؟ إن الثقافة الحديثة تحتفي بالطفولة، ولكنها تنظر للجماهير البدائية بعين الشك. تُبقي كرة القدم على تواصلنا مع براءة الباحثين عن البطل، ولكنها تشعل كل ما هو في المدرجات. ها هم مجتمع ما بعد الصناعة يدهنون وجوههم بالألوان، ويرسمون التاتو على أجسادهم، ويهتفون بشعارات غريبة. ذلك الجانب القبلي القاتم لا يقل أهمية في نظري عن المحافظة على الفرجة بالطريقة الطفولية. فمن أسرار كرة القدم العظيمة أنها تحوِّل الشغف وهذا النوع من الارتباط القَبَلي بالفريق إلى طقوس، بالإضافة إلى توفير إطار لها. وهناك العديد من المناسبات التي يتجاوز فيها الأمر حدوده، ولكنها مناسبات سيئة ليس غير.

وفي تقريره المذهل عن "الهوليجانز"، بعنوان "وسط البلطجية"، يرتكب "بيل بوفورد" خطأً كبيرًا في تقدير الأمور. فهو يعزو أحداثًا وقعت بين جمهورين من المشجعين إلى أن المباراة السابقة بين فريقيهما

انتهت بالتعادل السلبي. ففي رأي "بوفورد" أن القَبَيلة تحتاج دائمًا إلى منتصر. لذلك كان من الضروري تفريغ التوتر المتواصل المكتوم بطريقة أخرى، وهكذا انطلق عِنان العنف.

ولكننا هنا لسنا أمام شاهد محايد، وحكم "بوفورد" يشي عن المنظور الذي ينظر من خلاله إلى القضية؛ فهو من أمريكا، البلاد التي لا تعرف أي رياضة تنتهي مبارياتها بالتعادل السلبي. ففي ظل بيئة محكومة تمامًا بالقدرة التنافسية (هناك يرفع المشجع شعارًا بإصبعه منفردًا في إشارة إلى الأمل الذي يريد تحقيقه: أن يكون رقم واحد)، يكون وجود فائز منتصر (حتى لو كان هو الخصم) أفضل في كل الأحوال من خروج الخصمين متعادلين. فلا يتماشى موقف التعادل اللا يقيني مع عقيدة النصر.

كما أن لدى جميع مشجعي كرة القدم ذكريات رائعة عن مباريات انتهت إلى التعادل. ففي كتابه الذي نشره عن مشاركة المنتخب الإنجليزي في بطولة كأس العالم "إيطاليا 90" بعنوان "انتهت كل المباريات"، يخصص "بيت ديفيز" فصلًا للمباراة التي انتهت 1-1 بين إنجلترا وألمانيا، والتي حسمت بالركلات الترجيحية. وهو يُسمِّي الفصل "المباراة الجميلة"، في إشارة إلى مجريات المباراة قبل أن تحسب بتلك الركلات (فازت ألمانيا وصعدت للمباراة النهائية). لذلك

لا يجد مشجع كرة القدم أي غضاضة في أن تنتهي المباراة بينه وبين خصومه بالتعادل.



ملخص مباراة غرب ألمانيا وإنجلترا، كأس العالم، إيطاليا 1990

تجد المشجع المتحمس الغيور، والمشجع الذي يتُوق إلى زمن المجد، والمشجع الذي يعاني أمراض الضغط والقلب، والمشجع المكتئب، ولكن التعريف الأعم والأشمل للمشجع هو: الشخص الذي ينقاد لأشياء بعينها. وربما لا يبدو استاد كرة القدم، الذي يموج بالأصوات والصخب، بالمكان الملائم لهدوء النفس وسكينة الروح، ولكنك مع هذا تجده أنسب مكان لاستيعاب الاختلاف. يحتسب الحكم العديد من القرارات الخاطئة، وتسوء حال أرضية الملعب، ولا يكون أفضل لاعب في الفريق في يومه. في كرة القدم كم كبير من المفاجآت، الأمر الكفيل بتعكير وتكدير مزاجنا. ولكن الجمهور يذهب وهو يرغب في أن يشهد كل هذا. وبرغم أن المشجع لا يتوقف عن الشكوى ومهاجمة الخصم،

وأحيانًا مهاجمة فريقه نفسه، فإنه - في الحقيقة - سعيد بأنه شاهدٌ على كل ما يجري من أمور لم يكن يتوقعها. الأمر هنا يشبه أن تذهب لحضور حفلة موسيقية، فتجد أفراد الأوركسترا وهم يتشاجرون ، وعازفي الكمان وهم ينشزون، ولا تسمع نغمة سليمة إلا في لحظات نادرة. هكذا هو الحال في كرة القدم: الأمور لا تحدث، أو هي تحدث ولا تحدث، أو أنها تحدث بالطريقة التي لا تريدها أن تحدث بها، ولكن الأحداث في مجموعها تشكل في النهاية نسيجًا متناغمًا.

وهناك فئة من الجمهور تجيد لعب دور "الكومبارس اليقظ" أفضل من غيرها. ذات مرة، حضرت مباراة "الكلاسيكو" الأرجنتيني بين "بوكا جونيورز" و"ريفر بلات". ولما لاحظ أحد المشجعين لهجتي المكسيكية، أراد أن يتحقق من أمر أخبره عنه رفاقه الأرجنتينيين:

- هل صحيح أن في المكسيك يجلس مشجعو الفريقين بعضهم بجوار بعض من دون مشاكل؟

لما أجبته بأن هذا صحيح، قال في دهشة:

- ولا يقتل بعضهم بعضًا في النهاية؟

أخبرته أننا مسالمون، فيما يتعلق بمباريات الكرة على الأقل، ولحظتها صاح بعبارة لن أنساها:

- لستم بجمهور إذن!.

وعادةً، ما يمتلئ الاستاد بآلاف الجماهير التي خاب أملها من مستوى المباراة إلى حد أنها لا تجد ما تفعله3 سوى أن يتمادوا في السلوكيات اليائسة مرارًا.

ومن أشهر أساطير كرة القدم أن جمهور الفريق يمثل "اللاعب رقم 12" فيه. ويقول "مارتن كباروس" في السيرة الذاتية التي كتبها عن نادي "بوكا جونيورز" أن أول من أطلق هذا الوصف هو الصحفي "بابلو روخاس باز" في العشرينيات من القرن الماضي، وذلك عندما طلب منه "ناتاليو بوتانا"، مدير صحيفة "كريتيكا"، أن يكتب تقريرًا عن إحدى المباريات. وفي تلك الأيام، كان مَن لا يحضر المباراة لا يعرف نتيجتها إلا من دردشات المقاهي أو مما يكتب عنها في الصحف. يقول "كاباروس" عن كرة القدم "إنها بالأساس حكاية". والحكاية غير المقنعة والتي لا يصدقها أحد تذهب طي النسيان. ولم يكن "باز" ليعصي أمرًا لرئيس التحرير، الذي توقع أن تكتسب صفحة كرة القدم أهمية للقارئ. وكان عليه أن يتحمس

الموضوع حتى ينقل ذلك الحماس إلى القراء. من هنا تحدث عن "اللاعب رقم 12" ودوره، برغم أنه كان في زمن لا يشهد فيه أغلب المباريات سوى عائلات اللاعبين أو مَن له صلة مباشرة بالمباراة. ولكن قدر لهذا الوصف أن يعيش حتى تحول إلى واقع، ويكون مرادفًا في المستقبل لأهمية أن يلعب الفريق مباراة على أرض ملعبه، وترسيخًا لحقيقة أفضلية جمهور صاحب الملعب.

لا شك في أن للجمهور فضلًا في حسم نتائج المباريات. ولكنه ليس المسؤول عن تسجيل الأهداف. لدى جمهور نادي "ريال بيتيس" الأسباني نشيد "Manque Pierda" الشهير، الذي يعبر عن أن تفاعلهم مع فريقهم أشبه بأمواج البحر؛ يعلو ويهبط، حتى وإن حقق الفوز. ولدى فريق "أطلس" المكسيكي النشيد نفسه، ولكن باللهجة الإسبانية.

ومن الأوصاف السائدة، برغم أنني لم أجد لها أي معنى حقيقي، أن يقال عن فريق ما إنه "بطل الشتاء" أو "بطل الكريسماس"، بما يعني أنه أنهى الدور الأول من المسابقة وهو في صدارة الترتيب. إنه لا يحصل على أي جائزة عن هذا الإنجاز غير الملموس، وخاصة أن كثيرًا من الفرق التي تتصدر في الشتاء لا تنال لقب الدوري في نهاية السباق.

الأمر هو أن العديد من الدوريات ينتهي دوره الأول في موعد يواكب أعياد الكريسماس. وبطل الشتاء هو متصدر الترتيب في ذلك التوقيت، ولكنه ما يزال بعيدًا عن أن يقطع خط النهاية. أي أنه لم يحقق الانتصار بعد، بل وجوده في الصدارة في ذلك الوقت قد يكون نقمة أكثر منه نعمة. جمهوره صار يتوقع الكثير منه، وربما إلى حد يفوق قدراته الحقيقية. وهنا تجد نفسك أمام المعنى الحقيقي للآمال الزائفة.

بطل الشتاء لا يوجد إلا في أدبيات كرة القدم. وأقصد هنا تلك التقارير التفصيلية عن تحركات الفريق والإحصائيات عن المباريات، والتي أوجدت لنفسها مكانًا في الصحافة الرياضية. وحتى تولع باللعبة من خلال الصحافة الرياضية سيكون عليك أن تضع الحقائق في الاعتبار، ولكن في حدود كونها مرجعية. حقق بطل الشتاء هذا المركز، ولكنه لم يحقق البطولة بعد؛ من هنا كان لهذا الوصف دلائل مستقبلية لا تتجاوز حد الرغبات والأمنيات. إنه نصر افتراضي له بريق يدغدغ حواس المشجعين.. فربما يساعدهم الأمل.



أكثر التعليقات الجنونية



الشغف الأخير

برغم صعوبة التصريح بذلك، إلا أنني من الذين يرتاحون إلى الهزيمة. ولا أقول هذا لكون رأيي الخاص، بقدر ما هو سمة من سمات كرة القدم المكسيكية. فلو أن سعادتنا تقاس اعتمادًا على لوحات النتائج في ملاعبنا، فإننا تعساء بلا أدنى شك. تلك النتائج الفادحة والكم الهائل من الفرص السهلة المهدرة في مباريات منتخبنا جعلتنا نعتاد أن نستمتع باللعبة الحلوة من دون أن نطمع في الكثير من كرم "الجنرال حظ".

فعندما يسجل لاعب في منتخبنا هدفًا بتلك الطريقة المقصية الرائعة "دبل كيك"؛ كما فعل "مانويل نيجريتي" في كأس العالم 1986، أو "راؤول خيمينيز" في آخر ثانية من مباراة التأهل لكأس العالم في عام 2013، فإن كل سعادتنا نحن الجمهور تكون لأنها

ذكرتنا بلعبة أخرى مذهلة قام بها لاعب آخر في ملعب بعيد عن ملعبنا الوطني.. "إستاديو أزتيكا".



هدف "مانويل نيجريتي" في كأس العالم 1986

وكلما سمعت تلك الصيحة العسكرية الشهيرة لجيشنا.. "نعم، نحن قادرون!" *Sí se puede*!.. أتذكر أن منتخبنا الوطني بعيد كل البعد عن سماعها. وما قاله "صمويل جونسون" قديمًا في وصف الشخص الذي يتزوج مرة ثانية؛ أنه يجسد فكرة انتصار الأمل على الخبرة، يعد تعريفًا نموذجيًا لعقلية المشجع المكسيكي. فإيمانه بفريقه لا يعتمد على الواقع، بل على وعود وعهود. ونحن نجد في كل انتصار معجزة. لذلك نهرَع للاحتفال به عند تمثال "آنخل" رسول الآلهة؛ أما إذا لم ننتصر فإننا نقول لأنفسنا: إن النصر ليس هو أهم شيء، ولكن المهم هو أننا تجمعنا وقضينا وقتًا ممتعًا.

لا يكمُن شغَف المشجِّع المكسيكي في النتائج، ولكن في الخيال. ومن دون أن نقع في فخ "ماسوشية التلذذ بالإضهاد"؛ فنحن في النهاية لا

ننهزم متعمدين، فإننا نتعامل مع حظوظنا الخائبة بفلسفة راقية هادئة. وفي المقابل، فإن المشجع البرازيلي ينهار إذا شاهد منتخبه وهو مهزوم، وقد يُلقي بِشاشة التليفزيون من النافذة غاضبًا. أما نحن، فأول ما نقوم به هو تناول مشروب جديد، والدخول في عالم الخيال و"الفانتازيا"، حيث نغني بكل فخر وفي اعتراض حقيقي على الواقع: "نحن ما زلنا الملوك".

هل نحن مجانين؟ لا أعتقد ذلك. الأمر هو أننا نبتهج بالأجواء ذاتها، أكثر من جوهرها ومضمونها. نحن جمهور واقعي؛ عن اقتناع بأننا لا يمكن أن نصل إلى ما هو أبعد من ذلك، ولذلك نقتنص البهجة أينما وجدناها. ولكن هذا لا ينفي عن جمهورنا تهمة التشبث بالأمل في كل الأحوال.

علمتني خبرتي بكرة القدم المكسيكية أن أهوى المواقف التي لا انتصار فيها، وهو أمر ينطوي برغم ذلك على قدر كبير من العظمة.

في مجموعته المدهشة "ذكريات سان ماميس"، يرى الحارس الأسطوري "خوزيه أنخيل إريبار"، الذي طاولت شهرته شهرة الروسي البارع "ليف ياشين"، أن أعظم لحظة في تاريخ نادي "أتلتيك بلباو" لا تتمثل في هدف تم تسجيله بل في تصويبة تصدى لها. ومن

بين مواقف عديدة خلال مسيرته الكروية، لم يختر موقفًا كان مسؤولًا عنه، بل ذلك الذي غير فكرته عن هذه اللعبة إلى الأبد.

كان "تيلمو زارا" قد فاز بجائزة هداف الدوري الإسباني "الحذاء الذهبي" ست مرات، وسجل هدفًا خالدًا ضد إنجلترا في ملعب "الماراكانا" خلال كأس العالم 1950، وتصدر اسمه أي إحصائيات تتعلق بالهدافين. وبرع خصوصًا في تسجيل الأهداف بالرأس. ولأن إقليم "الباسك" يُكنُّ معزة خاصة لإنجلترا، فقد وصفه الجمهور بأنه "صاحب أفضل رأس في أوروبا من بعد رأس تشرشل".

ولم يتم طرده من الملعب إلا مرة واحدة؛ مما يدل على سلوكه الراقي. ولهذه النقطة علاقة بالموقف الذي يذكره "إريبار". فبرغم هوسه بتسجيل الأهداف، لم يكن "زارا" من النوعية التي تريد تحقيق الفوز بأي ثمن. ففي مباراة ضد نادي "ملقا"، سقط حارس مرماهم "أرناو" مصابًا، تاركًا المرمى مفتوحًا على مصراعيه. وفي تلك اللحظة، قرر جلاد الحراس ألا يسجل الهدف وأن يخرج الكرة إلى خارج الملعب حتى يتسنى علاج الحارس، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تَعرفُ فيها مباريات الكرة هذا المشهد، ومن بعد ذلك أصبحت عرفًا متبعًا ونموذجًا يجسد معنى الروح الرياضية. انتقل الهداف بهذا التصرف من منطقة ربما تكون تقليدية إلى

أخرى خاصة للغاية في قلوب جميع المشجعين على اختلاف أهوائهم. وقام نادي "ملقا" بتكريمه وإهدائه أرفع جائزة باسم النادي.

وهناك الهداف الألماني "ميروسلاف كلوزه"، الذي ذكَّرنا في عام 2005 أن الروح الرياضية هي أهم ما في هذه اللعبة الجميلة. فخلال مباراة لفريقه في ذلك الوقت، "فيردر بريمن"، قام مدافع الفريق الخصم، "أرمينيا بيلفيلد"، بعرقلته، ومنحه الحكم "هربرت فاندل" ضربة جزاء. وفي مشهد غريب، ذهب "كلوزه" للحَكم واعترض على قراره الذي كان في صالحه، وأخبره أن اللعبة ليست "فاول". ولما استشار الحكم مساعده، قرر إلغاء ضربة الجزاء. وحكى الحكم لاحقًا أنه لم يتعرض لموقف مثل هذا خلال ربع قرن له مع اللعبة.

فلا ينبغي أن تتصدر المشاهد الخالدة في اللعبة "حركة "مارادونا" عندما سجل هدفًا بيده، أو أخرى لمهاجم يدعي التعرض لعرقلة ليكسب ضربة جزاء يفوز بها فريقه. الخلود لا يكون إلا لكل ما هو راقٍ وعظيم.



أفضل **10** مواقف للروح الرياضية

غالبًا ما يكون اللاعب النجم من النوعية التي تعتز بذاتها بصورة مبالغ فيها، ولكن قدِّر له أن يكون نجمًا في لعبة جماعية. فهو ينتظر من كل اللاعبين من حوله "التخديم" عليه طوال المباراة. فتجد مثلًا أن "كريستيانو رونالدو" لا يحتفل - إلا مرغمًا - بالأهداف التي سجلها غيره أو التي لم يصنعها هو بنفسه لزميله. يرى أنه صاحب البطولة المطلقة، وأن من العيب أن يكون "كومبارس" في مباراة يعتقد أنها أقيمت في الأصل لأجله.

الحقيقة أن هذا هو شعور الأغلبية العظمى من اللاعبين، ولكن الفارق بينهم وبين النجم هو أنهم لا يجرؤون على التصريح بذلك. بينما "رونالدو" صادق في التعبير عن تلك المشاعر النرجسية في داخله، لدرجة أن البعض ينشغل بها عن بقية الأبعاد الحقيقية في شخصيته كلاعب. ومن عيوب مشاهدة المباريات عبر التليفزيون أن الكاميرا لا تظهر لك أغلب الوقت إلا المساحة التي تتواجد فيها الكرة، أما بقية الأحداث الساخنة في أرجاء المسرح الكبير فتغيب عنا، أو لا نرى منها إلا ما يروق لمخرج المباراة. من هنا أسهم التليفزيون في ترسيخ فكرة اللاعب النجم، الذي تسلط عليه كل الأضواء.

الحقيقة الأخرى هي أن كل اللاعبين يريدون أن يكونوا مثل "رونالدو" في نرجسيته داخل الملعب؛ إلا أنهم لم ولن يحققوا مثلما

حقق هو، وبالتالي لن يحظوا بغفران الجمهور مثلما ينعم هو. من هنا كانت أهمية مقولة الفرنسي "إريك كانتونا"؛ أن أفضل ما حققه في مسيرته كلاعب أمر لا علاقة له بالأهداف التي أحرزها. وفي فيلم "البحث عن إريك" الرائع للمخرج "كين لوتش"، يتحدث اللاعب الفرنسي، الذي صار من أساطير "مانشستر يونايتد"، عن المباريات التي شارك فيها، ليختار في النهاية صناعته لأحد الأهداف باعتبارها أجمل لحظة مرت عليه في المستطيل الأخضر؛ ليؤكد بطريقة ذكية على أن كرة القدم لعبة فريق وليس لعبة فرد واحد. وأن صناعة الهدف كثيرًا ما تكون أهم من تسجيله.

الطفولة الثانية

يقول "بودلير": "ما العبقرية إلا طفولة عادت من جديد".

كان يتحدث عن أصول الإبداع، ولكنني أجد في العبارة وصفًا بارعًا لتلك النظارات المتفائلة التي ننظر من خلالها إلى زمن لم يكن سعيدًا في الواقع.

كانت أعوام طفولتنا متعة خالصة. وللحنين إلى الماضي تأثيره، تتحول السنوات التي كانت تعسة مروعة في مخيلتنا إلى صورة ملعب أخضر، وكلما تقدم بنا العمر، ازداد الملعب في ذكرياتنا اخضرارًا وجمالًا.

وكان "خافيير ماریاس" محقًا عندما وصف كرة القدم بأنها "عودة أسبوعية إلى الطفولة". هي نشاط يتماشى مع ما كنا عليه من دهشة واستغراب في بدايات الحياة، أيام كان هناك أبطال بحق، وكانت المباريات تنتهي بفائز وخاسر فقط، ولا وجود لتلك المساحة الرمادية المائعة. على أن هذا لا يعني بالضرورة العودة إلى لحظة متعة وبهجة خالصة فحسب: "الطفل يرى في اللعب نشاطًا جادًا". إنه يعاني حتى يتسلى بوقته.

وما كل جميل نحب أن نصبغ به أعوام الطفولة إلا رغبة في الهروب من اللحظة الراهنة، أكثر منه وصف حقيقي لما كانت عليه تلك الأيام. فالعودة الطوعية إلى الطفولة؛ من خلال اللعب أو الفنون، تسمح للكبير بالابتعاد لفترة من الوقت عن ذاته التي كِبرت. يتيح لنا هذا الفعل التحرُّري فرصة تجميل صورة الطفولة، حتى ولو كانت في حقيقتها طفولة معذبة مؤلمة. والحق أن الطفولة أعقد وأقسى من أن نتذكرها على حقيقتها.

بغتةً، تأخذنا لعبة حلوة أو تمريرة ذكية أو هتاف جديد من مشجع إلى ذلك العالم الغريب. عالم الطفولة، حيث المعجزات ممكنة، وحيث يمكن للحظ السعيد أن يواتيك. وتضخم العودة الواعية لتلك الحالة من صورة الطفولة الأولى وتحيك من حولها الأساطير. ننتقل إلى مجموعة من الإيهامات التي نختار أن نصدقها ونؤمن بها. وما المانع؟ نحن الآن في أرض السحر الأولى.

ودومًا ما يكون للمتعة جانبها المجازي، خاصة مع امتزاج رغباتنا بما يمكننا الحصول عليه فعلًا.

تفرض الأحلام آليات تعويضية غريبة. فبينما يحلم مشجع كرة القدم بالهاتريك الذي سجله "بيليه" في "الماراكانا"، يعاني النجم نفسه من كوابيس تطارد منامه، ويرى فيها نفسه وهو يضيِّع ضربات جزاء. فما يمثل للمشجع مجرد نزهة، هو واقع حقيقي للاعب الكبير، يتحدد فيه مصيره بالنتيجة النهائية للمباراة. ووحده الكبير هو مَن يرى في الطفولة السعادة المطلقة. وبالمنطق نفسه، لا يمكننا أن نتخيل معنى النصر ومذاقه إلا بعد أن نبذل كل جهد لازم لتحقيقه.

إن الحدث الرياضي يدور دائمًا في منطقة وسط بين الملعب والخيال. ومع بدايات ظهور معالم شيء ما في ذلك الحدث، ويوشك أن يؤتي ثماره، ينهض الجمهور رافعًا أذرعه.

وتناول "مارياس" أيضًا لغة الجسد الغريبة التي تميز مشجعي الكرة عندما يتم إحراز هدف. ترى الناس وهم يلوحون بقبضاتهم في الهواء بقوة ويصرخون بأصوات هي أقرب إلى العويل؛ يصعب عليك أن تتخيل شخصًا تعرفه وقورًا رزينًا وهو يتحول في لحظة إلى تلك الصورة العفوية المجنونة إلا في مباريات الكرة. ولكن.. ما السبب؟

هناك العديد من الجوانب النفسية المكبوتة داخل أعماق المشجع؛ مظالم الحياة، آمال الإصلاح، الخرافات، الرغبات، الأحلام التي لم تتحقق، جميعها تتحرر شيئًا فشيئًا مع انطلاق صافرة الحكم وبداية المباراة، ومع مرور الدقائق تتفاعل وتتفاعل، حتى تبلغ ذروة الجنون مع احتضان الكرة للشباك.

صار الاشتراط المزدوج لهذه اللعبة (فهي بدنيَّة وذهنية) ثلاثيًا في عصرنا الذي هيمنت عليه وسائل الإعلام، حتى إن بعض الأحداث لا تكون قد وقعت فعلًا إلا إذا ظهرت على الشاشة. فلم ينتبه أحد مثلًا من الموجودين في الملعب إلى واقعة "نطح" زيدان للإيطالي "ماركو

ماتيرازي" في نهائي كأس العالم 2006، وهذا لأن الكرة، التي تتعلق بها أعين الجميع، كانت في بقعة أخرى من الملعب، ولكن الحَكم الرابع يتابع المباراة عبر الشاشة، التي عرضت اللقطة وأعادتها، لتثبت التهمة على "زيدان". كانت في كابينة المعلقين، ولم ينتبه أي من الصحفيين إلى تلك الواقعة في لحظة وقوعها؛ وهكذا لم يصبح للحدث وجود إلا بعد أن شاهده الكل عبر الشاشات.

على أن الشاشة ليست الحَكم الموضوعي دومًا. كرة القدم لعبة ذات سمة ذاتية، تستعصي أحيانًا على عدسات الكاميرا.

قد تظهر زاوية تصوير وقوع لاعب في مصيدة التسلل، بينما تؤكد زاوية أخرى على أنه لم يكن "أوفسايد". ويحضرني هنا ذلك الهدف الشهير الذي احتسب لإنجلترا في نهائي كأس العالم 1966؛ حيث لم يحسم أي شخص كونه هدفًا أم لا بدرجة يقينية حتى يومنا هذا، برغم كل التقدم التكنولوجي الذي وصلنا إليه في مجال التصوير والتسجيل والعرض البصري.



هدف إنجلترا في مرمى ألمانيا الغربية عام 1966

أعود إلى الكتابة عن كرة القدم. إن الكلمات تستدعي عالمًا موازيًا. فالكتابة عن اللعبة تعني إعادة تقديم ما يعرفه المشجعون بالفعل، ولكن في قالب آخر جديد. فإن كان بمقدور المشجع أن يكون حاضرًا داخل الاستاد، فما الذي يدعوه إلى قراءة تقرير أو تحليل عن المباراة بعد ذلك؟ نحن هنا أمام نص من نوع آخر؛ نص لا يحيط بجوهر اللاعبين، فهذا جانب لا تستقيه من أي كتاب. وهذا لأنه مستقر في المخيلة الجمعية للمشجعين. ولكن قيمة النص هنا تتحدد بقدر ما يبثه من حياة وأحاسيس فيما هو معلوم من قبل.

أنت تحاول تقديم ما يشبه تلك الحالة التي تجدها بين المشجعين بعد أي مباراة، سواءً في المدرجات أم داخل المقاهي. يسجل فريقك هدفًا في الدقيقة الأخيرة، فتصدر عنك تعبيرات وحركات جنونية لم يخطر ببالك أنك قادر على القيام بها وأنت في وعيك. وهي حالة لا تدوم سوى أقل من دقيقة، وبعدها تعود إلى رشدك، وتمضي الساعات في مناقشات مع رفاقك حول تفاصيل المباراة وما جرى فيها. من هنا كانت أهمية ما نكتبه؛ فهو توثيق وتخليد للحظات الجنون تلك، ولكن من خلال نص عاقل بقدر الإمكان.

اللحظات العظيمة تحتاج إلى كلمات تصفها. ولن تجد أحدًا يشهد لحظة انتصار أو انكسار ويبقى من بعدها صامتًا جامدًا، حتى وإن انعقد لسانه لثوانٍ.

نشاهد المباراة، ونكتب عنها، وهي حيلة نعود بها إلى أيام الطفولة؛ ليست تلك التي عشناها بالفعل، ولكن تلك التي تمنينا أن نعيشها. فمن الصعب أن تعترف أنها كانت حياة صعبة قاسية وغير عادلة في كثير من الأحيان. لذلك نعود إليها في مخيلتنا التي تنتقي ما ترتاح إليه فيها، بعد أن يكون العقل قد تحرر، ولو إلى حين.

كرة القدم صورة حالمة لطفولة كانت، تمامًا كما يشتاق المرء إلى حلم يراوده في المنام، ليرى فيه نفسه وقد استحال كائنًا آخر.. كائنًا يحبه.



آباء وأبناء

كلما اقترب موعد بطولة كأس العالم، وأثناء التحضير لمتابعتها، يعمدِ مَن يعشقون اللعبة إلى تذكير أنفسهم بالماضي، أملًا في أن تكون تلك الدفعة الوجدانية فألًا حسنًا يدفع المنتخب إلى تحقيق المعجزات في البطولة الجديدة. وكأننا نكتشف في الماضي العديد من الأسباب التي تعزز ثقتنا في أن الحظ سيكون حليفًا لمنتخب بلادنا هذه المرة.

ولكل مشجع، أو حتى مشجعة، علاقة حميمية خاصة به مع اللعبة. ذلك الحشد في الملعب يمثل أرقى نماذج الحياة الأسرية وأعلاها صخبًا. وتجد أن الغالبية العظمى من المشجعين متواجدون في المدرجات بسبب أن آباءهم اصطحبوهم معهم ذات يوم إلى الاستاد، ومن ثم بدأ العشق. بل إن الهتافات التي تشجع مجموعة من الشباب يوحد بينها اسم فريق وزيٍّ مميز سِمةٌ من سمات الأبوة والأمومة؛ وربما كانت السمة الأشد فطرية وبدائية واستدامة. وبالنسبة للبعض، قد يكون اسم الفريق الذي يعشقونه هو الشيء الوحيد الذي يرثونه عن آبائهم.

لم يكن الطلاق أمرًا شائعًا في "جيلي". ولم تكن هناك قوانين محددة تحكم العلاقة بين أب وابنه الذي يعيش معه تحت سقف واحد. أما خيارات الخروج في نزهة أسبوعية، فلم تكن تتجاوز حديقة الحيوان والسينما ومباريات كرة القدم. ومع أنها كانت تجربة مدهشة في البداية أن أذهب لأشاهد الحيوانات الشرسة وهي مستكينة داخل أقفاصها، فإنني سرعان ما أصبت بالملل من فرط تكرار الزيارة، حتى صرت أشعر بكوني أشبه تلك الحيوانات؛ فهي أسيرة الأقفاص وأنا أسير الروتين. وجدت في السينما تنوعًا أكثر، ولكن الصعوبة كانت في أن يختار الكبير فيلمًا وهو يعتقد أن الصغير سيعجب به مثله. أما كرة القدم، فكنت أجد في حضور مبارياتها تجديدًا للآمال، وخاصة مع بداية كل موسم جديد.

كان والدي مشجعًا متحمسًا لفريقه، ولم يحدث أن تخلى عنه يومًا، حتى بعد أن هبط ذات موسم إلى الدرجة الأدنى. كنت أشعر أن الأهداف التي يسجلها اللاعبون تشحن والدي بطاقة وأمل وحيوية، وأيقنت أنه يستمتع باللعبة إلى حد الجنون. كنت أعرف أنه يفتقد أجواء التشجيع في إسبانيا، حيث كان مهووسًا ببرشلونة، فريق المدينة التي وُلد فيها، كان يتحدث بكل انتماء صادق عن "البلوجرانا"، حتى شعرت أنه يعيش معنا هنا في المنفى، بعيدًا عن وطنه الأم. ولما انتهيت

من دراستي الثانوية، وبدأت أخرج في رحلات على مدار ستة أشهر، كانت تصلني منه رسالة كل يوم اثنين، وكانت تنطوي دائمًا على قصاصة من صحيفة بها الترتيب الأسبوعي لِفرق الدوري العام.

كان يعتبر المدرجات امتدادًا لفصل المدرسة وقاعة المحاضرات، مِن حوله يجلس المشجعون؛ منهم مَن يتسلى بالـ"بيبيتا" المملحة، ومَن يلتهم ساندويتش اللحم البارد، مثل تلاميذ بصحبة أستاذ مادة الأخلاق الذي أخذهم في رحلة مدرسية. حتى إنه يوبخ مَن يهتف بهتافات بذيئة ضد الفريق المنافس، وكنت أراهم يصمتون في أدب واعتذار على الفور، وهو يصيح فيهم بغضب: "لا يجب أن نعامل ضيوفنا هكذا!".

ذات مرة، كتب مقالًا عن مباريات كأس العالم 1974 التي أقيمت في ألمانيا، لصالح جريدة "الإكسلسيور" التي كان "خوليو شيرر" يرأس تحريرها، وقال فيه:

- إن كرة القدم، في حدود كونها لعبة، تمثل آلية تعويض عن واقع السياسة المر. فهي المجال الوحيد الذي يمكن فيه لبلد مثل "هايتي" أن يحلم بأن يكون أفضل من إيطاليا.

لم يعد والدي يرافقني، ما إن كبرت إلى حد يتيح لي الذهاب إلى الاستاد وحدي. ولكن تلك المشاعر الخاصة التي كانت تراودني وأنا معه استمرت حاضرة في كل مباراة بعد ذلك، وكأنه ما يزال يجلس إلى جواري متحمسًا.

لا يسعني أن أحصي تلك الحالات المماثلة لحالتي، ففي رواية "ضياء مظلم"، يصف الكاتب الشيلي "نيكولاس فيدال" العلاقة بين الأب وابنه من خلال التجارب التي مرا بها داخل استادات كرة القدم. منها عرفنا أهمية أن يشارك الأب ابنه مشاعره بكل تقلباتها، من خلال وصف أدبي مبدع لأجواء المدرجات والتشجيع، والانتصار والانكسار.

وربما كان "مارتين كاباروس" أحد أفضل الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع. كتب في سيرته الذاتية "بوكيتا":

ولد ابني في عام 1991، وقبل ذلك لم أكن أهتم أبدًا وأنا في رحلة عمل إلى الصين أو غيرها ، بما إذا كانت مباراة فريقي هذا الأسبوع ستفوتني أم لا. إلى أن جاء "خوان" إلى الدنيا. ولسبب عجيب لا أعرفه، أحسست أن من المهم أن يصبح ابني مشجعًا لـ"بوكا جونيورز". كانت فكرة غريبة وقوية معًا، تخيلتني معه ونحن نحرص على متابعة مباريات الـ"بوكا" من المدرجات، إلى أن يأتي يوم يكبر فيه ونكون لديه أمور أهم من أن يقضي الساعات إلى جوار "الرجل العجوز"، وعندئذ يبقى تشجيع الـ"بوكا" هو الرابط الوحيد

بيننا، وتكون مباراة الفريق الفرصة الوحيدة التي تتيح لي أن أقضي معه بعض الوقت في مكان واحد. وربما لم تتحقق تلك المعادلة بالدقة نفسها التي تصورتها، ولكنني راضٍ عما تحقق منها. وعرفت لاحقًا أن الخاطر نفسه طاف بعقول كثير من الآباء؛ بل ملايين الآباء. وأيقنت أن كرة القدم هي جزء من الثقافة؛ ما دامت تتيح مساحة تعايش مشترك بين البشر.

وعقب سنوات، وكان "كاباروس" في طريقه إلى ملعب "البومبونيرا"، معقل "بوكا جونيورز"، بصحبة ابنه "خوان"، عندما سمعا صوت المغني "إيفان نوبل" يتعالى من إحدى محطات الراديو. كان يتحدث عن تجربته مع مولوده الجديد، والغريب أنه قرأ في سياق وصفه لتلك العلاقة الجديدة الفقرة السابقة نفسها من كتاب "كاباروس". صار "خوان كاباروس" في الثالثة والعشرين من عمره، ولكن تشجيع "البوكا" صار هو الرابط المتين بينه وبين والده، ومساحة التعايش المشترك بين الاثنين.

أسرد ذلك عليك تمهيدًا لأن أعترف لك بهزيمة وجدانية شخصية؛ لقد وجدت أن ابني "خوان بابلو" يمتلك موهبة حارس مرمى جيد، ولكنه برغم ذلك لا يأخذ كرة القدم بجدية على الإطلاق. ولما حكيت ذلك لـ"كاباروس"، قال لي بحكمة:

- ربما تود أن تشاركه حب كرة القدم لأنك لا تجد أي قاسم مشترك آخر بينك وبينه.

لم يكن يقصد نفسه، بقدر ما قصد آلاف الآباء الذين لا يتحدثون مع أبنائهم إلا أثناء مشاهدة مباريات الكرة.

كم هو جميل أن تكون بصحبة أبيك في مدرجات استاد كرة القدم! ولكن الأجمل أن تكون بصحبة ابنك في بقية أرجاء الدنيا.



جميع أهداف كأس العالم عام 1974

في حب "الفانلة"

مَن يعرف الطبيعة وأعاجيبها لن يندهش منها أبدًا، حتى وإن رأى كلبًا مقلمًا أو حمارًا وحشيًا مرقطًا. فلا حدود أبدًا لجنون الطبيعة وقدرتها على الابتكار.

ولكن هذا لم يمنع طموح الإنسان لمجاراة الطبيعة والتغلب عليها، وهذا ما نجده فيما يتحفنا به المصمِّمون كل يوم. قرأت مؤخرًا عن

سمكة تضيء في الظلام، وقطة لا تسبب الحساسية للأطفال. ومن حسن الحظ أنها ابتكارات ما تزال في طور التجارب، ولم تطرح في الأسواق بعد.

إن ملامح وسمات الحيوان تعتمد على شفرتها الوراثية (سواءً كانت طبيعية أم معدلة بتدخل البشر)، والإنسان هو الاستثناء الوحيد، لكونه قادرًا على صنع الأشياء، ولكون كل إنسان يتميز عن بقية البشر بتفاصيل شخصيته التي يستحيل أن تتكرر طبق الأصل لدى غيره.

هكذا هو قميص فريق كرة القدم، أو "الفانلة" كما يحب المشجع أن يسميه. هو علامة الهوية ورمز الانتماء. حمل قميصُ النادي تلك المعاني والرموز منذ عصور الهواية؛ أيام كان اللاعب يغسل قميصه بيديه بكل الفخر، رغم أنه لا يتقاضى قرشًا واحدًا مقابل ذلك، وأيام لم تكن القمصان تباع للجمهور لزيادة موارد النادي.

في تلك الأيام، كان اللاعب يبقى في ناديه لفترة طويلة؛ أطول من الروايات الروسية. وكان يكفيه فخرًا أنه لاعب في الفريق الذي عشقه وشجعه وهو صغير، ولا يتردد لحظة عن توقيع عقد يدوم مدى

الحياة، بمقابل مادي قليل للغاية، وأحيانًا ما يكون المقابل هو الحذاء الذي يلعب به.

وجاء عصر الاحتراف، وصرنا أمام لغز عاطفي غاشم: هل يمكن للاعب أن يشجع فريقًا لمجرد أنه يكسب رزقه منه؟ ففي هذا العصر، حيث يدرك اللاعب أن بمقدوره الانتقال من نادٍ إلى الآخر بسهولة، لم يعد أي عاقل يتوقع من لاعبي فريقه أن يذوبوا عشقًا في شعار النادي، أو أن يبكي كمدًا كلما انهزم الفريق في مباراة.

بدأ الوصف "حب الفانلة" حرفيًّا تمامًا (بمعنى ارتباط بقطعة ملابس لها مكانة خاصة للغاية)، قبل أن يصير المعنى رمزيًا، يراد منه التأكيد على احترام قميص النادي، باعتبار ذلك من بين بنود عقد الاحتراف الذي وقعه اللاعب. وهنا لا بد أن نميز بين احترام اللاعب المحترف لقميص ناديه وبين اشتراط أن يكون اللاعب نفسه من مشجعي الفريق.

وحتى سبعينيات القرن الماضي، كان لكرة القدم "إتيكيت" صارم؛ ومن ذلك أن "شد فانلة" اللاعب الخَصم فعل مَشين يستوجب الاعتذار. وكانت قمصان كرة القدم لا تتسم بالمرونة التي هي عليها الآن، لذلك كان في تلك الفعلة إيذاء كبير. الأمر الثاني، هو ضرورة أن تكون الأرقام

المطبوعة على القمصان من الخلف بالترتيب من 1 إلى 11، وأن تكون هذه هي أرقام اللاعبين الأساسيين في أرض الملعب، أما بقية الأرقام فهي للجالسين على دكة الاحتياط. وكان كل رقم دلالة على مكان اللاعب في الملعب، وكذلك تمييز لقدرات كل لاعب. وكان من المعتاد ألا يرتدي الرقم 10 إلا أمهر لاعبي الفريق وأكثرهم تميُّزًا. هكذا، اكتسبت الفانلة قيمتين "جغرافية" و"معنوية"؛ أصبحت تحدد موضع كل لاعب في المستطيل الأخضر والطريقة التي يتوقع الجمهور أن يعبر بها عن نفسه.

وحتى يمكنك أن تتخيل مدى قداسة هذا الأمر، أذكرك بما صادفه النجم الهولندي "يوهان كرويف" من متاعب ومشكلات قبل أن تقتنع إدارة فريقه برغبته في أن يرتدي الرقم 14، رغم أنه عبقري الفريق ولاعبه الأساسي.

أما أول مَن فكر في أن تقوم شركة متخصصة بتصنيع ملابس فريق كرة القدم، بحيث تحمل الفانلة شعار الشركة، ويكون من حق الشركة بيعها للجمهور بمقابل مادي، فكان "دون ريفي"، المدير الفني لنادي "ليدز يونايتد" الإنجليزي في منتصف السبعينيات. سرعان ما انتشرت الفكرة، وشيئًا فشيئًا تحولت الفكرة إلى بداية صناعة وتجارة تربح المليارات سنويًا. أما أول إعلان ظهر على قميص فريق، فكان لشركة تصنيع السيارات الإنجليزية "ساب" في عام 1978، وقت أن اختارت

أن ترعى فريق "ديربي كاونتي"، وشهد عام 1979 طباعة اسم شركة "هيتاشي" اليابانية على قميص "ليفربول" الأحمر العريق. وتحول اللاعبون إلى لوحات إعلانية متنقلة، بمعنى الكلمة.

وفي البداية، رفض التليفزيون البريطاني إذاعة المباريات التي يرتدي فيها أي فريق قمصانًا عليها إعلانات، حتى لا يجاري تلك الحيل التسويقية، لا لشيء سوى أنه لم يكن يستفيد من ذلك ماديًّا. واضطرت الأندية إلى أن توقع عقودًا تنص على أن الفريق لن يرتدي قمصانًا تحمل إعلانات في أي مباراة تليفزيونية. ومع حلول عام 1983، وافقت هيئة الإذاعة البريطانية أخيرًا على إذاعة المباريات من دون شروط إعلانية، بعد أن صارت قيمة تلك العقود الإعلانية السنوية خرافية للغاية.

"الأسلوب يعبر عن شخصية الإنسان"، هكذا كتب "بوفون" (ليس حارس المرمى الإيطالي الأشهر، ولكنه كاتب فرنسي عاش في القرن الثامن عشر: "جورج لوي لوكليرك"، "كوم دي بوفون").

صارت تلك العبارة من العبارات الخالدة لاحقًا في عالم الموضة. ودخلت الموضة عالم كرة القدم. وبدايةً من الثمانينيات، صار على كل فريق أن يحدد في كل موسم ثلاثة قمصان بثلاثة ألوان مختلفة، على

أن تحمل شعار الفريق في كل الأحوال. والسبب هو أن يكون هناك تمييز بين أن يخوض الفريق المباراة على ملعبه وأن يخوضها في ملعب المنافس. وكذلك صارت هناك حرية كاملة في تحديد الأرقام على ظهر تلك القمصان. وبالتالي تحولت سوق الرعاية التجارية والإعلان من مجرد بدايات خجولة إلى صناعة متكاملة تدر مليارات سنويًا.

وتجسدت حقيقة واضحة: كرة القدم هي أكبر شغف عرفه البشر من حيث تحقيق المكاسب المادية. ويرى "فليكس فرنانديز"، حارس المرمى الذي صار معلقًا على المباريات، أن هناك ما لا يقل عن 270 مليون شخص في أنحاء العالم يرتبط رزقهم حرفيًا بعالم كرة القدم.

تحول رمز الهوية إلى مصدر لتحقيق المال. وصار بيع منتجات النادي مربحًا أكثر من الأهداف التي يسجلها لاعبو فريق النادي. وأصبحنا في عالم تحسم فيه صفقات اللاعبين بتحديد كم ما سوف يتم بيعه من قمصان تحمل أسماءَهم. حتى تحولت أسماء بعض اللاعبين إلى علامات تجارية في حد ذاتها، ففي المتجر الرسمي لريال مدريد، يُباع القميص الأزرق الذي يحمل الرقم 1 بسعر أكبر إذا أردت أن يُطبع عليه اسم "كاسياس" أيضًا.

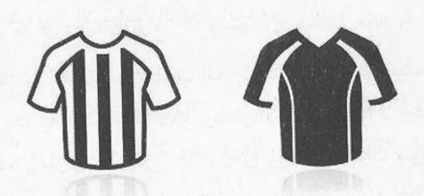
وبرغم صمود "برشلونة" على مدار نصف قرن أمام الإغراءات الإعلانية، فإن النادي استسلم أخيرًا للغواية، حتى وإن قرر أن تكون البداية تدعيمًا لرسالة سامية تتمثل في شعار "اليونيسيف"، وفي أن يضع شعارًا صغيرًا على الأكمام، ليعرف الناس أن في كاتالونيا محطة تليفزيونية خاصة بها.

وقديمًا، قال "أوسكار وايلد": "بوسعي مقاومة أي شيء، إلا الإغراء". لقد بقي "برشلونة" متشبثًا بإعلان "اليونيسيف" طوال فترة رئاسة "خوان لابورتا"، ولكنه خضع لراعٍ تجاري صريح في عهد "ساندرو روسيل"، وصارت القمصان تروج لمؤسسة قطر. نحن هنا أمام نموذج للتحول التجاري الصرف. من رعاية الطفولة إلى تشجيع الاستثمارات. نحن هنا أمام مثال جديد على المهارة في استغلال المشجعين شديدي الارتباط والولع بناديهم.

لم يعد من المنطق أن تطالب اللاعب بالولاء للنادي، بينما النادي نفسه لم يعد يعترف بكلمة ولاء. وصار الإخلاص ترفًا لا يُبديه سوى المليونيرات؛ "باولو مالديني" كان رمزًا لميلانو، وكذلك هو "توتي" بالنسبة لروما، و"بوفون" ليوفنتوس. هؤلاء من نخبة لاعبين أعلنوا أنهم سيبقون في ناديهم حتى الاعتزال. وكذلك هناك حالات استثنائية

بين المديرين الفنيين، ومنهم "جي رو" الذي تولى الإدارة الفنية لنادي "أوكسير" الفرنسي على مدار أربعة وأربعين عامًا.

وعمدت بعض الأندية إلى التأكيد على دلالة القميص الذي يمثل الفريق من خلال أسلوب فيه الكثير من الدراما. ومن تلك الأندية، نادي "شالكة" الألماني، الذي ما يزال مصرًا على التأكيد على هويته في عصر "البوندزليجا" الاحترافية. ففي كتابه عن النادي، يتحدث "ألبرتو لاتي" عن تقاليد النادي التي تُحتِّم عقد المؤتمرات الصحفية للتعريف بلاعبي النادي الجدد عند أحد مناجم الفحم، على سبيل الفخر بالمدينة العمالية العتيدة، وحتى لا ينسى اللاعبون أنهم يمثلون أحلام أهلها؛ متواضعي الدخل في أغلبهم.



أسباب تدفعك إلى الانتحار مرتين

إذن.. كرة القدم هي الجزء الذي يمكن التنبؤ به من الحياة. فنحن لا نعرف ما إذا كنا سنجد وقتًا كافيًا للذهاب إلى دكتور الأسنان أو لشراء بقالة الأسبوع، ولكننا متيقنون من أمر واحد: المكان الذي سنشاهد فيه نهائي دوري أبطال أوروبا.

وعندما يكون اليوم خاليًا من المباريات المهمة، نتحدث عن كرة القدم، أو عن سوق الانتقالات بأسعارها الفلكية. وفي الصيف، حيث تغيب البطولات، لا ينقطع الحديث عن "الفيفا" وفضائحه أو موضوعات أخرى ذات صلة بعالم المستديرة، أو عن مباراة ودية للمنتخب، أو عن لاعب كرة غشاش أوقعت به لجنة منشطات. وبرغم أنها موضوعات تفتقر إلى تلك الإثارة اللحظية الحية، ولكنها تكفينا إلى حين أن يأتي أول موعد كبير.

في كتابه "معجم عيادي موجز عن الروح"، يقوم عالم الأعصاب "خيسوس راميريز بيرموديز" بتحليل سجلات عيادته بالبراعة السردية نفسها التي تحلى بها "أوليفر ساكس". وفيه تحدث عن شخص رمز إليه بحرفي (د هـ)؛ مندوب مبيعات شاب من إنجلترا

تعرض لحادث سيارة، ارتطم رأس الشاب بالرصيف، وبرغم أن جمجمته بقيت سليمة، فإن مخه تعرض لإصابة غيرت في تصرفاته إلى حدٍ عجيب؛ صار ينظر إلى العالم كله نظرة شك من دون سبب واضح. يعتقد "د هـ" أن القدر متلون وله تصاريفه الغامضة، وإنك إن لم تتحوَّط منه فلسوف تكون فريسة له لا محالة. الغريب هو أن الشاب وجد في كرة القدم ملاذًا من العالم، وأحب فيها تلك الثوابت التي لا تصل إلى حد أن تكون من قبيل الأنماط المتكررة، وبرغم أنها لا تحمل مفاجآت تضايقه، ولكنها في الوقت ذاته لا تميت فيه الشغف؛ معلوم للجماهير أن مباراة تجمع بين الندين "مانشستر يونايتد" و"مانشستر سيتي" لن تكون رتيبة مملَّة أبدًا، ولن تعرف نتيجتها إلا مع صافرة الحكم. ومعلوم للجماهير أيضًا أن سؤالًا من قبيل "مَن هو أفضل مَن لمس الكرة.. "بيليه" أم "مارادونا"؟" سيبقى معضلة أبدية يتجادل حولها البشر.

عقب الحادث ببضعة أيام، لاحظ الشاب أن هناك تغيرات طرأت على زوجته، والمنازل في حيه، وكذلك النشرة الإخبارية على الشاشة. كانت نهايات عام 2004، وها هو الرئيس الأمريكي "جورج بوش" يتفوه بعبارات غريبة، بل تتزايد غرابتها كلما تحدث. بطبيعة الحال، كان العيب في الشاب، وليس في العالم من حوله. إنها إصابة تسببت

في تحول عجيب في نشاط مخه. كيف يتسنى له إذن أن يستعيد ثقته القديمة في عالمه؟

لقد تصرف ذلك المريض الإنجليزي بطريقة فيها عزم وتصميم تجاوز حدود الثقافات، حيث قرر أن يتواصل ويتفاعل مع كافة مشجعي الكرة المتعصبين حول العالم.. "الفوروفو" الأسبان و"التيفوسو" الإيطاليين و"الهينشا" الأرجنتينيين و"الأفيسيونادو" المكسيكيين. ولأنه يرى أن العالم كله مشكوك فيه، فلم يكن يهتم إلا بشيء واحد يعرف يقينًا أنه صحيح وصادق؛ صفحة النتائج في الملحق الرياضي بالجريدة.

ولكنه وجد نفسه يقرأ ما هو أغرب؛ ففي ذلك العام فازت اليونان ببطولة أوروبا، وصعدت أستراليا إلى نهائيات كأس العالم. جانب آخر من الواقع يبدو له غير منطقي. يقول في شهادته:

"لطالما ظننت أن الشيء الحقيقي الصادق الوحيد فيما يعرضه التليفزيون هو كرة القدم.. ولكنني وجدت أخبارها هي أيضًا عبثًا. هل يُعقل أن تفوز اليونان بكأس أوروبا؟ وأن تصعد أستراليا إلى كأس العالم؟ يا إلهي! هذه أمور أغرب مما استغربته بكثير. لهذا

السبب حاولت الانتحار مرتين. كنت في كل مرة أحاول شنق نفسي داخل حمام منزلي، ولكنني فشلت".

يعاني "د هـ" "متلازمة كوتارد"، وقد سُميت على اسم الطبيب الفرنسي "جولز كوتارد"، الذي اكتشف حالة "هذيان الإنكار". حيث يجد المريض نفسه في مكان يعجُّ بكل ما يثير شكوكه، ويصل به الأمر إلى أن ينكر اسمه، وينفي وجود جسده، وكذلك لا يعترف بمشاعره. لم يكن الشاب يصدق إلا كرة القدم. لذلك وصلت دهشته إلى حد مرعب عندما أدرك أن فوز اليونان بكأس أوروبا أمر واقع حدث بالفعل.

ولما فشل في الانتحار، أيقن أنه في عذاب أبدي، وأنه أسير جحيم لن ينتهي إلا بموته. والغريب أن الشيء الذي أثر فيه تمامًا لم يكن ما تعرَّض له عالَمُه من تشويه، بل هي الحقائق الصادقة؛ تلك النتائج التي قرأها في صفحات الرياضة. هكذا انغمس في حال جنونية، أوشك فيها أن يحتضر بسبب مواجهته للواقع.

كانت معاناة "د هـ" نموذجًا متطرفًا لما يعتري مشجعي كرة القدم من توتر وقلق يومي. إن كرة القدم تضفي تنظيمًا في عقول المشجعين لفترات العام، ويجدون فيها وسيلة لتغيير مصيرهم إلا آخر يمكن توقعه، نوعًا ما؛ فعندئذ يكون بمقدورك أن تحدد المكان الذي

تشاهد فيه نهائي دوري أبطال أوروبا، بغض النظر عما تمثله نتيجة المباراة نفسها بالنسبة لك.



فيلم وثائقي عن "هوليجان" كرة القدم "دانتي هوكينز"

فن الصياح

كرة القدم عذر مقبول لإحداث أكبر قدر من الصخب. تجد الشخص نفسه الذي توبِّخه زوجته على صمته الطويل ولا مبالاته واقفًا في مدرجات الكرة يهتف ويصرخ بأعلى صوته في جنون.

ولحظة تسجيل الهدف لا تعرف وقارًا أو اتزانًا. إنها لحظة تضفي منطقية ومعقولية على أي تصرف عجيب من المشجعين.

إنها لحظة تنفجر فيها رئتاك صراخًا، وتتألم حنجرتك هتافًا، ويقف لها شعر جسدك كله. لحظة تعطي إجازة للعقل، وتأذن للجسد كي يحتفل.

هناك في مفردات كرة القدم الإسبانية كلمة تصف تلك الحالة بدقة، حتى إنها أضحت وصفًا لمشجعي كرة القدم المتحمسين كافة.. "هينشا".

سمعت منذ سنوات بعيدة المعلق الإذاعي القدير "فيكتور موراليس" وهو يتحدث عن الأصول الأوروجوانية للكلمة؛ لقد استخدمت للمرة الأولى في وصف ذلك الصبي الذي كان يقف عند خط الملعب وهو مكلف بنفخ الكرات أثناء المباراة. كم يتشابه منظر الأشياء المنفوخة في الاحتفالات بمنظر الكرة، كلاهما يطيران في الهواء ولهما شغف متشابه.

هكذا أورثت أوروجواي الشعوب التي تتحدث الإسبانية كلمة تعكس كل معاني الصخب والزئير والاحتفال والفرحة، ولكن قدِّر لها أن تحمل معنى الصمت التام أيضًا، وذلك منذ يوم 16 يوليو 1950. ففي ذلك اليوم فاز منتخب أوروجواي على المنتخب البرازيلي على أرضه في نهائي كأس العالم، وتذكر الجميع الكلمة مرة أخرى في عام 2011، عندما فازت الأوروجواي على الأرجنتين في أرضها، وانتزعت منها لقب "كوبا أميركا". ساد الصمت بين الجماهير في المناسبتين.. ثقيلًا مخيفًا.

هنا، أود أن أقول لك إن جمهور الكرة نوعان: نوع مادي، لا يرفع عينه عن لوحة النتيجة لتحدد له مستوى ما يبعثه في نفسه من آمال، ونوع رومانسي، لا يحتاج إلى لوحة النتيجة حتى يبدأ في الهتاف والصياح لأجل فريقه من بداية المباراة حتى نهايتها. تلك الفئة الثانية هي التي استحقت لقب "هينشا" بكل جدارة. ظهرت الكلمة أيام كانت أوروجواي سيدة العالم في اللعبة، ولكنها استمرت وبقيت إلى يومنا هذا، في تأكيد على أن الشغف بكرة القدم لا يرتبط بإحراز البطولات والوصول إلى منصات التتويج.



مباراة أوروجواي والبرازيل كأس العالم 1950 - أكبر حشد تاريخي في أوروجواي

لماذا يَبصُق لاعبو كرة القدم؟

عرف البشر زمانًا لم يكن فيه البصق بالفعل المشين الذي يستحق الانتباه إليه. ووقت أن كنت طفلًا، لاحظت أن في مكاتب المحامين وغرف الانتظار في العيادات وعاء في ركن المكان؛ ذلك هو وعاء البصق. ويبدو أن الإنسان واجه منذ الأزل معضلة تتمثل في كيفية التعامل الأمثل مع ذلك اللعاب في فمه، ولكن المؤكد هو أن العالم المتحضر قد توقف عن وضع أوعية البصاق في الأركان.

ويبدو أن ملعب كرة القدم صار المكان الذي يغض فيه الناس الطرف عن ذلك البصاق. فترى خلال المباراة عدسة الكاميرا وهي تقترب زووم على أحد لاعبي الفريقين، فتجده يرفع عينيْه تجاه المدرَّجات، حيث يجلس مَن يعرفه، قبل أن يهزوا رؤوسهم في قوة وأسف على فرصة سهلة أضاعها، ومن ثم يبصق اللعاب من فمه إلى عشب الملعب.

لماذا يحدث ذلك إذن؟ في التنس، يتلمس اللاعب شباك المضرب كنوع من التركيز. ولكننا لا يمكن أن نربط بين تركيز اللاعب وبصاقه المتكرر أثناء المباراة؛ ولا علاقة بين البصاق وتحسن المستوى

خلال اللعب. ولكنها وسيلة يخفف بها اللاعب من توتره وغضبه. لاحظ ذلك في اللاعب الذي يتعرض للطرد أيضًا، حتى إن تلك الفعلة التي يشمئز منها الجميع في أي مكان آخر تبدو مقبولة ومتفهمة حتى ولو كانت أمام أعين ملايين البشر.

وكما أن علامات الترقيم في جميع اللغات، فإنها موجودة أيضًا في كرة القدم. في اللعبة كثير من علامات التعجب (هدف يتم تسجيله، لاعب يغشّ بكل جرأة، تدخل عنيف من مدافع ضد مهاجم)، وفيها الكثير من (...) (مثل ذلك اللاعب الذي يتلوَّى ألمًا على الأرض بعد تدخل عنيف، والمدافع الذي يطوح بالكرة إلى المدرجات بكل قوة، والتمريرة التي تذهب تائهة لا صاحب لها).

وهناك لاعبون عباقرة، مثل الأرجنتيني "بوتراجينيو" والكولومبي "فالديراما"، ممن امتلكوا قدرة على وضع الكرة بين (قوسين)، وهم يداعبونها على مهل، وهناك مَن هم مثل "شافي" و"أندرياس إنيستا"، يضعون الفاصلة تلو الفاصلة إلى أن يصنعوا سلسلة من الجمل الفرعية. وكان "روماريو" أحد الأفذاذ المتمكنين من النقطة والفاصلة، بتصويبات مدهشة وتسلم بارع للتمريرات.

ما يجمع المدافع بالمهاجم هو حب بدايات الفقرات. أما مَن يلعب الكرة في الشارع، حيث الترقيصة والتغزيلة والكوبري أهم من إحراز الهدف نفسه، فهو يشبه علامة الاستفهام في الإسبانية في بداية السؤال (¿)، كأنه لا يهتم بطرح السؤال كاملًا. أما علامات التنصيص في الكرة فيقابلها أن يتعدى اللاعب على منافسه قبل أن يبادر بالشكوى للحكم.

أما هذه "..."؟ تلك هي صيحات اللاعبين. وهي أكثر علامات الترقيم استخدامًا في الملعب، وتُستخدم بقوة وفعالية. لن تجد لاعبًا يبصق وهو يتحرك أو بعد أن يُحرز هدفًا (لأن لحظة مثل هذه لا تستدعي تهدئة الأعصاب). هو لن يَبصُق إلا في لحظات التحول القسري؛ تسديدة خاطئة أو تمريرة مقطوعة. كما أن البصق لا يعني أن اللاعب حزين أو حانق، ولكنه فقط يحاول التنفيس، ومن خلالها ينبِّه الجميع إلى أن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد. لهذا فالبصقة في الملعب أشبه بنقطتين فوق بعضهما بعضًا ":".

هناك "بصقات" شهيرة في عالم الكرة. ها هو "فرانك ريكارد"، الذي اشتهر ببرودة أعصابه وهو لاعب، وصبره وهو مدرب، يرتكب خطأً شنيعًا في إحدى مباريات كأس العالم 1990 في إيطاليا، وبدلًا من أن يتحدث إلى الألماني "رودي فولر"، بصق عليه. وكان ردّ فعل

المهاجم الألماني من اللقطات التي لا يمكن أن تُمحى من ذاكرة اللعبة؛ كان مثل قرصان ألقى أحدهم على وجهه قنديل بحر.

لن تجد إنسانًا ليست لديه عادة حركية لا إرادية: هناك مَن يداعب حلمة أذنه عندما يشرد ذهنه، وهناك مَن يداعب مفاتيحه. وكما أنها أرض اللا يقين، فإن كرة القدم ساحة يسقط فيها الأبطال باستمرار قبل أن يستعيدوا ثقتهم من جديد، ويشدوا من أزْر أنفسهم حتى يجربوا من جديد وبطريقة مختلفة؛ ولكن ذلك لا يكون إلا بعد أن يبصقوا على عشب الملعب.



بصق "فرانك ريكارد" على "رودي فولر"



عندما يكون "الجول" أكثر من مجرد "جول"

أطول جول في التاريخ

هناك حكاية صينية قديمة مغزاها أن العالم كله أقرب ما يكون إلى سلسلة حلقاتها مترابطة ببعضها للغاية، وأنك لو ألقيت بشيء تافه في البحر، فمن المؤكد أن يكون لذلك تأثير حتى على أبعد الشواطئ.

يحمل المد رسائل لا تتوقعها، من جانب المحيط إلى جانبه الآخر. لقد أسميت مدينة "جويرو نيخرو" في "بايا كاليفورنيا" سورًا بهذا الاسم بسبب سفينة جمحت واستقرت عند شاطئها. قرر "المحارب الأسود"، وهذا هو اسم السفينة وكذلك اسم المدينة فيما بعد، أن ينهي حياته عند ذلك الشاطئ بالذات مثل حوت نافق. وفي تلك المدينة

مطعم، اسمه "ماياريمو"، يعلق على أحد جدرانه شبكة تحمل طوربيدات ومصابيح، وغيرها من الأشياء التي ألقت بها المياه إلى الشاطئ. ويبدو أن العواصف البحرية أقرب ما تكون إلى مصلحة بريدية؛ فهي تأتي من آنٍ إلى آخر بأشياء ألقاها آخرون في البحر، ليُقدَّر لها أن تنتهي ضمن مقتنيات هذا المطعم وغيره.

في 11 مارس 2011، ضرب زلزال بقوة 9 ريختر سواحل اليابان، ونجم عن ذلك تسونامي رهيب أجهز على مدينة بأسرها. القصة معروفة لك، ولكنك ربما لم تسمع بأنه عقب التسونامي بحوالي أربعة عشر شهرًا كانت مياه المحيط تحمل على صفحتها جزيرة صغيرة من المخلفات والخردة التي بلغ إجمالي وزنها خمسة ملايين طن متري في اتجاه الأميركتين. نحن هنا أمام تجسيد رمزي للذاكرة؛ ذاكرة الإنسان لا تسترجع كل ما عاشه، وكذلك لا يمكن للإنسان أن يسترجع بإرادته كل ما يريد من ذكريات، ولكن الذكريات تطفو على السطح من حين لآخر حتى وإن لم نشأ ذلك. ها هو "موزاييك" عشوائي ياباني يهيم على وجهه فوق المياه قبل أن يقدر له أن ينتهي في بقعة لم يتوقع أهلها أن يستقبلوا يومًا ما شيئًا مثلها.

نشأ "ديفيد باكستر" وسط ثلوج وجبال جزيرة "ميدلتون" في "ألاسكا"، يعمل في محطة رادار، وكان يفكر خلال الأمسيات، عندما

يرتاح من التحديق في الشاشات الخضراء بما تعكسه من نبضات وومضات، في أن العالم نفسه ليس سوى شاشة رادار أخرى، وأن دوره هو أن يفرض عليها بعض النظام بقدر ما يمكنه ذلك. وهكذا كان ينتهز فرصة العطلة الأسبوعية ليمارس هوايته في تمشيط الشاطئ. وشاطئ الجزيرة يتميز بأنه متسع ورحْب ولا تحجب الأشجار الرؤية فيه. وكانت رمال الشاطئ تحتضن الكثير مما يلقي به المحيط.

اكتسب "باكستر" مهارة في تخليص الرمال مما تحتفظ به من طرح المحيط، ولكنه لم يتوقع أبدًا أن يكون شاهدًا على أطول "جول" في التاريخ، وذلك يوم أن استقرت كرة قدم عند الشاطئ.

ولأن "باكستر" من سكان "ميدلتون" الذين تمرسوا على التعامل مع سرعة الثعالب ومراوغة كلاب البحر، فقد تمكن من اصطياد الكرة بسهولة. ولفتت كتابة يابانية بخط اليد على جلد الكرة انتباهه؛ هل هي رسالة من أناس نجوا من سفينة غرقت؟ ربما هي شفرة عليه حلها. هناك سفينة غرقت في مكان بعيد، ولفظت هذه الكرةَ التي أرسلها القدر إليه.

ربما كانت الصدفة صورة أخرى من صور تصاريف القدر، وأن دورها أن تحدث حتى يبدو ما هو مقدر وكأنه عفوي غير محسوب.

وإلا، فما السرّ في أن الرجل الذي عثر على هذه الكرة بالذات كان متزوجًا من امرأة يابانية؟

قرأت "يومي باكستر" الكتابة على الكرة في ذلك المساء. لم تكن تتحدث عن سفينة غارقة، بل عن اليابان. طفت الكرة من هناك إلى هنا.. مسافة ثلاثة آلاف ميل. استغرقت رحلتها ثلاثة عشر شهرًا. ومع البحث، تبين أن صاحب الكرة هو "ميساكي موراكامي"، طالب المدرسة الثانوية البالغ من العمر ستة عشر عامًا، والذي ابتلع التسونامي منزله.

قبل ذلك اليوم بخمسة أعوام، انتقل "ميساكي" من مدرسته إلى أخرى جديدة، وكتب زملاؤه أسماءهم على الكرة للذكرى. هكذا كانت الكرة وحدة تخزين للذاكرة. وآلت اليوم إلى مراقب الرادار.

ليس عليك إلا الحصول على بعض التفاصيل حتى تكتمل القصة أمامك؛ تلاميذ يرغبون في ألا ينساهم زميلهم الذي يغادر المدرسة؛ حركة مياه المحيط؛ رجل يهوى تمشيط الشاطئ ورماله.

وقرر "باكستر" أن يسافر إلى اليابان لإعادة الكرة إلى صاحبها. في تاريخ حدده القدر بالفعل منذ أمد. إن الغرض من الكرة هو أن تدخل الهدف؛ والأشياء تفرض تأثيرها. وكما في الحكاية الصينية، فإن رفرفة

جناحي الفراشة قادرة على تغيير مسار حياة إنسان يبعد عنها مسافة نصف الدنيا. لكل حركة تبعاتها وعواقبها، مهما بدت تافهة.

في كل شيء سحره الذي بوسعه تغيير الواقع بطريقة تستعصي على أي تفسير. ولكنني لا أستبعد دور المنطق في أي شيء. يقول "بورخيس": "السحر تكليل للعادي، أو هو كابوسه، ولكنه ليس نقيضه أبدًا".

امتلكت تلك الكرة اليابانية مسحة نادرة من السحر. هناك تسعة عشر ألف إنسان لقُوا حتفهم في بلاد مجهزة تمامًا ضد تلك الكوارث. وتجلّت الطبيعة مرة أخرى، لتؤكد أنها الحد الذي لا يمكن انتهاك حرمته. ومع هذا، فقد طفت الكرة فوق كل تلك المياه، مثل بشير يمهد لما هو آتٍ في أعوام لاحقة.

لسوف يختفي هذا الكوكب يومًا ما، ولكن يبقى شيء واحد يستعصي على الطبيعة. ليس كل شيء ملموسًا ومحسوسًا؛ فالأشياء رموز أيضًا. هكذا كان تصور الكاتب الصيني الذي دوَّن الحكاية، وقال في نهايتها: "كل شيء هو كل شيء"، وهكذا فعل مَن صنع هذا الشيء المستدير الذي يوِّلد الآمال والأحلام، والصغار الذين كتبوا أسماءهم عليه، ليصنعوا منه سجلًا تذكاريًا، والمراهق الذي فقد منزله

ولكنه لم يفقد ذكريات ما جرى فيه، ومراقب الرادار الذي جمع العلامات البعيدة.

عادت الكرة إلى اليابان، ولكن رحلتها لم تنتهِ. ربما تقدر لها تواريخ جديدة.

أقيمت ملاعب الكرة حتى يمارس فيها السحر. والعالم موجود ليعيش السحر.



صورة الكرة اليابانية

الجول الذي أحرز مرتين

الأهداف المثيرة للجدل تحدٍ معتاد للخيال. هل تجاوزت الكرة خط المرمى، أم أنها ارتدَّت قبل أن تتجاوزه؟ في حالات الشك تلك، تقرر أهواء المرء وميوله وتحسم ما عجزت العين عن التيقن منه.

في 18 أبريل 2007، قدم لنا "ليونيل ميسي" نوعًا جديدًا تمامًا من الأهداف المثيرة للجدل، عندما أحرز هدفًا كان نسخة بالكربون من هدف تحول إلى حالة فريدة من نوعها، كان الاعتقاد أن من المستحيل تكرارها. فبعد واحد وعشرين عامًا من هدف "مارادونا"، الذي غربل فيه الفريق الإنجليزي كله خلال مباراة البلدين في بطولة كأس العالم 1986 في المكسيك، قدم "البرغوث" نسخة طبق الأصل من الهدف في مباراة فريقه برشلونة ضد فريق "خيتافي" في الدوري الإسباني. كلاهما انطلق من البقعة نفسها في الملعب، وكلا الهدفين استغرقا إحدَى عشرة ثانية، وكلا اللاعبين من الأرجنتين.

تذكرنا ونحن نشاهد هدف "ميسي" فن النسخ الغريب. قارن الكاتب الأرجنتيني "خوان ساستوريان" المهاجم الفذ بشخصية "بيير مينارد"،

التي ابتكرها "بورخيس" وكرست حياتها لكتابة نسخة طبق الأصل من "دون كيخوته".

ومن خلال مفارقة عبقرية، صنع "بورخيس" شخصيته الحمقاء التي حققت مرادها برغم ذلك: أن تكون النسخة طبق الأصل، ولكنها تظهر في عصر مختلف تمامًا، لتجبر القراء على قراءة "كيخوته" العصرية الخاصة به، وليس الرواية الأصلية التي تعود إلى القرن السابع عشر. وكان مراد "بورخيس" هو السخرية من نزوع النقاد إلى الإفراط في التأويل، ولكنه قدم في الوقت ذاته فرضية وجود مؤلفين لعمل واحد، وأن يكون كل منهما أصيلًا. ونجد المثال ذاته في قصة "مارسيل دوشامب" و"موناليزا" ليوناردو، عندما قام الأول برسم شارب في وجه صاحبة اللوحة الشهيرة، قبل أن يمسحه، لتكون النتيجة هي "موناليزا" بشارب حليق.

يُعبِّر جول "ميسي"، ببساطة ومن دون فذلكة، عن مستوى القدرة الإبداعية التي قد يصل إليها المقلد؛ فبرغم أنه أعجوبة في حد ذاته، فإنه في الوقت ذاته نسخة من أصل. يقول "ساستوريان":

في هذا العصر الذي تحولت فيه كرة القدم إلى صناعة، وتحولت فيه مجريات اللعبة إلى مجموعة من الحركات الميكانيكية الرتيبة المعتادة في أغلبها، لا يكون من المستغرب أن نشاهد مثل هذه

الأهداف العظيمة المتطابقة؛ فاليوم هناك في اللعبة ما لا نهاية له من المواقف والظروف والحركات التي تتكرر كأنها نسخ كربونية؛ على أن الغريب بحق هو أن ذلك الشيء الذي تكرر كان من قبل استثنائيًا وغير قابل للتكرار بمعنى الكلمة. نحن نتحدث عن أعظم جول في تاريخ كرة القدم، ولا أجد جول "ميسي" أفضل من جول "مارادونا" أو أقل منه، ولكنهما متطابقان إلى حد يثير الانزعاج في نفسي. فهو لم يسجل هدفًا مماثلًا، ولم ينسخه أو يحاكيه أو يقلده.. لقد سجل الهدف نفسه مرة أخرى، هكذا وبكل بساطة.

"ميسي" هو نفسه "بيير مينارد"، كلاهما خلَّد رائعة كانت موجودة قبلهما بالفعل.

قبل جول "ميسي"، كان جول "مارادونا" هو الأفضل بلا منازع. وكان سببًا في وضع اللاعب في مكانة وحده في تاريخ كأس العالم. لم يلعب موهوب قبله ذلك الدور المحوري الذي لعبه في فريقه؛ لقد ترك "مارادونا" في بطولة 1986 انطباعًا لدى الجمهور بأنه ما إن يتسلم الكرة حتى يقطع بفريقه خطوات نحو نيْل لقب بطل العالم. لقد لخص "إنريكي"، زميله في تلك المباراة، والذي مرر له كرة الهدف الإعجازي، حقيقةَ اعتماد الفريق كله على "مارادونا"، عندما قال: إنه وزملاءه كانوا يتسابقون فيما بينهم على مَن يمرر الكرة إلى "مارادونا".

كرة القدم آلة لا تتوقف عن إفراز الأساطير، وهدف "مارادونا" مسبوق في المباراة نفسها بهدف سجَّله بيده، وتفاخر به فيما بعد وأسماه "يد الرب". فقد ترك "مارادونا" بصمة مزدوجة في تاريخ اللعبة، امتزجت فيها الموهبة العبقرية بقدرة جريئة على الغش؛ كان في تلك المباراة الصيفية ضد إنجلترا عام 1986 "دكتور جيكل ومستر هايد".

أما نسخة "ميسي" من الهدف نفسه، فكانت مربكة تمامًا كما هو العهد بأي معجزة؛ وصرنا أمام هدفين هما الأفضل بالدرجة نفسها. وبرغم أن هدف "مارادونا" أهم لأنه كان في كأس العالم، فإن "ميسي" نسخ روعته لحظة بلحظة، فأكسبه أهمية في حد ذاته، وأشبعه بكل ما هو مطلوب لصنع صورة طبق الأصل من رائعة من الروائع.

أشار "فالدانو"، زميل "مارادونا"، إلى أن الإبهار لا يكمن في النسخة التي قدمها "ميسي"، ولكن في حقيقة أن القدر أهداه الموقف نفسه وأخطاءَ المدافعين نفسها والمسارَ نفسه فوق أرض الملعب، برغم مرور واحد وعشرين عامًا على الموقف الأصلي. وكما حدث من قبل، لم يفكر أي من المدافعين المساكين في ارتكاب "فاول" ضد العبقري الذي يشق طريقه نحو الشباك. هكذا نرى أن العالم يواجه كل ما هو غير عادي بنظرات شك وأفكار تآمرية. وأشار كثيرون إلى

أنه كان من الممكن منع كِلَا الهدفين بسهولة لو تحلَّى المدافعون بشيء من الشراسة والعنف. ولكنها حجة واهية لا منطق فيها.

على أن الفارق الملحوظ بين الهدفين هو أن "مارادونا" سجل بيسراه بينما سجل "ميسي" بيمناه. وكان الثاني مذهلًا أكثر لأنه كان صورة في مرآة. ولم يكن "ليو" يعرف طوال الثواني الإحدى عشرة أنه يحاكي كل حركة قام بها "مارادونا"؛ بل تصرف بعفوية الشبيه أو القرين. ولما سدد الكرة إلى الشباك، كان يسجل مرتين؛ مرة في شباك "كامب نو"، ومرة في ذاكرة الجمهور الذي انبهر ذات يوم بهدف "مارادونا".

الغريب، والمدهش، هو أن المقارنة لم تنتقص من أي من الهدفين؛ سواءً هدف 1986 أو هدف 2007. زادت قوة رسوخ الأول بعد أن اكتسب ما جعله أقرب إلى نبوءة تبشر بهدف آتٍ، وزادت قوة رسوخ الثاني بعد أن اكتسب ما جعله تذكيرًا بذلك الهدف الكلاسيكي.

لا مكان في عالم كرة القدم لما نسميه بالسرقة الأدبية أو حقوق الملكية الفكرية. نحن ننظر إلى هدف "ميسي" على أنه جهد فنان موهوب. أسهم في تحويل كرة القدم إلى نشاط غير قابل للقياس، يسمح بتكرار ما هو فريد فذ.. مرتين أو أكثر.



هدف "مارادونا" التاريخي

كأس العالم 1986



هدف "ميسي" التاريخي في "خيتافي"

عام 2007



أهداف لم يحرزها "بيليه"

كرة القدم نشاط جنوني إلى حد أن ينطوي إحراز بعض الأهداف في مبارياتها على خطر محدق مميت. ومرت فترة قاربت الثلاثين عامًا لم يكن يُجْدِي فيها نفعًا أن يُحرز أي لاعب الهدف الأول في مباراة نهائية في بطولة كأس العالم..

بدأ كل شيء في عاصمة أوروجواي، "مونتيفيديو"، في "إستاديو سينتيناريو"، يوم 30 يوليو عام 1930. وكان على المنتخب المستضيف مواجهة الوافدين من الأرجنتين. واحتشد الجمهور في الاستاد الذي امتلأ عن آخره قبل بداية المباراة بثماني ساعات، وطلب الحَكم أن يكون هناك قارب جاهز للانطلاق به من الميناء فور أن تنتهي المباراة، في حال اضطر إلى الهروب السريع بعد إطلاق صافرة النهاية.

سجل أرجنتيني أول هدف في مباراة نهائية لكأس العالم.. والطريف أن اسمه كان مناسبًا تمامًا.. "بابلو دورادو".. أو بابلو "الذهبي".



أهداف مباراة أوروجواي والأرجنتين عام 1930

احتفل الضيوف بهذا التقدم بتفاؤل كبير، ولكنهم لم يدركوا أنهم فتحوا على أنفسهم أبواب لعنة. فمنذ ذلك اليوم، ولفترة طويلة، عرف جمهور الكرة أن مَن يفتتح التسجيل في المباراة النهائية لبطولة كأس العالم يكون دائمًا في المركز الثاني في نهاية المطاف. وهكذا، انتهت المباراة لصالح أوروجواي 4-2، وكأن ذلك الهدف هو مفتاح نصرهم. وبعد ذلك، وكل أربع سنوات، كانت المستديرة تظهر للاعبين مدى غيرتها وتَوْقها للانتقام، وظلت تستعصي على الفريق الأكبر طموحًا، الذي يبادر بالتسجيل، وتجري إلى أحضان الفريق المنافس الذي بدأ المباراة بصورة سيئة للغاية.

استمرت أسطورة الحظ السيء تلك حتى في بطولة 1970. واستمرت الكرة تعاقب كل مَن يتجرأ عليها ويكون السبَّاق في تسجيل الأهداف.

اصطحبني والدي إلى النهائي الذي شهدتْه بلادنا؛ البرازيل ضد إيطاليا. وبينما كنا نسير في طريقنا إلى استاد "أزتيكا"، ذكرني بالأسطورة.. "مَن يسجل أولًا، يخسر". ولكنني شاهدت التحدي الكبير، فقد بادر "بيليه" بالتسجيل للبرازيل بضربة رأس مثل السِّحر. وما زلت أذكر أنني رأيت "جيرسون" واقفًا في منتصف الملعب بعد الهدف وهو سعيد، وكأنه يصلي للرب.. شكرًا أو توسلًا حتى يبطل اللعنة.

كان من المتوقع أن تستفيد إيطاليا الخبيرة من لعنة الهدف الأول، خاصة أن اللعبة تعيش هناك أجْواء احترافية رهيبة. وهكذا، سرعان ما تعادل "بونينزينا" بجول عسير. تراكمت أفكار الخرافة لمدة أربعين عامًا، إلى حد أن الجمهور في الملعب أيقن أنَ "الأزوري" في طريقه للكأس لا محالة. ولكن كما اتضح لنا، وكما كتب "بيير باولو باسوليني" فيما بعد، كانت البرازيل في حقبة اختراع النسخة الشاعرية من كرة القدم، وهي نسخة أرقى بكثير من "النثر" الإيطالي. وجاء انتصار فريق "بيليه" مدوِّيًا.. 4-1، وعادت كأس "جول ريميه" إلى البرازيل.. وانتهت لعنة الهدف الأول إلى الأبد.



أهداف مباراة البرازيل وإيطاليا، كأس العالم 1970

ألم يكن "بيليه" يعرف أنه من خلال افتتاح التهديف يعرِّض فرص فريقه في البطولة للخطر؟ يبدو أنه كان لديه تخطيط غريب يَخصُّه، وهو وحده الذي تيقن منه. وبطولة كأس العالم تلك خاصة ستبقى خالدة في التاريخ بسبب الأهداف التي لم يسجلها "بيليه". وكانت ضربة الرأس المذهلة في مرمى الحارس الإيطالي "إنريكو

ألبرتوسي" بمثابة تعويض عن أهداف أروع بكثير كاد يسجلها في البطولة نفسها.

ففي مباراة ضد تشيكوسلوفاكيا، التقط الكرة عند خط المنتصف ولمح حارس المرمى، "إيفو فيكتور"، واقفًا بعيدًا بعض الشيء عن مرماه. وسدد.. وخرجت الكرة بصورة امتزج فيها الجمال بالقوة والخطورة، وظن الجميع لثوانٍ أنهم يشهدون لحظة تسجيل أجمل هدف في تاريخ كأس العالم، ولكن الكرة لم تحتضن الشباك.



فرصة هدف "بيليه" الضائعة في مرمى تشيكوسلوفاكيا عام 1970

ثم ضد أوروجواي؛ في مواجهة مع الحارس الأسطوري "لاديسلاو مازوركيفيتش"، وبدلًا من السيطرة على الكرة أو التسديد، تركها تمر إلى جواره، "ترقيصة" جعلت الحارس يقف بلا حول ولا قوة. وتابع الملك الكرة التي هيأها لنفسه من دون أن يلمسها، فكانت أغرب تمريرة ذاتية في تاريخ اللعبة، وأول ترقيصة من هذا النوع يشاهدها العالم. الملك رقم 10 هو والكرة في موقف غير مسبوق. وسدد.. ولكن الكرة رفضت معانقة الشباك.



فرصة هدف "بيليه" الضائعة في مرمى أوروجواي عام 1970

وماذا عن أفضل مستوى قدَّمه أمام إنجلترا؟

تحت شمس جوادالاخارا القاسية، سدد برأسه قذيفة ارتدت على خط المرمى، وكانت هدفًا لا محالة، ولكن أمة "تشرشل" لا تنهزم من الجو أبدًا، وتصدى الحارس "جوردون بانكس" للكرة في إعجاز بدني لم يتكرر.



تصدِّي الحارس "جوردون بانكس" لكرة "بيليه" عام 1970

لو أن تلك الفرص الثلاث قد سُجلت لما كانت تلك اللحظات لِتُخلَّد في تاريخ الكرة كما هي عليه الآن. فالخلود هنا يكمن في الاستحالة.

ومنذ ذلك اليوم من عام 1930، عندما أصرَّ الحَكم الخائف المتوتر على أن يكون هناك قارب في انتظاره بعد المباراة، ارتبطت الإثارة

والغموض والخرافات بكرة القدم. وفي محاولة منه لإبطال اللعنة، كان على "أديسون أرانتوس دو ناسيمينتو" أن يدفع ثمنًا؛ تمثَّل في تلك الفرص الثلاث الضائعة خلال بطولة 1970. ولكنه أثبت لنا أن مقولة "الكرة أجوال" ليست صحيحة على طول الخط.. فالكرة أمل وترقُّب أيضًا.



هدف نال الرحمة

في عام 1942، خلال الاحتلال النازي لمدينة "كيِّيف" الأوكرانية، كان اللاعبون القدامى لفريق "دينامو كييف" يعملون في مخبز السجن رقم 3.

وفي الصيف، تحدث دومًا معجزة ظهور الشمس في البلدان الباردة؛ بدأت مباريات كرة القدم من جديد. وأسس الخبازون الشيوعيون فريقًا أطلقوا عليه اسم "البداية". تفوق الفريق على فريق آخر للمواطنين الأوكرانيين، قبل أن يهزم فريقًا من المجر.

وفي 28 يوليو، أصدر "ستالين" قرار رقم 227، الذي لخصه في عبارة واحدة: "لا خطوة واحدة إلى الخلف". وتصاعد التوتر في "كييف" عندما التقى فريق "البداية" فريقًا من ألمانيا، "فلاكيلف".

أطاع الأوكرانيون قرار رقم 227 بشكل عملي، وفازوا في المباراة 5-1. وعلى الرغم من أن هؤلاء السجناء لم يفعلوا شيئًا مما يعتبر كسرًا للقواعد، فإنهم جرحوا الكرامة الجيرمانية.

كانت الرياضة واحدة من أهم المحاور التي ارتكزت عليها الأيديولوجية النازية. وفي عام 1936، عندما خسرت ألمانيا أمام النرويج

في دورة الألعاب الأولمبية في برلين، كتب "جوبلز" في مذكراته: "انصرف مائة ألف متفرج من الملعب في حالة من الاكتئاب. إن الانتصار في الرياضة يمكن أن يكون بالقدْر نفسه من أهمية الانتصار العسكري وغزو البلدان إلى الشرق". وهكذا، سعى فريق "فلاكيلف" للانتقام.

وكانت المباراة الثانية في 9 أغسطس. والحَكم عضو في الحزب الحاكم، وكذلك حصل الفريق الألماني على تعزيزات (لم يكونوا من أعظم اللاعبين، ولكن منهم بعض الطيارين المقاتلين، على الأقل).

توجه الحَكم إلى غرفة تغيير ملابس الفريق الأوكراني قبل المباراة، وأخبرهم أن عليهم تأدية التحية النازية أثناء خروجهم إلى الملعب. وعندما تناقش اللاعبون نقاشًا حول ما يجب عليهم القيام به، وقعوا في النزاعات اليسارية المعتادة، وخرجوا إلى أرض الملعب منقسمين. ومع ذلك، عندما صاح أفراد فريق "فلاكيلف" "هايل هتلر!"، ردد فريق الخبازين بشكل عفوي صيحة "فيتسكولت هورا! "أو"تحيا الرياضة!"؛ شعار الفرق السوفييتية.

كان الفريق الأوكراني يرتدي القمصان الحمراء، وهذا لأنه لم يكن هناك غيرها. وكان للّوْن دور في زيادة حدة التنافس؛ لأنه بمثابة

تأكيد على تمرد الفريق الذي تكوّن من خبازين أوكرانيين، بل وشيوعيين أيضًا.

سمح الحكم للألمان بارتكاب جميع الأخطاء التي تحلو لهم، كما لو أن ما يفعلونه منصوص عليه في اتفاقية جنيف. ومع هذا، فقد انتهى الشوط الأول وهم مهزومون 3-1.

وفي الاستراحة، ذهب أحد الحكام وتحدث إلى السجناء، وتحدث معهم بكل صراحة عن عواقب فوزهم بتلك المباراة. وهذه المرة، اتفق اللاعبون على أمر واحد من دون أي خلاف: لن يسمحوا لأنفسهم بالهزيمة. وفازوا بالمباراة 5-3.

بقيت تفاصيل ما حدث بعد ذلك ملتبسة وغامضة لعقود. ولكن الأسطورة تقول: إنهم أمروا لاعبي فريق "البداية" الأحد عشر بالاصطفاف وأعدموهم بالرصاص فورًا. وصارت تلك المباراة تعرف باسم "مباراة الموت".

أما ما حدث بالفعل فهو أن انتقام النازية لم يحدث على الفور، ولكن العقاب كان بالفعل مميتًا في النهاية، حيث أخضعوا اللاعبين الأكثر شهرة للتعذيب، وماتوا في النهاية، بينما نَقلوا الآخرين جميعًا إلى معسكر اعتقال "سيريتس".

وبوصفهم سجناء، كان طعام خَبازي "كييف" مجرد رغيف خبز صغير يوميًا. وفي 24 فبراير 1943، قرر رئيس المعسكر خفض تلك الحصة أيضًا. كان الشتاء قد حلّ، والسجناء يتضورون جوعًا، ولم يكن هناك ما يكفي من الطعام المتاح في المخازن ليبقى الجميع على قيد الحياة. وبقرار مجنون، قرر رئيس المعسكر تصفية واحد من كل ثلاثة من السجناء. ومات ثلاثة من أعضاء الفريق في اليوم نفسه.

وعندما استعاد الجيش الروسي الأحمر "كييف" في نوفمبر، كان عدد سكانها قد انخفض من أربعمائة ألف إلى ثمانين ألف نسمة. ولم يفرح اللاعبون كثيرًا بذلك التحرير؛ ففي تلك الأجواء المذعورة كان الجيش يعتبرهم متعاونين لعبوا مباراة كرة قدم مع العدو. لم تكن للجرأة العظيمة التي أظهروها في مواجهة النازيين أي قيمة. ولم يغفر لهم أن تلك المباراة حولت اللاعبين من خبازين يعملون تحت المراقبة إلى سجناء في معسكر اعتقال. كان وقتًا للانتقام والنهب، ولم يكن هناك مجال للتمييز بين البشر، ناهيك عن تقييم أهمية مباراة كرة قدم.

ظهر أول تقرير صحفي عن الموضوع في عام 1959، وقت أن كانت صحة الناجين تتدهور وبدؤوا يفقدون ذاكرتهم. وبدأت الحقائق تطفو على السطح من جديد.

لم يكن إحراز الجول هو الحدث الأهم في "مباراة الموت". فخلال تلك المباراة، أقدم الشاب "أليكسي كليمنكو" على فعلة مجنونة؛ راوغ

كل المدافعين حتى صار أمام الشباك، ولكنه بدلًا من أن يسجل، اختار أن يعيد الكرة إلى زملائه في منتصف الملعب. كانت هذه الحركة المتعمدة إهانة ما بعدها إهانة للاعبي النازية. ها هم الأوكرانيون الذين لم يكونوا قد سجلوا أي هدف بعدُ في تلك المباراة، يتعمدون عدم التسجيل بكل استهتار.

وربما كان ذلك هو السبب الذي دفع السجانين إلى اختيار "كليمنكو"، وكان أصغر لاعبي الفريق، ليكون من بين أول دفعة تم إعدامها في معسكر الاعتقال، برصاصة في الرأس.



ملخص "مباراة الموت"



كرة القدم والرأس

أكثر من شغف

أتصور أن بطلي الشطرنج "كاربوف" و"كاسباروف" يصلان عند نهاية كل بطولة إلى مرحلة يتخيلان فيها أنهما يريان أشياء؛ حيث تتحول أنوف الناس من حولهم إلى أشكال قطع اللعبة.

وحُمَّى كرة القدم لا تختلف عن ذلك. ربما تجدني أشير بين آنٍ وآخر في هذا الكتاب إلى مواقف تنمّ عن عقل راجح، ولكن لا تنسَ أنني كنت بدوري أسير تلك الحمى الجنونية ذات يوم، حتى كنت متيقنًا من أن تأثير نجوم اللعبة في العقول لا يختلف عن تأثير أدوية السعال في عقل مَن يدمن تناولها. ومشجع كرة القدم الحقيقي لا يخرج الكرة من ذهنه في أصعب الأحوال، وعندما يظهر فريقه في

الملعب، يمتزج عقله بالعالم بالكرة، فيستحيلان كيانًا واحدًا. ومع اندماجه في المشهد أمامه، يستغرق المشجع المتعصب إما في الدعاء والرجاء أو البحث عن أي شيء أو فعل يحفز الحظ السعيد.

وسيكون من قبيل المبالغة أن أقول بأن مَن لا يشاركون في فعل التشجيع هم في الحقيقة يكرهون اللعبة. وبغض النظر عن العيوب الواضحة في آراء مَن يعتقدون أن صياحهم وهتافهم في المدرجات هو الذي يحدث الفارق، إلا أن هناك بالفعل مَن يتعاملون مع هذه الرياضة بقدر واضح من اللا مبالاة. على أن هذا لا يعني نفي وجود كثير ممن يستمتعون بالحال التي تصنعها كرة القدم. فقد تكون الكراهية ممتعة، وقد تتحول إلى متعة يمكن اكتسابها وتنميتها، وربما تخدم كرة القدم ميل البشر إلى مضايقة بعضهم بعضًا.

إن الآفات التي تصاحب كرة القدم كثيرة. ويمكنني هنا أن أسرد سريعًا بعض الأشياء التي لا يمكن أن تتخلص منها مباريات كرة القدم بقرار أو إشارة: العصبية القومية، العنف بين اللاعبين في الملاعب، تحول اللعبة إلى سلعة، والأولتراس. ومن الواضح أنها كلها أمورٌ تستحق المنع. ولكن لا جدال في الوقت ذاته في أننا نجد متعة في متابعتها من بعيد. يقيس كل مشجع مدى إشباع متعه الحسية بقدر استمتاعه وبهجته بمجريات المباراة. نحن في عالم ينطوي على بشر

مختلفين، فالمشجع الأيرلندي مثلًا يتحجج بسوء أداء منتخبه ليشرب المزيد والمزيد من البيرة، والمشجع المكسيكي يجد في مباريات المنتخب فرصة للاحتفال ببلاده نفسها أكثر من فكرة الاحتفال بانتصار كروي، بينما زميله البرازيلي يبكي دمًا لو لم يحقق منتخب بلاده الانتصار، والمشجع الإيطالي يلقي بأعز ما يملك من النافذة لو شاهد "ديل بييرو" يهدر ضربة جزاء لصالح المنتخب.

تستغرقنا حالة كرة القدم في نشوة لا صلة لها بالعقل الراجح. وأفضل لحظات المشجع هي تلك التي يرتدُّ فيها طفلًا، حيث حياة قوامها الصدف والحظ، بغض النظر عن وجود قوانين للعبة. وعندما يسجل فريقه هدفًا تنتابه بهجة بدائية، وكأنه إنسان بدائي نجح في اصطياد نمر، فيبادر باستعادة كل مظاهر الاحتفالات القَبلية.

إلى أي مدى قد نكون بشعين؟

في أوقات كثيرة، يبدو مشجع الكرة شخصًا أحمق تافهًا، بفم ممتلئ بالطعام، وعقل محشو بمعلومات لا قيمة لها.

ومن الواضح أن رواد عصر التنوير لم يكونوا يتصورون أن يأتي زمن تصل فيه فئات من البشر إلى حالة مثل هذه. ومن الصعب أن

نصنف مشجع الكرة في عالم ما بعد الصناعة؛ الذي نعيشه، ومع ذلك فهو موجود، وسيبقى كذلك.

هناك مجتمعات منحلة إلى حد أن يؤيد فيها شخص مثل "هاملت" قتل جميع أزواج الأمهات، وإلى حد أن تؤدي فيها لعبة مثل كرة القدم إلى وقوع أفعال عنف وتخريب مروعة.

في كتاب "ريزارد كابوتشنسكي" "حرب كرة القدم"، يسرد تفاصيل ما جرى من مواجهة عسكرية بين هندوراس والسلفادور على خلفية ما حدث في مباراة كرة قدم جمعت بين البلدين؛ وهنا كان لحالة كرة القدم دور في اندلاع صراع دموي على حدود الدولتين.

موت في بلجراد: رثاء

الطغاة، شيوخ النفط، زعماء المافيا، وتجار المخدرات والسلاح.. جميعهم دخلوا عالم كرة القدم، واختاروا أن يتصدروا المشهد في أندية كبيرة وشهيرة، كنوع من إحداث توازن مع جرائمهم وفسادهم. ولكن مَن يريد أن يعرف فعلًا حقيقة ما يمكن أن تفسح له كرة القدم من أفعال مروعة عليه أن يقضي موسمًا وسط جماعة أولتراس فريق "ريد ستار" بلجراد. وهذا تحديدًا ما قام به "فرانكلين فوير"،

الذي يقدم في كتابه "كيف فسرت كرة القدم العالم: نظرية عولمة جديدة" سردًا لفكر تلك الجماعة المتعصبة. يسأل الصحفي أحدهم، وكان يميز جسده بكثير من الوشوم:

- مَن هم أكثر مَن تكرههم؟

- الكرواتيون.. الشرطة.. لا يهم.. أنا مستعد لقتل الاثنين.

هذا رد مرعب بالفعل، وخاصة بذلك القدر من اللا مبالاة، وعلى الرغم من أن الأمور لا تصل أبدًا إلى التخطيط للقتل فعلًا، فإن سلاح جماعة الأولتراس المختار هو الهراوة المعدنية.

أما المثير للسخرية هنا، فهو أن فريق "ريد ستار" هذا يُعتبر فريق الدولة كما يقولون، ومع هذا فإن أغلب مشجعيه منخرطون في أنواع الجريمة المنظمة.

سبق لي أن سافرت إلى يوغوسلافيا في بدايات الثمانينيات، وسمعت الحكايات نفسها كثيرًا، وتلمست غضب كثيرين من سيطرة "تيتو" على مقاليد الأمور.. هنا مزيج من الصرب والكروات والسلاف والمونتنجريين.. وكانت تلك التوترات العرقية تظهر واضحة في الشاحنات العنيفة بين مشجعي فريقي "ريد ستار" و"دينامو

زجرب". وما هي إلا سنوات حتى اندلعت الحرب المتوقعة، والتي انتهت إلى تأسيس كل عرق لدولته الخاصة.

وظهرت شخصية من وسط أطلال البلاد التي أنهكتها الحرب، من بين ثنايا صفحات إحدى روايات كاتب الجاسوسية "جون لو كاري"؛ "زيليكو رازناتوفيتش". كان ضابط قوات خاصة في العصر الشيوعي، قبل أن ينتقل إلى عالم العصابات بينما تطل الرأسمالية برأسها في أفق بلاده. واشتهر بقنص الجنود المسلمين خلال الحرب، وسرعان ما صار الناس يلقبونه: "أركان".

كان "رازناتوفيتش" ابن طيار حربي، وترك الكلية البحرية ليهرب إلى باريس، حيث دخل عالم الجريمة. يقول عنه "فوير" في كتابه:

في عام 1974، ألقت السلطات البلجيكية القبض عليه بتهمة السطو المسلح. ولكنه هرب من السجن بعد ثلاث سنوات واتجه إلى هولندا. ولما ألقت الشرطة الهولندية القبض عليه، نجح مجددًا في الهرب.. عاد إلى بلجراد، حيث التأم شمله مع والده، ونجحت العلاقات في إلحاقه بالسلك الأمني في يوغوسلافيا.

ولأنه مشجع متعصب لفريق "ريد ستار"، فقد اشتغل بأغرب مهنة في عالم الكرة؛ فقد طلب منه "سلوبودان ميلوسوفيتش"، أمين الحزب الشيوعي الصربي في ذلك الوقت، اختراق جماعة الأولتراس

والعمل على توجيه حماسهم فيما يحقق غايات الحزب. وتمكن "أركان" من تطبيق نظامٍ فرَضه عليهم، وسارت جميع فرق الألتراس لهذا النادي تحت لوائه. وبدأ يهيمن على المدرجات، وصار جميع مَن في الملعب ينصاع لأوامره. وكان من الطقوس المعتادة قيام الألتراس بإطلاق سرب من الغربان عند إحراز الفريق لأي هدف.

ولكن خطط "ميلوسوفيتش" و"أركان" كانت أكبر من ذلك. تم تكوين ميليشيا عسكرية من أفراد جماعة الألتراس.. "نمور أركان"، وكان لها دور في الهجمات الصربية عامي 1991 و1992. وهكذا، تحول العنف العفوي في المدرجات إلى تكتيك عسكري منظم في حرب حقيقية. وكان من نتائج تلك الحرب العرقية سقوط ألفَي قتيل وسلب ونهب للثروات.

انتقل "أركان" للعيش في منزل مقابل لاستاد "ريد ستار". كان بالنسبة للصرب شخصية شهيرة مثل نجوم "البوب"، وذلك الرجل القوي الذي تمكن من تحويل "الهوليجانز" إلى "أداة مفيدة" كان لها دور في حماية الشرف الصربي.

ورغب "أركان" في استغلال غنائم حربه في شراء النادي الذي يحبه، وعندما فشل مسعاه تحول إلى شراء نادي "إف كيه

أوبيليتش". ولمَن لا يعرف النادي، فإن اسمه على اسم "ميلوس أوبيليتش"، المقاتل القديم الذي نجح عشية معركة كوسوفو (1389) في التسلل إلى خطوط العدو العثماني ليغتال السلطان مراد. وكانت رئاسة "أركان" للنادي فألًا حسنًا، خاصة مع خوف حكام المباريات من فريق يشجعه مجموعة من المجرمين العتاة.

وربما لا يسَعك أن تتخيل إلى أي مدى استغل "أركان" سطوته، ولكن عليك أن تعرف أن نهايته كانت نهاية منطقية وتليق بحياة عنيفة مثل حياته؛ فقد أطلق عليه أحدهم النار في لوبي أحد الفنادق.

انطوت أسطورة "أركان" على آمال قومية، ونموذج لمركز القوة، وفكرة فرض الانضباط على جماعات الشغب والفوضى، والتفوق العرقي، وما يزال للرجل مريدون في بلجراد حتى يومنا هذا، وخاصة بين شباب الأولتراس، الذين يتزايد عددهم بشكل لافت غريب. والنقلة التي قام بها من الإجرام إلى أنشطة غير قانونية لا يجرؤ أحد على معاقبته عليها؛ مثلت نموذجًا حيًا على حقبة عجيبة مرت بها منطقة البلقان، وحلقة دموية أوشك الصرب على أن يعتادوا عليها. كانت حقبة أقرب إلى أسراب الغربان التي كانت تنطلق لتحوم فوق الملعب كلما أحرز "ريد ستار" هدفًا.

واحد للكل: فرانشيسكو توتي

أتناول هنا حالة فريدة من حالات حب النادي. ففي عالم صار لا يعرف إلا سوق الانتقالات الموسمية وحيل وكلاء اللاعبين، بقي هداف وحيد رفض أن ينتقل من ناديه مهما كانت المُغريات. كان راضيًا باللعب في "السيريا أيه" الإيطالية، وهي في حد ذاتها بطولة يسعى للعب فيها لاعبون عالميون كبار، ولكنه كان في روما؛ النادي الذي قبع في الظل سنوات طويلة، ولم يفز بالبطولة سوى مرة وحيدة في آخر عشرين عامًا، بفضل "فابيو كابيللو"، الذي سرعان ما ترك تدريب النادي، ليعود إلى الظل من جديد.

كانت أسطورة "فرانشيسكو توتي"، الرافض لكل العروض الخرافية ومغريات القمصان الأخرى، نادرة في عصر العولمة. لقد وُلد في المدينة الخالدة، ولكن في أحد أفقر أحيائها. وذات مرة، قرر الكاتب "فيرناندو أسيتيلي" أن يحصي عدد الخطوات بين منزل عائلة "توتي" والجدار الإمبراطوري، ووجد أنها 264 خطوة، أي أطول بخطوات قليلة من طول ملعب كرة القدم. وأضحى الرجل الساكن وراء الجدار قلب المدينة الرمزي. وربما كان ذلك يليق بروما؛ المدينة التي تحتضن

الكثير من الرمزية. ومشجعو النادي يحملون راية مكتوب عليها *Caput Mundi*، أي كل الطرق تؤدي إلى روما، قلب العالم.

"توتي" هو نجم كرة القدم الوحيد الذي شعر بأنه غير قادر عاطفيًا على اللعب في فريق آخر. وفي ذروة شهرته، كان رعاة كرة القدم يريدون الاستفادة من شهرته ومجده؛ يطاردونه بالسؤال نفسه: "إلى أين تريد الانتقال؟".. لكنه سؤال لا ينطبق عليه إطلاقًا. ومع ذلك، كانت هناك لحظة تحوَّل فيها "توتي" إلى مستقبل أكثر منه حاضرا، وشعر، مثله مثل أي جندي في الامبراطورية الرومانية، بأعراض ومشاعر متضاربة، لكنه قاومها. وأدمن "توتي" الانتماء.

اجتاز المهاجم الإيطالي المرحلة العاطفية التي عجز "مارادونا" عن تجاوزها. وفضَّل البقاء في المكان. وهو يعد النموذج الأبرز في هذا الصدد. وبرغم أن الدوري الإيطالي "الكالتشيو" شهد عددًا لا يُحصى من النجوم الأشهر والأبرز، فإنه تميز عنهم بنجومية الانتماء.

في عالم كرة القدم الإيطالية الغريب، حيث المتعة مركزة مثل قطرات تتساقط في فنجان الإسبريسو، يتميز المهاجم بكونه مخلوقًا فردي النزعة، ويحب أن يركض وحيدًا. وها نحن ذا نتفرج على "فرانشيسكو توتي" وهو يطارد قضايا خاسرة، ويحاول إثبات أن

من الممكن لشخص واحد أن يساوي مدينة. ربما تنهزم روما، ولكنه باقٍ معها في كل الأحوال.

مجانين تمامًا

يحب كرة القدم عدد هائل من البشر إلى حد يمنع الاستمتاع بها بآلاف الطرق المختلفة. كما أنها صارت الوسيلة الأشد فعالية لبيع المنتجات. وهذا وصف جاد للغاية عندما تقارن ذلك ببقية الأعمال التجارية. من هنا كانت ضخامة السوق الإعلانية القائمة على صناعة كرة القدم.

المال هو محرك فِرق الكرة، وهو ما يحدد نتائج مبارياتها إلى حد كبير. أنفق ريال مدريد سبعمائة مليون يورو في الفترة الزمنية نفسها التي أنفق فيها فريق "أوساسونا" الصغير عشرة ملايين فقط. حتى إنك قد تتعجب من أن الفريقين في البطولة نفسها. ومع هذا، نجد أن سجل نتائج مباريات الفريقين معًا يصب في صالح "أوساسونا"، وهو دليل على أن كرة القدم الاحترافية لا تعرف العدالة الاقتصادية.

علينا أن نقبل بحقيقة لا مفر منها: كرة القدم تمثل جوانب أخرى في المجتمع بطرق معقدة للغاية، كما أنها تفتح الباب أمام نماذج غبية

لا حصر لها. أيقظت اللعبة الجميلة رغبة الإنسان في الصياح والصراخ، ولكن العلة هنا غير عقلانية على الإطلاق، ولا علاقة لها بأفكار تتحدث عن الطبيعة النقية للعبة.

في نهجها الديمقراطي تجاه الشغف، جمعت كرة القدم بين أكبر تشكيلة من العيوب. فعندما تسير الأمور على ما يرام، فإن هذا يعني، بشكل غير مناسب بالدرجة الكافية، أن الناس يتصرفون بشكل سيئ في المدرجات بدلًا من المنزل. فكم من نوْبات قلبية تفاداها أصحابها في غرف المعيشة بمنازلهم بفضل ما أظهروه من سلوك صاخب في الملعب!

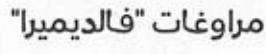
كرة القدم مثل الألياف في غذائك؛ فأنت لا تريد أن تتناولها وحدها، ولكنك بحاجة إلى قدرٍ منها كل يوم. يتجاهل الناس الكثير مما يدور في عقولهم عن كرة القدم، وبالتالي يستغلونها في التنفيس عن الكثير أيضًا. ونحن لا نستطيع أن نحكم عليها من خلال البروتوكولات نفسها لحضور حفلات الأوبرا مثلًا، حتى لو كان القاسم المشترك بينهما هو التنفيس عن فيض العاطفة، وإتاحة الفرصة لتلك النسخة المجنونة من أنفسنا كي تتحرر وتهيمن علينا على مدار تسعين دقيقة، حتى يتسنى للمرء أن يعود إلى منزله بعد المباراة إنسانًا طبيعيًا إلى حد ما.

فهل هناك من طريقة لتوصيف ذلك التدهور الذهني المؤقت خلال المباراة؟ حتى تكتسب تلك الحالة مشروعيتها يجب ألا تتسبب في أي انتهاك أو مخالفة. وهنا نصل إلى جوهر الفكرة: إذا كانت محاولة مقاومة حالة كرة القدم أمرًا لا طائل منه، فإن الدعوة إليها لن تَجذب الآخرين في صفنا كذلك، فلا يمكن لأحد أن يقنع غيره بأن يفرح عمدًا لإحراز هدف. ومن هنا فإن الحديث عن تشارك الحماس على نطاق واسع ومبتذل يحتاج إلى مدخلات أخرى. فلن تجد مثلًا أي علاقة بالمراوغات العبقرية في أرض الملعب والقدرات البدنية الخارقة، ولكنها مهارة وموهبة عجيبة لا تفسير لها، وذات صلة إلى حد كبير بالرقي الذهني؛ يمرر "زيدان" الكرة في مساحة خالية، ولكنه يعلم أن "راؤول" سيكون عندها خلال ثانية؛ يرقص "روماريو" ترقيصة يقف لها كل مَن في الملعب؛ يتوقف "فالديراما" بغتة، تمامًا وكأنه في تنويم مغناطيسي، فيجاريه المدافع غريزيًا وما هي إلا ثانية حتى يكتشف المدافع أن "فالديراما" صار مع الكرة في مكان آخر تمامًا، ويقوم "رونالدينيو" بكل تلك الحركات معًا، بل ويجد الوقت أيضًا لأن يمرر الكرة بكل دقة إلى "إيتو" ليسجل الجول.



مراوغات اساطير كرة القدم





مراوغات "فالديميرا"

تراجيديا

يحتاج المايسترو حتى يشعر بوجوده إلى أجواء درامية تحيط به. وعلى الرغم من أننا لا نجد فيما يُنشر من سيرات ذاتية للاعبي كرة القدم حكايات تكسر القلب كما هو الحال في حكايات المتزلجين على الجليد أو راقصات الباليه الروسيات، لكن الأكيد أن هناك قدرًا من المعاناة في ماضي اللاعب، إلى الحد الذي تُولد فيه الرغبة في إثبات الذات بتسجيل الأهداف في المرمى. وفي عام 1998، أثناء إقامة كأس العالم في فرنسا، حضرت أحد تدريبات منتخب البرازيل، ولم تكن هناك أي إثارة في مشاهدة الحصص التدريبية، ولذلك يجدها اللاعبون الموهوبون مملة مرهقة، وأحيانًا ما يتهربون منها.

في تلك الظهيرة، استغل "جيوفاني" و"ريفالدو" فترة راحة من التدريب ولعبا مباراة كرة طائرة ولكن بالرأس فقط. سجل "جيوفاني" خمس نقاط على التوالي، ثم سجل "ريفالدو" ثلاثًا. لم أشهد أبدًا في حياتي لعبًا تافهًا يُمارس بكل تلك الدقة، وفكرت لحظتها أن تلك المواهب لا تخرج إلا من نوعين من العائلات؛ إما عائلة منكسرة محرومة، أو عائلة روابطها غريبة جدًا، وهنا فقط يمكن أن يخرج منها كل هذا القدر من البراعة. شعرت أن كلًا من "جيوفاني"

و"ريفالدو" يأملان في الوصول إلى أمر غامض لا تفسير له من تنفيذ ذلك التدريب بكل هذا الحماس والدقة.

في كرة القدم، تتسامى المعاناة إلى أن تتبدد في الإرهاق الجسدي. وأولئك الأقل مهارة في تحويل الصدمات والآلام إلى لمسات تداعب الكرة يلعبون في خط الدفاع، أما أولئك الذين تفوق مشكلاتهم مواهبهم في الكرة فيتصفون دومًا باللعب العنيف الخشن.

علمنا "تولستوي" أن العائلات السعيدة لا تكون أبدًا موضوعات جذابة أدبيًا. وكذلك لا يخرج لاعب كرة موهوب من عائلة لم تعرف المعاناة. يلزمك أن تكون شديد التوق إلى ما يسليك أو يغزيك حتى تتاح لك فرصة استعراض موهبتك أمام مائة ألف متفرج في الملعب وملايين المشاهدين الذين يصلون لأجلك أمام الشاشات. أي أن الموهبة تنم عن تراجيديا.

في الرياضات الجماعية، لا بد أن يتشارك الفريق في الشعور بالتراجيديا. ولو نظرنا إلى هولندا، لوجدنا أن حكاية كرة القدم فيها تفتقر إلى الدراما. يوجد في بلاد "رامبرانت" ما يكفي من الدراما لتندلع المشاجرات والمعارك في البارات، أو حتى لأن تكون روايات "هاري موليش" مثيرة للاهتمام، ولكن لاعبي الكرة بها يفتقرون إلى جرعة

المعاناة اللازمة لتحقيق الفوز بالمباريات. وفي كأس العالم 1974، كانت الطاحونة الهولندية ماكينة أهداف لدرجة أنهم كانوا لينتصرون في أي مباراة حتى لو تركوا مرماهم خاليًا من أي حارس. وخلال البطولة، ارتدى قائد الفريق "يوهان كرويف" الرقم 14 في "تقليعة" كانت جديدة وقتها، بل وتحدى جميع المعايير التقليدية في كرة القدم في ذلك العصر، وكنت تراه في كل المراكز وفي جميع أنحاء الملعب.

وفي كأس العالم في الأرجنتين 1978، أتقنوا "الكرة الشاملة"، حيث كان اللاعبون يتبادلون المواقع باستمرار ويتناوبون فيها في كل أرجاء الملعب، وكاد الأمر يصل إلى حد "السادية" بأن ضم المنتخب لاعبين توأم متطابقين، "رينيهط و"ويلي فان دير كيركهوف"؛ ولم يكن المنافسون ولا حتى الإعلاميون قادرين على التمييز بينهما أبدًا. وفي بطولتي العامين 1974 و1978، كانت هولندا الأفضل والمهيمنة على كل شيء، ولكنها برغم ذلك خسرت المباراة النهائية لكلتا البطولتين أمام فريقين أقل مستوى وذكاءً، ألمانيا والأرجنتين، والسبب هو أن قدرة الألم والمعاناة لدى أفراد الفريقين البطلين كان أكبر بكثير مما هو لدى هولندا.

خسرت هولندا في 1974 أمام ألمانيا؛ وفريقها المكون من مجموعة من الكبار في السن الذين كانوا حريصين على إنهاء مسيرتهم بإنجاز

مهما كان الثمن (بعضهم تعرض لمواقف مؤلمة في البطولات السابقة؛ خسارة الكأس أمام إنجلترا في 1966 والخروج من بطولة 1970 في الدور قبل النهائي بعد مباراة ملحمية أمام إيطاليا). وكان الشخص الوحيد الذي انتقد طريقة لعب هولندا هو الأديب "أنتوني بورخيس"، الذي كان دومًا ما يرى في الكرة نشاطًا راقيًا رفيع المستوى، واعتبر أن هولندا أبرع مَن قدم ذلك النموذج الذي رسمه للعبة، حتى إنه كان يتمنى لو كان من الممكن لأقدام هؤلاء البرتقاليين أن تجسد أحداث رواياته بدلًا من كاميرات السينما. وبرغم أن الجميع وجد في الفريق الهولندي ما كان يحلم به، فإنهم خسروا أمام ألمانيا، وعادوا بعد أربع سنوات ليخسروا مجددًا أمام الأرجنتين، التي كان أفراد منتخبها يعانون تراجيديا من نوع آخر؛ فقد كان فريق المدرب "مينوتي" يفتقر إلى النجوم، علاوة على كونه متهمًا من جمهوره بمناصرة نظام الحكم العسكري.

ربما كان السبب في أن تلك المسيرة البرتقالية الأسطورية لم تتوج ببطولة العالم هو أن المنتخب لم يكن يعاني الحرمان من أي شيء، وقانون البطل يحتم عليه أن يتعرض خلال مسيرته لانتكاسات وانكسارات، حتى يتسنى له النهوض من جديد من قلب رَماد الهزيمة.



ملخص مباراة هولندا والأرجنتين كأس العالم 1974

وفي النهاية.. تفوز ألمانيا

توقَّع الجميع أن تكون بطولة كأس العالم التي أقيمت في سويسرا عام 1954 تأكيدًا على تفوق وهيمنة الفريق المجري لكرة القدم. وبرغم أن بطولة 1950 شهدت خسارة البرازيل الكأس على أرضها، ولكن الفريق المجري كان مرشحًا من دون أي منافس هذه المرة. فهو الذي لم يذق طعم الخسارة في أي مباراة طوال أربعة أعوام ونصف العام.

ولا يمكن لجمهور الكرة أن ينسى للمجر أنها أذاقت الفريق الإنجليزي مرارة الهزيمة في مباراتين متتاليتين خلال التحضير لكأس العالم؛ 6-2 و7-1. وعرف العالم براعة "كوزيتش" و"هيديكوتي" و"بوشكاش". وكان الفريق المجري المشارك في بطولة 1954 أول مَن يطبق خطة 4-2-4 وأول مَن يستفيد من لاعبي منتصف الملعب هجوميًا، أي أن من الممكن تسجيل الأهداف من منتصف الملعب أيضًا.

وكان حارس المرمى "جولا جروزيتش" سابقًا لعصره، فكان أول مَن يمرر الكرة لزملائه بقدمه. وكان جميع اللاعبين، فيما عدا "هيديكوتي"، من نادي "هونفيد" التابع للجيش، لذلك كان التآلف والانسجام بينهم على أعلى درجة. بل وكانوا يمارسون رياضات أخرى معًا. إنها يوتوبيا اشتراكية فوق أرض الملعب.

ولم تكن هناك أي مفاجأة في أن يحرز المجريون سبعة عشر هدفًا في أول مباراتين في كأس العالم في سويسرا، واللافت أنهم هزموا ألمانيا 8-3، في مباراة أصيب فيها "بوشكاش". وهكذا، عندما التقى الفريقان مرة أخرى في المباراة النهائية، لم يكن هناك أي شخص يتوقع أي شيء سوى فوز المجر.

فما الذي فعلته ألمانيا للوقوف في وجه القدر؟ استعانت بالصفة ذاتها التي طالما لازمتها في ملاعب الكرة؛ القدرة على تحويل المعاناة إلى مآثر ملحمية. كان قائدهم، "فريتز والتر"، لاعب مخضرم في الثالثة والثلاثين، ويخاف الطيران؛ فقد كان أحد المظليين الذين شاركوا في الحرب وشاهد أعز أصدقائه يموت أمامه. وكان عليه أن يقود حفنة من اللاعبين الأصغر سنًا، والمدمرين نفسيًا بعد الحرب.

كان مديرهم الفني، "سيب هيربيرجر"، أحد أولئك الحكماء الذين تقدمهم ألمانيا للعالم بين الحين والآخر. وفي المباراة الأولى ضد المجر، أنزل إلى الملعب تشكيلة غير متوقعة من اللاعبين، كما لو كان مقتنعًا بالهزيمة ويريد أن يدخر جهود اللاعبين الأساسيين. ولكن كل تصريحاته بعد المباريات كانت تناقض تلك الفكرة. ففي كل مرة يسأله فيها الصحفيون عن مصير مباراة، يجيب بجملة وحيدة: "الكرة مستديرة". كما لو كانت لعبة الصدفة، والتي يستحيل فيها الجميع تحت رحمة تصاريف القدر ما إن تنطلق صافرة بداية المباراة.

"بوشكاش" يُعاني إصابة، وثارت التكهنات حول احتمالات مشاركته في المباراة النهائية. وعرض الألمان، في خطوة فسرها المراقبون بأنها استسلام مسبق، المساعدةَ الطبية على المجر، وهو ما رفضه المجريون.

وظهرت عبقرية "هيربيرجر" عشية المباراة النهائية، وشرح للاعبيه، بصوت هادئ بطيء النبرات؛ أن المجريين يتفوقون حتمًا في الظروف العادية، ولكن الأمور ستكون مختلفة في حالة هطول الأمطار. وكما قال "فيكتور هوجو" عن نابليون، فقد خسر معركة "ووترلو"، لأن المطر منعه من استخدام مدفعيته بشكل جيد، كما أعاق سلاح الفرسان. يصيب الطقس السيئ أولئك الذين يمكنهم التكيف مع الطين والفوضى.

وعندما شعر "هيربيرجر" بتساقط أولى قطرات المطر، أدرك أن المباراة النهائية في ملعب "برن" ستكون مشهدًا آخر من مشاهد حرب الخنادق، وفرصة لكي ينتصر الشجعان اليوم.

سأعود بك إلى أحد أكثر الأحداث شهرة في تاريخ الكرة؛ نحن هنا أمام نهائي لم يقبل أي توقعات متناقضة. وسجلت المجر هدفين في غضون ثماني دقائق؛ ولم يندهش لذلك أحد. جمع "فريتز والتر" لاعبي فريقه، وتحدث إليهم ببعض كلمات لم يسمعها غيرهم، ولم يعرفها غيرهم. فما الذي يمكن أن يقوله هذا الرجل الذي لم يسمع في حياته إلا أصوات الطائرات وهي تتحطم؟ ما فحوى رسالته المؤلمة؟

يقدم لنا فيلم "معجزة برن" تلك التوقعات العديدة التي أطلقتها المباراة. كانت بالنسبة للبعض شاهدًا على ما حل بألمانيا من كوارث بعد المأساة النازية، ووجدها البعض الآخر فرصة لتستعيد تلك الأمة فرحتها. بدأت المباراة بشكل سيئ لهم، ولكن كل شيء يوشك أن يتغير. وُلد المهاجم الإنجليزي "جاري لينيكر" في تلك الفترة تقريبًا، وهو صاحب العبارة الشهيرة: "كرة القدم لعبة بسيطة.. يطارد اثنان وعشرون لاعبًا كرة في ملعب أخضر على مدار تسعين دقيقة.. وفي النهاية يفوز الألمان".

لو أن الفريقين لعبا عشر مرات متتالية، لفازت المجر بتسع مرات على الألمان. ولكنها كانت تمطر في ذلك اليوم، وأدركت ألمانيا كيفية الاستفادة القصوى من ذلك الظرف الصعب. وانتهت المباراة لصالحهم 3-2، ورفع ملوك التراجيديا الكأس.



ملخص مباراة ألمانيا والمجر كأس العالم 1954

لنتوقف هنا عند مفهوم تسلل إلى عالم الكرة، وثبت أقدامه إلى أن صار بمثابة الحقيقة التي لا يمكن لأحد أن يتصدى لها؛ إنه ما نطلق عليه "الضغط العالي" لفريق على آخر. عرف تاريخ الكرة أمثلة عديدة على الضغط العالي؛ حتى إن هناك بعض الفرق التي تنهزم دومًا في ملاعب بعينها من دون سبب منطقي، ومهما كانت قوتها في مقابل ضعف منافسيها. وهنا لا يهم أن يكون سجلُّ الفريق ذهبيًا وخاليًا من الهزائم، ولا يهم إنْ كان مَن يقودهم من خارج الخطوط عبقريًا في التكتيك الكروي. وذلك نموذج آخر على هيمنة القدر على اللعبة الجميلة. يتغير اللاعبون ويبقى الفريق عاجزًا عن الفكاك من براثن القدر في كل مرة.

ولدينا أمثلة واضحة في بطولتي العالم 1974 و1978. ففي مونديال ألمانيا، قدمت هولندا كرة رائعة، ولكنها كانت ضحية الضغط العالي. وفي المقابل، لم يكن مستوى الفريق الألماني استثنائيًا، وكانت خططه متوقعة؛ حتى إنه خسر أمام ألمانيا الشرقية، وفاز على فريق "شيلي" بصعوبة، وتعرض لضغوط كبيرة من جماهيره التي أدركت أن الفوز بالكأس أمر صعب. ولكن كعب ألمانيا العالي في بطولات كأس العالم هو ما صنع الفارق. كان للفريق كابتن اسمه "فرانز بكنباور"؛ ذلك الليبرو الذي عرفه العالم في مونديال 1966. تميز بانتصاب قامته دائمًا في أرض الملعب - وهو أمر غير معهود في لاعبي الكرة - وقدرته على الركض بطريقة مزجت بين السرعة والكبرياء والهيمنة. وذات مرة، حضر الفيلسوف الألماني "مارتن هيديجر" مباراة يلعب فيها "بكنباور"، ولم يكن الرجل يعرف أي شيء عن اللعبة، ولكنه انتبه إلى الشاب وطريقته في اللعب، ووجد نفسه يطلق عليه لقبًا قدر له أن يلازم اللاعب حتى يومنا هذا.. "القيصر".

انفطر قلب الشاب خلال بطولتي عالم متتاليتين. ففي 1966، شاهد الكأس وهي تسرق من بلاده بهدف لا أحد في العالم كله يعرف حتى الآن ما إذا كان هدفًا أم لا (اعترف الحَكم المساعد الروسي الذي أشار للحكم الرئيسي باحتساب الهدف أن لغة جسد اللاعبين أثرت في

قراره.. فقد كان حارس مرمى ألمانيا مندهشًا مذهولًا، بينما طار المهاجم الإنجليزي في الهواء احتفالًا بالهدف حتى من قبل أن يُحتسب). أما في المكسيك 1970، فقد كان "بكنباور" في الجانب الخاسر من المباراة المذهلة التي أطلق عليها "مباراة القرن" أمام إيطاليا، بل شارك في أغلب أوقاتها بكتف مخلوع.



"بكنباور"

وفي المقابل، كانت هولندا في قمة بهجتها. حتى إنه كان مسموحًا للاعبيها بالشرب والتدخين خلال الاستراحة بين شوطَي المباريات، وتزورهم زوجاتهم في الفندق. بينما وصل الألمان إلى المباراة النهائية بكل رهبة، وكأنهم مساقون إلى جبهة القتال. وكان من الطبيعي أن يفوزوا. حتى من دون ضغط عالٍ. ولكن المسألة كانت مختلفة مع الفريق الأرجنتيني في مونديال 1978، لأنهم كانوا يلعبون على أرضهم وأمام جمهورهم، ورغم ذلك خسروا من إيطاليا، قبل أن يهزموا "بيرو" في مباراة مشكوك في نزاهتها. ولكنه منتخب حمل على عاتقه أحلام أجيال من اللاعبين الأفذاذ الذين لم ينالوا الكأس رغم أنهم يستحقونها؛ "دي ستيفانو"، "سيفوري"، "بديرنيرا"، وغيرهم. كانوا

مع مدربهم "مينوتي" مطالبين بتسديد ذلك الديْن القديم، مهما كانت الظروف والملابسات. إنها فكرة المعاناة والتراجيديا مجددًا.



ملخص مباراة الأرجنتين وهولندا - نهائي كأس العالم 1978

لا توجد طريقة دقيقة لمقارنة المعاناة التاريخية في مباراتين مختلفتين. فإذا كان أحد المدافعين يشك في أن زوجته تخونه مع صديقه بينما هو مع الفريق في الفندق، فالمعاناة هنا حقيقية ولكنها لا تحمل أبعادًا تاريخية. فهو سيخوض المباراة في اليوم التالي ويسجل هدفًا رائعًا أيضًا. بينما ألَمُ مَن سبق لهم أن تعرضوا للموقف نفسه أقوى بكثير؛ لأنه نتاج تاريخ طويل. لقد عرفنا من فيلم وثائقي عن الملك "بيليه" أنه تابع وهو صبي نهائي مونديال 1950 عبر الراديو، واستمع مذهولًا إلى تفاصيل هزيمة البرازيل في "الماراكانا". ويومها صمم على أن يفوز بتلك الكأس لبلاده. وهو الوعد الذي أوفى به ثلاث مرات.

تلك أمور لا يمكن أن تنطبق على المنتخب الهولندي. في بطولة أوروبا 2000، كانوا أفضل فريق في القارة. ويلعبون على أرضهم، وسط جمهور احتفالي ضخم. ولكن، ها هو ذا "باتريك كلوفرت" يضيع ركلتي جزاء في المباراة نفسها، ولكنه يظهر مبتسمًا للكاميرا وكأنه في معرض نباتات. وهذا دليل واضح على صعوبة أن يؤثر شيء في بهجة القاطنين هناك في البلاد الواطئة.

ما أريد أن أقوله هو أن إضاعة ضربة جزاء في مباراة للمنتخب قد تتسبب في كوارث وضحايا في بلد مثل البرازيل. ولن تفوز هولندا بكأس العالم إلا عندما تصبح بلدًا أقل سعادة مما هي عليه، حتى يتيح شعبها لنفسه الفرصة لكي يشعر بالغضب والغيظ والإحباط، وهي مشاعر لم يعرف لها طعمًا حتى الآن.

هزيمة جميلة

يساعد ذلك الحس التراجيدي المشجعَ أحيانًا، ومع هذا فربما تشبه كرة القدم الـ"رانكيرا"؛ ذلك اللون الغنائي المكسيكي الشعبي الميلودرامي، وعندئذ يكون أفضل ما يقوم به مشجع الكرة هو إطلاق العنان لغضبه وسخطه كاملًا.

أذكر هنا اللاعب الفرنسي "كريستيان كاريمبو"، الفنان الذي لعب يومًا في ريال مدريد، وكان يجذب جميع فلاشات الكاميرات عندما يغادر الفريق الملعب بعد المباراة. فهناك شيء في وجهه يتطابق مع نموذج مثالي للألم الملحمي، وكأنه زعيم خلعوه عن عرشه. كان "كاريمبو" واحدًا من عمالقة اللعبة الذين بدوْوا خاضعين لأحكام المصير وليس الجمهور الذي حضر لتشجيعه. ومن الواضح أن ملامحه وتعبيرات وجهه التراجيدية القوية كانت أكثر ملاءمة المصورين والصحفيين مما كانت عليه للنادي، فقرر الاستغناء عنه.

وهناك من أحسن الاستفادة من تلك التراجيديا؛ كان الحارس البرتغالي "فيتور بايا" يجيد الاستفادة من تعبيرات اللا مبالاة التي يجيد إظهارها. ومثله مثل الهولنديين السعداء، خصص حارس برشلونة السابق معظم تركيزه وطاقته في تجميل شاربه وذقنه وسوالفه، فكانت تبدو وكأنها من إبداعات "سلفادور دالي". وربما لأنه ينتمي إلى بلاد أغاني "سوداد" الحزينة، لذلك برع في إظهار تعبيرات الوجه الغاضبة في كل مرة يدخل مرماه فيها هدف.

وربما تمتد قدرات "بايا" إلى بلاده أيضًا. ففي كل مرة تدور فيها مباريات كأس العالم، يساند المعلقون المكسيكيون الفريق البرتغالي بجنون، ومن بين أسباب ذلك أننا نتوقع خسارة المباريات مثلهم.

ولأنهم كذلك يتمكنون من تقديم كرة قدم رائعة لأول مباراتين في البداية، حتى إن مدافعيهم يسجلون الأهداف. كما أنهم وسيمون بطريقة لافتة. تشعر وأنت تراهم أنهم من هؤلاء الذين لم تسِر أمورهم على ما يرام، ولكنهم مستعدون (بدعم وتشجيع الجمهور) لقلب الطاولة على الجميع. ولسوء الحظ، تأتي المباراة الثالثة ويسوء مستواهم ولا يجدون من يهاجمونه سوى الحَكم المسكين.

من الصعب أن تجد منتخبًا لا يشعر أفراده أنهم مسؤولون عن الهزيمة والتقصير مثل هذا المنتخب، وتجد المراسلين الصحفيين، المسحورين بتلك الكاريزما البرتغالية، يتجاوبون معهم لفترة أطول مما تتوقع عادة، بل ويحاولون البحث عن أي تبريرات غريبة للانهيار اللاحق. ووصل هذا الرفض الأسطوري للنجاح إلى ذروته في بطولة أوروبا 2004، والتي أقيمت في البرتغال. وقد لخص أحد صحفيي البرتغال الأمر على النحو الأمثل: "لاعبونا يفتقرون تمامًا إلى الرذيلة: هم لا يدخنون، ولا يشربون، ولا حتى يؤدون كرة قدم حقيقية".

كان تفاني اللاعبين البرتغاليين للفن من أجل الفن عظيمًا للغاية، لدرجة أنه يمكن اعتبار ما حدث لهم في بطولة 2004 نوعًا متناقضًا من الكفاءة. لم يتوقع أحد أن يصلوا إلى المباراة النهائية، حيث التقوا فريقًا يونانيًا تطور كثيرًا بفضل الألماني "أوتو ريهاجل"، ولكنه كان

نموذجًا حيًّا للحظ الحسن. كانت كرة القدم تميل إلى الجانب البرتغالي، وكذلك الحظ العثر. وكما هي عادتهم، تركوا الكأس تفلت من بين أيديهم. وأُعجبنا - نحن المكسيكيين - بهم مرة أخرى، ونحن نعلم أننا لن نخسر أبدًا بهذه الطريقة، أي أن نكون طرفًا في مباراة نهائية.



ملخص نهائي دوري أبطال أوروبا 2004: اليونان والبرتغال

وأدلت كولومبيا بدورها أيضًا في سيكولوجية الهزيمة. فقد فاز فريق المدرب "فرانسيسكو ماتورانا" على الأرجنتين 5 - 0 عشية كأس العالم 1994 وبدا الجمهور على يقين من أنهم ذاهبون نحو هدف أكبر. وخلال السنوات الأربع السابقة على البطولة، كان المنتخب رهيبًا بحق، وصنع أفراده مهرجانًا صاخبًا من الألوان وقصات الشعر وتصفيفات اللحية، وكنت تراهم مثل مجموعة من الفرسان أو القراصنة. كما كان لديهم عدد من اللاعبين السود الأفذاذ في المهارة والسرعة. أما رمزا الفريق، "هيجيتا" و"فالديراما"، فكانا من تلك الفئة من اللاتينيين الذين يحتاجون إلى جمهور متحمس حتى يتفضلوا بموهبتهم على الجميع. كان كلاهما واثقًا تمامًا من نفسه،

ومن الانتصار في كل مباراة. تشعر أنهما متمردان لا يخضعان أبدًا لأي قانون على أرض الملعب؛ ويقدمان على تنفيذ حركات متهورة محفوفة بالمخاطر وبلا طائل لمجرد إثبات ذلك التمرد. ولم يسبق لحارس مرمى أن كان بمثل ذلك الطيش الذي كان عليه "هيجيتا"، كما لو كان يلهو في حارة، ولا ينسى أحد أنه قام بحركة غريبة شهيرة، صارت تسمى بـ"حركة العقرب"، أنقذ بها الكرة من فوق خط المرمى بطريقة امتزجت فيها الجرأة بالجنون. أما "فالديراما"، فكان تجسيدًا لعبارة قالها لي الشاعر "داريو جاراميلو أجوديلو": "نحن نلعب كرة قدم رائعة، ولكن بالحركة البطيئة". فمن غير المناسب أبدًا أن يكون لاعب خط الوسط بطيئًا. ولكنه اعتبرها مسألة مبدأ، ورأى أن هدوءه ميزة وسط لاعبين يكادون يفقدون عقولهم من الحماس.



حركة العقرب التاريخية

لعبت كولومبيا في بطولتي 1990 و1994 وكأن الخسارة لا تهمها. الأمر الذي جعلهم مختلفين عن المنتخب البيروفي الكبير في المكسيك 1970 تحت قيادة "ديدي"، والذي لعب أيضًا بتفاؤل لا يعرف الخوف ولكنه بذل كل شيء لأجل الفوز حتى صافرة النهاية.

لعب الكولومبيون بطريقة مرحة رائعة. فكان الكل يخرج وهو فرح بهم، حتى لو كانت الخسارة هي نصيبهم. لم يهزمهم أحد؛ لأنهم كانوا يهزمون أنفسهم.

أظهر الفريق الكولومبي العظيم في تلك السنوات الأربع أن النتيجة مسألة ذاتية للغاية وأن الفوز والهزيمة علاقة مبتذلة. كانوا أسيادًا في ترسيخ فكرة أن إرضاء الذات هو الأهم، وأن عليهم ألا يقلقوا بشأن تحقيق النصر. شاهدنا الحارس "هيجيتا" وهو يركض حتى مرمى المنافس ليسدد هو ركلة حرة، قبل أن يعاود الركض بكل رضا عن النفس إلى حيث يقف في مرماه. وكأنه يجد متعة في أن يشعر بالخطر الدائم للهجوم المضاد من الفريق المنافس.

لم تكن المعجزة الكروية الكولومبية تبحث عن جائزة. فهل كان هناك إنجاز أمريكي لاتيني أكثر من ذلك الذي حققه هؤلاء القراصنة، أسياد الكرامة المتمردة، بعد أن قدموا عروضًا مبهرة من دون أي اهتمام بفوز أو جائزة؟

لذلك كانت كولومبيا أعظم نموذج للأسلوب الذي يعجب المشجعين. فلا يكفي أن تخبر اللاعبين بأنك تحبهم وأنهم رائعون؛ فمن الضروري أن تؤكد لهم أن هناك بالفعل فرصة للفوز بشيء ما، يومًا ما.



تاريخ كولومبيا في كأس العالم

شغف زائف

هناك مجموعة كبيرة من السلوكيات التي نراها على أرض الملعب، والتي لا سبيل إلى تصنيفها، وذلك لأنها مصطنعة في أغلبها. إنها حلبة تتجلى فيها الأنانية وحب الذات، ولكنها تتخفّى أحيانًا وراء قناع يُدعى التواضع وتستخدم المهارة البارعة لخداع الحكام، حتى صارت اللعبة تعتاد تلك التصرفات الزائفة، ومنها ما يبدو ساذجًا طبيعيًا، مثل ذلك الذي فعله حارس شيلي "روبيرتو كوندور روخاس" في سبتمبر 1989. المباراة في الماراكانا، والخصم هو البرازيل، والمنافسة هي السعي إلى التأهل لمونديال إيطاليا 1990. دخل الحارس إلى المباراة وقد دس شفرة صغيرة حادة في داخل قفازه. وبعد أن تأكد من استحالة أن تتعادل شيلي بعد تقدم البرازيل بهدف، انتظر إلى أن سقط شمروخ من أحد الجماهير قريبًا منه في الملعب، وأخرج الشفرة خفية وأحدث جرحًا حادًا في جبهته. ولما اقترب الحَكم، زعم الحارس

الساقط على الأرض أن الشمروخ هو الذي أصابه. وبرغم أن النتيجة كانت ستبقى على حالها حتى في حال إلغاء المباراة، فإن موقف الفريق الخاسر سيكون قويًا في حال تم إثبات أن ظروف إقامة المباراة لم تكن رياضية. أما أغرب ما في هذه الحكاية فهو أن "روخاس" اعترف بالحقيقة في النهاية، وقرر الفيفا إيقافه مدى الحياة.



إصابة "روخاس" في مباراة تشيلي والبرازيل

قابلت رجلًا قبل بضع سنوات مات مائتي مرة. طبيعيّ.. فقد كان يعمل دوبليرًا في أفلام المخدرات وأفلام الكاوبوي التي يصورونها في "دورانجو" أحيانًا. كان خبيرًا في السقوط من على السلالم والقفز من البلكونات والارتطام بالسيارات. ولكنه في النهاية تقاعد وهو يعاني آلام الظهر، وسببت مسكنات الألم التي كان يتعاطاها قرحة في معدته. يا له من ثمن لمجال عمله.

كان متخصصًا في الموت بطريقة تخطف العدسات. رأيته فشعرت أنه يصلح أن يكون لاعب كرة قدم. جاوبني بحق، هل وجدت في أي رياضة أخرى تلك المستويات المتطرفة من التمثيل المسرحي؟ فجأة،

يطير المهاجم في الهواء، قبل أن يرتمي أرضًا وهو يتدحرج بكل ألم
ويصرخ ويستغيث، وهو في الحقيقة لا يعاني أي شيء، ولكنه يريد من
كل ذلك أن يحصل منافسه على بطاقة حمراء، أو صفراء على الأقل.

يدخل الجهاز الطبي سريعًا.. ويتعافى اللاعب في غضون ثوانٍ،
ويقف سليمًا ليس به سوى بعض البلل في شعره وقميصه. وهكذا
تحول الملعب إلى ما يشبه الأرض التي ينبعث منها الموتى، ولكنهم هنا
لا يمشون، بل يركضون. حتى صار من الصعب على الحكم أن يحدد
ما إذا كان الساقط أمامه مصابًا فعلًا أم كذابًا.. لأنهم جميعًا يكذبون.

لا يمكنك أن تتخيل حدوث موقف كهذا في ملعب "بيسبول" أو
كرة القدم الأمريكية. نجد هذه الأخطاء الملفقة فقط في كرة القدم،
وهذا يعود جزئيًا إلى أخطاء الحكام ومساعديهم؛ فإذا كان اللاعب
ذكيًا، فيمكنه أن يخدع صاحب الرداء الأسود الذي عليه مهمة شاقة
تتمثل في أن يبقى دومًا قريبًا من الأحداث.

حدثت في مونديال فرنسا 1998 واقعة توجز تمامًا مدى قوة تأثير
تلك الحركات، التي اعتبرها "بانتومايم كروي". فقد عبر "دييجو
سيميوني"، الأرجنتيني الذي كان رمز ثبات المستوى خلال مسيرته مع
"أتليتكو مدريد" و"إنتر ميلان"، عن حبه للأضواء في مباراة إنجلترا،

وكانت أجواء اللقاء بين الدولتين مشحونة مفعمة جدًا لدرجة ظن الجمهور معها أن مصير جزر "فوكلاند" يتعلق بها. تجاوز الشوط الأول كل التوقعات وقدم الفريقان ملحمة كروية انتهت 2 -2، منها هدف لـ"مايكل أوين" في أول ظهور له على المستوى الوطني. لكن في الشوط الثاني، التحم "ديفيد بيكهام" مع "سيميوني"، وارتمى الأخير على الأرض، ركله "بيكهام"، ركلة خفية ولكنها متعمدة. نحن حتى هذه اللحظة أمام تفاعل بشري محكوم بالمنطق المشاكس لمملكة الحيوان، ولكن بعد ذلك كان انتقام "سيميوني" على الطريقة الكلاسيكية؛ انهار الممثل القدير أرضًا وكأنه يحتضر، وهي حركة دفعت الحَكم إلى تغيير الأصفر بالأحمر. وبعد عامين، التقى "بيكهام" مع فريقه "مانشستر يونايتد" بـ"سيميوني" الذي كان يلعب لـ"إنترناسيونالي"، ومد الأرجنتيني إليه يده يصافحه وكأن شيئًا لم يكن. وكم هو طريف أن يُذكِّرني لاعب قوي جاد مثل "سيميوني" بصديقي دوبلير الأفلام الذي مات أكثر من مائتي مرة؛ كلها كاذبة.



طرد "بيكهام" في مباراة إنجلترا والأرجنتين عام 1998

"خوان خوسيه أريولا".. المبشر بالبنج بونج

حاولت ذات مرة الالتحاق بفريق البنج بونج المكسيكي، كان ذلك في يونيو 1970، قبل عامين من إقامة أولمبياد "مكسيكو سيتي"، وقبل أن تكتسب تلك اللعبات الصغيرة وهجها الجذاب. كنت في الرابعة عشرة، وأحببت تلك اللعبة التي شاهدتهم يلعبونها في غرفة الطعام بمنزل الكاتب "خوان خوسيه أريولا"؛ حيث كان يمتلك طاولة بنج بونج أصلية.

كان "أريولا" يغير منزله دائمًا، ولكنه يبقى في ضواحي "كولونيا". كان يقول: "أغير النهر، ولكنني لا أغادر ما بين النهرين". في ذلك الوقت، كان يعيش في شارع يدعى "ريو نيلو" (شارع نهر النيل)، وكان مهتمًا بمشروع بناء سد أسوان على النيل المصري، كما لو أن للسد علاقة بحركة مرور السيارات على امتداد شارعه. كنت ألعب تنس الطاولة بأسلوب دفاعي، وشجعني على تجربة ضربة ماكرة كان يسميها: "سد أسوان غير العالي".

كانت شقة "أريولا" تنقسم كل يوم سبت إلى مجموعتين؛ أولئك الذين يلتفون حول طاولة البنج بونج، وآخرون يفضلون لعب الشطرنج في خلفية المشهد، وسحب دخان السجائر تحوم فوقهم. بالكاد هناك أي أثاث في المكان، والذي صار يشبه مزيجًا من نادي اجتماعي وصالون للمثقفين. وعندما يجوع المايسترو، يذهب إلى المطبخ ويفتح كيس شيبسي، يأكل منه، ويشرب جرعات من زجاجة خمر صغيرة يحتفظ بها في جيب سترته ولم يسمح لي أبدًا بتذوقها.

وخلال ماراثون البنج بونج هذا، كان "أريولا"، مؤلف رواية "التآمر" Confabulario ينتقل من غرفة إلى أخرى وهو يردد القصائد والمعلومات الرياضية، بعينين منتفختين، وشعر أجعد أشيب أشعث.

تقاعد "أريولا" من عمله كفنان وممثل وحرفي وبائع قماش وكاتب مرموق، واعتبر شغفه بالرياضة امتدادًا لحبه للكلمات. يمكنك أن تعتبره أقرب إلى معلق منه إلى مراسل؛ يبشر بما يريد لمن هم حوله. كان يوضّح مجريات المباريات قبل أن تبدأ، ولا يهتم بوصفها التفصيلي حين تبدأ. كان نحيفًا ورشيقًا للغاية، حتى إنه كان يصل بكعب قدمه إلى أعلى رأسه. هناك حيوية مسرحية في مشيته، وغالبًا ما كان يجول وهو يرتدي معطف فراء ادعى أنه كان للصحفي الثائر الشهير "خوسيه ماريا بينو سواريز". يتحرك بسرعة إلى حد ما،

ويترك لي الدراجة "الياماها" التي كان يحتفظ بها في الطابق السفلي قبل أن ينطلق بسيارته إلى الجامعة. كل هذا كان قبل وقت طويل من أن يلتهم التليفزيون عالم الكتاب المكسيكيين. وفي أيام السبت، كان "أريولا" يتنبأ بنتائج مباريات البنج بونج والشطرنج، مستخدمًا عبارات موحية بليغة، وكأنه عرَّاف.

على الرغم من أنه كان فاهمًا للفنيات، فإنه يميل دائمًا نحو الاستعارة المجازية. وعندما شاركت في دوري تنس الطاولة على مستوى المدينة، وضعتني القُرعة أمام خصم كبير في الجولة الأولى: لاعب يمارس اللعبة بمستوى يتناقض تمامًا مع اسمه: "موديستو" أو المتواضع. كان يعمل سائق قطارات مترو، ومتمرس على طاولة البنج بونج وكأنها القضبان. كنت وجهًا جديدًا، وكانت نقطة قوتي الوحيدة هي تصميمي على عدم الاستسلام للهزيمة. وعندما أخبرت "أريولا" أنني سوف ألعب مع "موديستو"، قال لي مشجعًا:

- دعْه يدخل حظيرة الدجاج مرة، ولن يكون طاووسًا بعد الآن.

نلت هزيمة ساحقة، لكنني لم أنسَ هذه العبارة أبدًا. تدين كل الألعاب الرياضية بمثل تلك العبارات التي تبقى تدور داخل رؤوس اللاعبين. لتعبيرات معيّنة القدرة على تنشيط "الميتوكوندريا" في

أجسادهم، فتمنع عنهم التعب والتعرّق، وتبقيهم متحمسين برغم الشدائد، وتدفعهم للفوز بالكأس، ذلك الكائن الغامض الذي لا جاذبية فيه إلا رغبة الكل في الحصول عليه. كانت صيحات "أريولا" التشاؤمية أكثر أدبية من الحيل والخدع، ولكنها أظهرت الترابط الحميم بين المجهود البدني والخيال.

فهل يمكن حساب حياة الرياضي على نحو كامل؟ إن أول رد على سؤال ميتافيزيقي مثل هذا هو أن لكل رياضة فكرها الخاص. وأنا أعتبر أن البنج بونج نقيض كرة القدم.

كان الهدف من المباريات التي تقام في شقة "أريولا" تمضية الوقت. لذا كانت الأمور مختلفة تمامًا عندما ذهبت إلى المركز الأوليمبي المكسيكي لأطلب الانضمام إلى فريق تنس الطاولة. قابلت "نوبويوكي كاماتا"، المدرب الذي كان قد وصل مؤخرًا من اليابان، البلد التي كانت فلسفة "الزِن" تمتزج فيه مع أفكاره حول الرياضة. بالنسبة لـ"كاماتا "، يمكن للرياضي الذي يجيد التركيز أن يحجب عقله عن أي مونولوج داخلي وبالتالي يصل إلى مرحلة تتحول فيه إلى حركات آلية عجيبة من خلال الجهاز العصبي. "من يفكر، يخسر"، هكذا كان شعار "كاماتا". مثل الرامي الذي يطلق السهم المثالي دون أن يرى الهدف، هكذا ينبغي أن يكون لاعب البنج بونج، الذي يفرغ

عقله، ويترك العنان ليده. وتفريغ العالم الداخلي بهذه الطريقة يتطلب انضباطًا شبيهًا بانضباط الرهبان؛ وهي خصلة لم أكن قادرًا على بلوغها، في حين أتقنتها أختي "كارمن"، وأصبحت بطلة قومية وسافرت إلى الصين. هناك تدربت على أيدي خبراء حقيقيين في فن الحركة على هامش الفكر.

بنج بونج من دون توقف، وكأنك داخل قوسين يتقافزان، وهذا هو السبب في حاجة اللاعب إلى الاستغناء عن الأفكار. ففي مثل هذه المنطقة السريعة لا يكون هناك مكان إلا للفطرة وردود الفعل الغريزية. "من يفكر، يخسر".

الغريب أن "أريولا" كان يرى كرة القدم رياضة أقل ذهنية من التنس أو البنج بونج، بسبب عدم وجود ذلك المضرب الوسيط بين الجسد والكرة. يعتبر أن أفعالها فظة، لأن الفعل البشري لا يمر عبر أداة من صنع الحضارة، كما أنها لا تمارس بالأيدي، التي هي أساس الثقافة الإنسانية. بينما تستلزم التنس تطورات تاريخية أكثر تعقيداً، ونظام تسجيل النقاط فيها معقد، ومضاربها شهادة على نوعية الصناعة والبراعة الحرفية التي تحصل على أفضل النتائج من أوتار مصنوعة من أحشاء القطط.

كان "أريولا" معجبًا بالرياضات التي خرجت من رحم التكنولوجيا والحرفية؛ كان مأخوذًا بالتقنيات المستخدمة في تصنيع المضارب السويسرية، وكذلك طريقة مسك المضرب والتي تعرفك فورًا بما إذا كان اللاعب ينتمي إلى المدرسة الشرقية أو الغربية للعبة؛ وبتفوق الصينيين في تصنيع الطلاء الخاص بسطح طاولة اللعب. وعلى الرغم من أنه ولد في "خاليسكو"، مهد ثقافة كرة القدم المكسيكية، فإن اللعبة الجميلة صدمته واعتبرها رجعية؛ خطوة إلى الوراء تعود بالبشرية إلى أيام ما قبل الأدوات.

عجزتُ عن مواجهة بلاغة "أريولا"، ولم أنجح في الدفاع عن كرة القدم. ولكن بالطريقة نفسها التي نواصل بها - نحن المتعصبين الحقيقيين - الجدال حتى بعد انصراف من نجادله، سأقدم لك الإجابة التي لم أتمكن من طرحها على مسامعه في ذلك الوقت:

إن كرة القدم تتيح واحدة من أكثر المواقف المواتية للحياة الفكرية، حيث ينقضي الوقت الأكبر في اللعبة دون تحقيق منجز ملموس. قد يركض اللاعب ولكن الكرة ليست في أي مكان قريب منه، وقد يتوقف، ليحكم رباط حذائه، أو ليصرخ بكلمات لا يسمعها أحد، ويبصق على الأرض، أو يتبادل نظرة قاسية مع لاعب منافس، في اللحظة ذاتها التي انشغل عقله فيها بحقيقة أنه نسي أن يغلق باب

البلكونة في منزله. لاعب الكرة لا يكون أكثر من مجرد "إمكانية أن يصبح لاعب كرة" طيلة أغلب أوقات المباراة، ومن درس الفلسفة يعرف الفارق بين الإمكانية والتحقق. عليه أن يكون موجودًا في اللعبة حتى تكتمل عناصرها، ويتعين عليه التحرك باستمرار حتى لا يقع في مصيدة التسلل أو ليتخلص من اللاعب الذي يراقبه. ولكن هناك امتدادات طويلة داخل هذه الحالة الغريبة، أي حيث لا تكون قرب الكرة ولكنك في الوقت ذاته منشغل بها؛ لأن اللعبة لا تحدث حقًا إلا في المنطقة المحيطة بالكرة.

ما يعنيه هذا هو أن اللاعب يقضي وقته في التفكير فيما يجب أن يقوم به داخل الملعب، أو في مواضيع لا علاقة لها بالمباراة بشكل كامل وتؤثر في أدائه على الرغم منه. ولدى حارس المرمى، ذلك اللاعب في المركز الأوحد، وقت أطول من أي شخص آخر للتفكير، وهذا هو السبب في أن المفكرين ينحازون إليهم، وجميع الحراس يعرفون الحياة الداخلية الغنية التي تستلزمها مهنتهم. وحارس المرمى في وضعية يقظة دومًا، وقد تمر الفترات الطويلة دون أن يفعل شيئًا، ومع ذلك فعليه أن يتوقع أن يكون في قلب الحدث في أي لحظة.

يمكن أن يعتبر "أريولا" حياة داخلية مثل هذه رجعية وفقيرة للغاية، ولكن هذه هي طبيعة الحوار النفسي الذي يدور في عقل اللاعب وهو يركض فوق العشب.

"ميلوسيفتش".. العدَّاء البطيء

أحد أكثر عروض الكرة التي أثارت دهشتي كانت من "سافو ميلوسيفتش" في مباراة عام 2005 بين "ريال مدريد" و"أوساسونا" بقيادة "خافيير أجيري". كان "ميلوسيفتش" يلعب لـ"أوساسونا"، وكانت المباراة في مدريد. وطرد لاعب من "أوساسونا"، ثم اضطر "فالدو" لمغادرة الملعب مصابًا بعد فاول عنيف من "روبرتو كارلوس". وكان الفريق قد وصل إلى المباراة وهو في المركز الثاني في الدوري، لكن جميع المراقبين كانوا يعلمون أن نادي إقليم "الباسك" سوف يتراجع ما إن ينتصف الموسم، مثل الخيول العجوزة التي لا يمكن أن تصل إلى السباق الأخير.

فما هي فرصة فريق بعشرة لاعبين أمام فريق مرصَّع بنجوم العالم؟ لعب "ميلوسيفتش" بإلهام غير عادي، وشجع لاعبيه على اللعب بطريقة الاحتفاظ بالكرة لأطول وقت. كان يتحرك بمهارة

وحرفية في جميع أرجاء الملعب، وكأنه يضبط إيقاع الفريق كله، إلى أن عثر على الثغرة المنشودة في الدفاع المنافس، وسجل هدفًا أجبر جمهور "الريال" على الوقوف مصفقًا له في "سانتياجو برنابيو"، لقد نجح وحده في قهر ريال مدريد. وبرغم أن الريال نجح في التعادل بسبب الزيادة العددية، فإن أوساسونا حقق مراده من المباراة. ولن تجد الخطة الغريبة التي لعب بها لاعبوه مدونة في أي كتاب فني عن الكرة؛ لأنها جاءت عفو الخاطر الجمعي للفريق. والحقيقة أن كرة القدم تستعصي على أن توضع بين دفتي كتاب.. "إنها أغرب من أن يتوقعها أحد".

نجح "ميلوسيفتش" ورفاقه في تقديم نموذج جمع في تناقض غريب بين أسطورة "أخيل" وحدوتة "السلحفاة". برغم أنه بطيء للغاية، ولكنه كان واثق الخطوة، حتى ولو كان من يراقبه هو "روبرتو كارلوس" الجناح السريع. وفي تلك الليلة تذكرت عبارة "أريولا": "دعه يدخل حظيرة الدجاج مرة، ولن يكون طاووسًا بعد الآن!".



كفانا أغبياء!

تحدث "خورخي فالدانو" عن واحدة من أهم حكايات كرة القدم، ففي عام 1969، نجح الفريق المغمور "شاكاريتا" في الفوز بلقب الدوري في مفاجأة للجميع. وعندما سألوا مدرب الفريق "جيرونانتسو" عن كيفية تحقيقه ذلك الإنجاز، قال: "

- في أول مرة رأيت فيها هذا الفريق وهو يلعب، قلت لنفسي: إنه لا يوجد فريق كرة قادر على تحقيق النصر ما دام أكثر من ثلاثين في المئة من لاعبيه من الأغبياء السذج.. هكذا عمدت إلى تخفيض تلك النسبة، وفزت بالدوري.

لا يمكن الإفراط في الحماقة في كرة القدم. وفي كل فريق؛ باعتباره نموذجًا للحالة البشرية، لاعب أو لاعبان غبيان. ولا أقصد هنا أن على كل لاعب أن يمتلك عقلية مثل عقلية "جول فيرن"، لكنه يحتاج إلى التعامل مع الكرة وفق ما قد يستجد في المباراة، وليس وفق ما يجري أمامه بالفعل. ما يميز اللاعب النجم عن الرياضي الذي يجبر نفسه على التنافس هو أن أفعاله مذهلة ولا يمكن تخيل حدوثها إلا عندما تحدث؛ فهي كانت من باب المحال قبل حدوثها بجزء من الثانية.

تنطوي اللعبة الجميلة على نشاط آلي في أغلبه. لكن العامل الحاسم فيها هو الترقيصة الوقحة، والتمريرة الماكرة، والقدرة على إحباط الخصم، وقطع الكرة منه بعد أن تكون قد قرأت أفكاره في لحظة، وتوقعت نواياه قبل أن يحسمها هو نفسه.

هل يمكن للاعب كرة القدم امتلاك هذه الفعالية؟ بالطبع، فهذه ليست لعبة قوة، فإذا كان اللاعب يقضي أغلب شبابه بمستوى متذبذب وبلا طموح، فمن المستبعد جدًا أن ينتقل إلى أحد الفرق الشهيرة في وقت لاحق من حياته. لكن العبقرية داخل ملعب كرة القدم أمر آخر، تحددها سمة متفردة، مثلها مثل "البارانويا"، أو "الميلانكوليا"، أو حس الفكاهة.

وكما يحكي "وودي آلين"، كان "أبراهام لنكولن" سعيدًا للغاية عندما سئل في أحد الأيام:

- ما هو الطول المثالي لساق الرجل؟

فقد كانت فرصته ليأتيه بردٍّ بليغ وواضح:

- ما يكفيه ليلامس الأرض.

وبالفطرة السليمة نفسها هذه، نستطيع أن نقول إن اللاعب في حالة بدنية جيدة إذا كانت مزاياه تفوق تعبه. هذا يلخص كل شيء.

أنت لا تتعلم حركات الكرة الخداعة في صالة "الجيم". فالعقد الذي بين اللاعب والكرة سيكولوجي بطبيعته، ويسمو على المجهود البدني. لا يمكنك أن تشاهد تسديدة رائعة من لاعب من دون أن تكون لديه صفتان داخليتان: حبه للتسديد، ورغبته في تحسين الطريقة التي يسدد بها. هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني أن أفسر بها هوس اللاعبين بتعلم حركات معينة، وابتكار أخرى جديدة.

ومن المؤكد أن ليس كل ذكي مفيد في دنيا الكرة. أنت والكرة بين قدميك تمتلك أكبر قدرة على الفكر التجريدي. ما تريده الكرة هو ذهن سريع واثق يتناغم مع الانعكاسات الجسدية الحركية، على الرغم من أي تناقض، مع التحلي بالقدرة على استنتاج تسلسل حركي، أو تصرفٍ ما لم يتحقق بعد، وعندها يكون للحركة معنى أعمق. وأذكرك هنا بـ"روماريو"، الذي كان قادرًا وهو محاصر بثلاثة مدافعين على أن ينسلَّ من بينهم في غمضة عين. كان واحدًا من قلة قليلة قادرة على تقديم فاصل من الخداع الحركي من دون كرة، حتى تشعر أنك أمام بهلوان يمشي على حبل رفيع مشدود يتعثر خصمه في

أعقابه، بينما يمتلك هو أعصاب مراسل حربي وسط أتون معركة، فيجعل المستحيل ممكنًا.



أفضل أهداف البرازيلي "روماريو"

أن تكون سعيدًا

بعد كل هدف في الملاعب، يحتضن اللاعبون بعضهم في فرحة كبيرة قبل أن يعودوا أدراجهم إلى منتصف الملعب. وفي بعض الأحيان، لا يكون هناك احتفال بالهدف، في حالات منها أن يكون الفريق خاسرًا 5-0 ويأتي هدف هو أقرب إلى "حفظ ماء الوجه"، حتى وإن كان يعكس قدرة لدى الفريق على إحراز الأهداف لو أنه لعب بطريقة أفضل. وفي بعض الأحيان، يكون الاحتفال بمثابة أداء منفرد لفعل البهجة؛ "باولو روسي" وهو ينزلق على ركبتيه فوق العشب، وحركات "هوجو سانشيز" البهلوانية، و"كاريكا" الذي ينطلق وكأنه طائر محلق، وطفل "بيبيتو" الشهير، و"كاردوزو" وهو يخلع حذاءه ليضعه عند أذنه مثل التليفون.

في كتاب الصحفي الشيلي "فرانسيسكو موات" "أشياء جديدة في الكرة" *Nuevas cosas de futbol*، يقدم لنا تصنيفًا عجيبًا للأهداف، حيث يسرد ستًّا وأربعين طريقة للاحتفال بها؛ وغايتها جميعها نقل بهجة اللعب إلى الجمهور المتفرج.

وجد المتفرجون في المدرجات أنفسهم في حيرة أمام تنوع احتفالات ما بعد الهدف وغرابتها، وكيف صار اللاعبون يتفننون في ابتكارها حتى تستحوذ على الانتباه. حتى إن احتفالات اللاعبين الكرنفالية تصبح أكثر جاذبية وشهرة من الهدف نفسه. فبسرعة وحيوية، لم يظهرها اللاعب نفسه في مجريات المباراة، تجده يركض بعد أن سجل هدفًا سهلًا نحو المدرجات ويكاد يقفز إلى أحضان المشجعين لولا الحواجز الأمنية. وفي المقابل، تجد لاعبًا مثل "خريستو ستويشكوف" وهو يراوغ الدفاع بأكمله ويسجل، ومن ثم يعود إلى ملعبه بكل هدوء، بل وعلى وجهه تعبيرات تجهم شديد وامتعاض من منافسيه، وربما من زملائه في الفريق.

وشمل تصنيف "موات" احتفال "الكلب"؛ وهو الاحتفال الذي نفذه المكسيكي "كواوتيموك بلانكو" مرة واحدة. كان قذرًا جدًا لدرجة أنه حصل على إنذار بسببه، وأصبح أحد تلك الاحتفالات التي لا يمكنك طردها من ذاكرتك. كان "بلانكو" يعادي حارس مرمى اسمه "فيليكس فرنانديز"، وكان التناقض بين الاثنين واضحًا، "بلانكو" قصير مكير وسريع البديهة، ويركض بظهر محني بعض الشيء. وكان لديه اعتداد بذاته يثير غضب الحكام ولكنه يعجب الجمهور. ولم لا، فهو أفضل لاعب مكسيكي في الفترة بين عامي

1995 و2005. أما "فيليكس فرنانديز"، فهو رشيق، يرتدي دائمًا تلك القفازات البيضاء، ولاعب كرة القدم مثقف، وصحفي، ويشارك في العمل الاجتماعي، ورجل خير. ربما شعر "بلانكو" أنه عدو له لأن الحارس كان يجسد كل الفضائل التي يحبها الآباء، والمعلمون، والمدربون، بالإضافة إلى الحكام ورجال الخطوط الذين كانوا يعاقبونه هو باستمرار. وذات يوم، وضعهم القدر في مواجهة مباشرة: ضربة جزاء. "بلانكو" هو رأس حربة نادي أمريكا، و"فيليكس" حارس مرمى نادي "أتلتيكو كيلايا"، وكانت فرصة للمهاجم حتى يثبت ذاته. وسجل "كواوتيموك" الضربة، ثم ركض إلى داخل المرمى، ونزل على أربع، ورفع ساقه بأسلوب هزلي، وقلد الكلب وهو يتبول. وكأنه يفعل مثل الحيوان الذي يتبول في مكان ليثبت لبقية القطيع أن هذه المنطقة هي له وحده. ما يميز الأهداف العظيمة هي محاولات الحراس اليائسة للتصدي لها. لذلك تعمد "فيليكس" ألا يحاول التصدي لتسديدة "بلانكو".

احتفال "بلانكو" مثله مثل احتفال "هوجو سانشيز" عندما أمسك خصيتيه؛ نوع من أنواع التعبير عن الكبرياء، ولكنه من النوعية التي لابدَّ أن يتلقى صاحبه العقاب عليه من دون دهشة. لكن هناك تعبيرات أخرى من السعادة تثير قلق الحكام، وحتى الفيفا نفسه في بعض الأحيان.

لا يفوت المهاجمَ ذا الطبيعة الرومانسية فرصةُ الاحتفال بأهدافه بإرسال قبلة في الهواء. هكذا يسعد أفراد أسرته أو بلاده التي تحتاج إلى تلك الفرحة. ففي مونديال فرنسا 1998، أمطر "ريفالدو" قبلات في الهواء على زوجته، وكذلك فعل "زيدان"، جزائري الأصل، الذي كان يلثم قميص فرنسا الأزرق في كل مرة يسجل فيها، وهي أهم لفتة للاندماج العرقي في فرنسا ما بعد الحرب، وهذا وصف محرر "لو نوفيل أوبسرفاتور".

كما أن الخيال، الذي غالبًا ما يكون عاملًا حاسمًا في التحركات على أرض الملعب، يحدد طريقة الاحتفال والإفراط فيه. وكانت هناك فترة أصبح من المألوف فيها أن يبادر صاحب الهدف بخلع قميصه، ليظهر ما يرتديه تحته من تيشيرت مطبوع عليه رسالة ما. هذا الشكل التحريري في الاحتفال هو الأقل عفوية. ولكي يمنع هدر الوقت والجدل، قرر الفيفا أن يعاقب على هذه الفعلة ببطاقة صفراء، وبغرامة مالية في بعض الأحيان.

أن تحتفل وأنت تعرف أنك ستعاقب طريقة أخرى يثبت بها البطل قناعاته. لقد أهدى "باتيستوتا" هدفًا لطفل إسرائيلي قطع إرهابيون رأسه. وكان يعلم أنه سيتم تغريمه بسبب كشفه عن صورة

تحمل اسم الطفل، ولكنه دفعها عن طيب خاطر. واعتبر الغرامة جزءًا من هديته لروح الطفل.

إن السعادة - دون أدنى شك - شيء ذاتي. وبعض اللاعبين متحفظون في احتفالاتهم، بينما البعض الآخر، وعلى الرغم من أنه قد يكون سجل هدفًا تافهًا، يندفع مبتهجًا بكل قوة، ليحتضن الجميع؛ اللاعبين والمدير الفني ويركل زجاجات المياه في كل اتجاه.

لسوء الحظ، فإن كرة القدم تعتمد على قواعد وأنظمة معينة. وإذا خرجت الأمور عن السيطرة، إذا سمح اللاعبون بفعل ما يحلو لهم، فلا بد عندئذ من إبراز البطاقة الصفراء. وترك الفيفا للحكم مسألة تقدير العقوبة، التي قد تصل إلى الطرد أحيانًا. وذات مرة، تم إيقاف لاعب ليفربول "روبي فاولر" لست مباريات بسبب احتفاله بطريقة ظهر فيها وكأنه مدمن مخدرات؛ حيث تظاهر بأنه يشم خط المرمى كما لو كان كوكايين. تظهر أشد العقوبات في اللعبة حفاظًا على مسألة الأخلاق.

أصبح للتعبير بفرحة الهدف ضوابط يمكن مقارنتها بإجراءات مكافحة المنشطات. وفي إطار حرصه على أن يكون اللاعبون نموذجًا يحتذى به، ينسى الفيفا أحد الجوانب الأساسية للسعادة؛ العفوية. لكن القواعد هي القواعد، ولا يوجد أمام لاعبي كرة القدم أي خيار

سوى احتواء فرحتهم بالطريقة نفسها التي يجب أن يضبط بها اللاعب أعصابه إذا قام لاعب آخر بالبصق عليه.



"أشهر احتفالات اللاعبين بأهدافهم"

لا تقتل.. وأمثلة أخرى على العقل

يقول علماء النفس المتخصصون في الرياضة أن اللاعب عليه أن يخرج من الملعب بعقل هادئ ومزاج رائق. عليه أن يرتقي أمام رأي متعصبي التشجيع، وأن تضبط أعصابك حينما يلغي الحكم هدفًا صحيحًا تمامًا، أو عندما تتعرض لمضايقة المنافس وشتائمه وضرباته. كما أن هذا مطلوب حتى لا تعرض نفسك لبطاقة حمراء. والحقيقة أنه ليس من السهل أن تمنع نفسك من أن تكون عنيفًا عندما يكون دمك ساخنًا في خضم المباراة. إن ضبط لاعب الكرة لنفسه أمر صعب للغاية، فهو في النهاية ليس أحد رهبان "التبت".

هنا يأتي دور عقل اللاعب، حيث يمنعه رجحان العقل من قتل الدافع الذي كاد يكسر ساقه. كما يمكن أيضًا أن يتحلى اللاعب بروح ابتكارية هنا. دعنا نأخذ في الاعتبار صفتين ضروريتين في اللعبة: القدرة على الإمتاع، والقدرة على السخرية من الآخر. تلك المراوغات الرائعة، واللعب الجماعي الفريد، ليس لها أي غاية أخرى سوى المتعة. فعندما يقوم لاعب موهوب مثل "هاجي" أو "ديل بييرو" باستلام الكرة على طرف الحذاء، فهو يفعل ذلك ليمتع نفسه بعيدًا عن أي قيود احترافية. ويعتمد الدافع لديه على إتقانه لحركاته وإدراكه أن هناك مَن يشاهده. يتلهف اللاعبون الكبار على الصيحات والتصفيق من الجمهور ويعتبرها بمثابة مرآة يرى فيها نفسه ويعتز بها. ذات يوم، كان الكاتب "أوزفالدو سوريانو" في الفندق الذي يقيم فيه الفريق الوطني الأرجنتيني، مر من أمام "مارادونا" دون أن يعترف به. كنت أراقب الموقف. ماذا فعل ساحر الكرة؟ التقط "مارادونا" ثمرة يوسفي وقدم بها عرضًا عفويًا ساحرًا وكأنها كرة قدم حقيقية، هناك في لوبي الفندق. وارتسمت ابتسامة عريضة على وجه العبقري الصغير لما أدرك أنه نجح

في نيل انتباه وإعجاب الكاتب اوماذا عن السخرية من الآخر؟ إنها لي ذلك الخداع وتلك المهارة والبراعة في تخطي الخصوم، والتي من دونها لكانت هذه اللعبة قد ماتت منذ زمن. ترقيصة ساخرة، وقفة مباغتة، وتسديدة بطريقة غير متوقعة.. المفاجأة والدهشة جزء أصيل في لعبتنا، حتى إن الضربات الحرة وضربات الجزاء صارت فنًا مستقلًا بذاته.



ألاعيب "مارادونا" الكروية

عادة ما يعود اللاعبون إلى رشدهم فور انتهاء المباراة. ما يعنيه هذا هو أنهم يتحلون بالعقل كذلك أثناء التدريب ورحلات الفريق. قال سارتر: "الجحيم هو الآخرون"، ولكنه لم يضطر أبدًا لمرافقة فريق كرة في رحلة، ولم يكن لديه أطفال، ولم يكن أبدًا عضوًا في اتحاد لساكني عمارة. فما الذي يعرفه هو عن شاب مجبر على قضاء فترات من حياته مع لاعب زميل في الغرفة والتدريب أطول مما يقضيه مع زوجته؟

اليوم، صارت أهم صفة في اللاعب هي ثمنه في سوق الانتقالات. ولا سبيل هنا للتحدث عن تلك السوق المجنونة.

لما احترف "روبينيو" في أوروبا كان هدف كل ناد يشتريه أن يعوض ثمنه من خلال بيع أكبر عدد من القمصان التي تحمل اسمه. أما الصفات التي لا يمكن تقديرها بالمال فهي مشاعر اللاعب وقدرته على التحكم في أعصابه، برغم أنها تكون الحاسمة في مجريات المباراة.

سحر الكرة يعتمد على المباغتة وسرعة البديهة، وهي صفات يصعب تثمينها. مَن يضمن لصاحب النادي ألا تعتري أحسن لاعب في العالم نوبةُ فزع وخوف وشكّ، فيهدر الفرص ومعها البطولات؟ ولا يكون منقذه إلا لاعب صاعد صغير يخرج من الظل ويثبت ذاته يومًا بعد يوم بعيدًا عن هالة النجم. وبرغم ذلك، لن تجد في عقود اللاعبين بنودًا تتحدث عن الأعصاب والرغبات والقدرات الكامنة.



أهداف وزمن

في مقال لـ"خوان نونيو" بعنوان "نظرية اللعبة" Teoría de los juegos، الذي نشره ضمن مقالات أخرى في كتاب "تبجيل الدهاء" Veneración de las astucias، يتحدث عن الخصوصية الزمنية للعبة كرة القدم. هناك رياضات لا يحدها إطار زمني معين، وتشهد أوقات توقف مستقطعة يختارها مدربو الفرق، مثل البيسبول وكرة القدم الأمريكية. والبيسبول بالذات لا تعترف أبدًا بالزمن؛ قد تنتهي المباراة بسرعة كبيرة أو تمتد لأيام. حيث تستغرق تسع جولات لا بد من إتمامها، وهو أمر يعتمد على اللاعبين وقدراتهم.

على أن القاسم المشترك بين جميع اللاعبين هو الطريقة التي تعترض بها تدفق الحياة المعتاد؛ تحت الوهج اللامع للأضواء الكاشفة، تخضع الملاعب لخطط وقوانين مصطنعة. وفي هذا العالم المتقلب، تميز كرة القدم نفسها بمسحة من حياة طبيعية إلى حد مقلق؛ ولا توجد معها طريقة لوقف مرور الوقت. يكتب "نونيو":

> **مباراة كرة القدم أكثر إثارة للقلق، وأكثر دراماتيكية، من أي لعبة أخرى، وهذا لحقيقة أن وقت المباراة يمر بالتوازي مع الزمن في الواقع. ما تولده كرة القدم من مشاعر قوية قائم على فكرة الموت،**

ذلك الشبح المقيم الذي يراقب أنشطة البشر وهو متيقن من أن حياة كل إنسان محسوبة بمقدار.

لا فارق هنا بين الثواني التي تمر في أرض الملعب وتلك التي تمرق خارجه. لا يقوم الحَكم بوقف زمن المباراة في كل مرة يستجدّ فيها جديد أثناء اللعب. في لعبات مثل كرة اليد وكرة السلة وكرة القدم الأمريكية، يتوقف زمن المباراة بصافرة من الحكم، وبالتالي قد ينتهي الشوط المقدر بثلاثين دقيقة بعد ساعة مثلًا. وفي لعبات أخرى، لا اعتراف بالزمن من الأساس، فربما تنتهي مباراة تنس في ساعتين وربما تستغرق يومًا كاملًا. وهي أمور لا تجدها في كرة القدم. فقط يتم احتساب ما أهدر من وقت ليضاف بعد انتهاء الزمن الأصلي للمباراة. والدقائق التسعون موهمة؛ فهي تغطي حلقة مما يمثل في الواقع سلسلة طويلة من اللقاءات.

في السيرة الذاتية التي كتبها "مارتن كاباروس" عن نادي "بوكا جونيورز"، يقول: "في عام 1933، كنا في المرتبة الثانية"، ولا يوجد في الواقع شيء غريب في هذه الجملة التقريرية. غير أنها تعبير قوي عن مدى ارتباط المشجعين بتاريخ ناديهم. هنا يتحدث "كاباروس" عن شيء حدث قبل أربعة وعشرين عامًا من قدومه إلى الدنيا، ولكنه

لم ينسه. فالإطار الزمني الذي يخضع له الفريق هو نفسه الذي يخضع له مشجع الفريق.

سرعة الذاكرة

من المؤكد أن للذاكرة قدرة على جعل الضربات الغادرة تبدو أشد وطأة؛ وفي بعض الأحيان تكون وطأة الذاكرة كافية لدفع مشجع لهجر اللعبة. "19 ديسمبر 1971"، هذا عنوان قصة للكاتب "روبرتو فونتاروسا"، تناول فيها موقفًا غريبًا، حيث قرر "كاسال"، الرجل العجوز، عدم الذهاب إلى الاستاد ومشاهدة فريقه "روزاريو سنترال" مرة أخرى؛ فقد كان على وشك الإصابة بنوبة قلبية، ولا يمكنه أن يحتمل ما يصيبه به الفريق من توتر وحرق دم. ومنذ ذلك اليوم، صار يحشو أذنيه بالقطن كلما لعب فريقه، حتى لا يسمع صوت مذيع الراديو. إنه من نوعية المشجعين الذين لا يسمحون لأحد بإخبارهم بنتيجة مباراة الفريق إلا وقرص المهدئ في يده. ولكن "كاسال" في الأصل أسطورة في الحي الذي يسكنه، فكلما ذهب إلى الاستاد، فاز فريق "روزاريو". لذلك قررت مجموعة من المشجعين الأصغر سنًا اختطافه وأخذه إلى مباراة غصبًا، باعتباره تميمة الحظ. ولكن قلبه لم يحتمل بهجة أن يشاهد فريقه من جديد بعد كل ذلك

الغياب؛ استمتع بالمباراة بشكل كبير، وتفاعل مع أحداثها إلى حد رهيب، وهكذا انقضت حياته وسط المدرجات؛ مات سعيدًا بعد أن أسهم وجوده في أن يحقق فريقه النصر.

في مجموعة أعمدة صحفية للكاتب البرازيلي "نيلسون رودريجز"، تحت عنوان: "في ظلال أحذية خالدة"، يقول ما يلي:

لا يمكن لمشجع كرة أن يغيب عن يوم الأحد في استاد "ماراكانا"، وأنا هنا أتحدث عن المشجعين كافة، الأحياء والموتى. فلا يعفي الموت أي شخص من أداء واجبه تجاه ناديه. وأي شخص سمع زئير الجماهير وهدير ملعب بأسره يعرف أن هناك أصواتًا أخرى خلال أصوات الجماهير. إنها هتافات الأشباح التي أحبت اللعبة ذات يوم.

قد يكون الشغف باللعبة تراكميًا، لكن تأثير الذكريات يتفاوت؛ فهناك فارق بين أن تتابع المباريات وفنون الكرة وأنت كبير وبين أن تفعل ذلك في طفولتك، فعندما تصبح في عمر المديرين الفنيين والمدربين الإداريين نفسه، وحتى عندما يكون عمرك مثل عمر أعضاء مجلس إدارة النادي، فإنك تسترجع شريط أهداف الفريق في ذكرياتك وتجد أن أشدها تأثيرًا هي تلك التي سجلها لاعبون صاروا أساطير، أو ماتوا، أو أصبحوا أسرى الزهايمر. ومن ثم يسحبك الحنين إلى الماضي، وتطمئن إلى فكرة أن اللعبة كانت دائمًا أفضل في الماضي، وهو

إحساس ليس هناك أسوأ منه سوى إحساس اللاعب الذي عرف للتوّ أنه أصيب بالرباط الصليبي. إحساس يعني الاعتزال.. اعتزال اللعبة واعتزال الحياة.

عندئذ يتحول المشجع إلى ما يشبه مَن يتجول في متحف؛ يقارن كل لاعب يشاهده بآخر عظيم من الماضي، وكل لعبة حلوة بمثيلتها من الماضي. والحقيقة أن لا شيء في كرة القدم في أيامنا هذه يمكن مقارنته بزمن كان الجميع يلعب حبًا وشغفًا ومن دون أجر. والحقيقة أن مثل هذا المشجع يتشبث بخيوط ما كان يعتبره مثالًا للجمال في اللعبة، تفاصيل بسيطة مثل خطة 4-4-2، ورداء الحكم الأسود، ومرمى من الخشب وكرات من الجلد الخام. ولذلك الشغف بالماضي الأسطوري تأثير مدمر على الحاضر.. "لم تحضر أنت مباريات زمان!".

في القصة القصيرة التي كتبها "خورخي لويس بورخيس" و"أدولفو بيوي كاساريس": "وجودك في عيون الآخرين"، نجد عيبين من أهم عيوب كرة القدم: هيمنة البث التليفزيوني وألاعيب النوستالجيا. كرة القدم في القصة عبارة عن وحش أسطوري تشعر به ولكنه غير موجود، يلجأ المعلقون إلى اصطناع أحداث مباريات من وحي خيالهم، ويقررون بأنفسهم من يسجل الأهداف. وهناك

شخصية "توليو سافاستانو"، رئيس نادي "أباستو"، الذي يصف الطبيعة التي آلت إليها اللعبة بحق:

لا توجد نتيجة، ولا فِرق، ولا مباريات. صارت الملاعب مهجورة وتحولت إلى أطلال. صارت اللعبة تمثيلية خيالية عبر الشاشات والأثير. كانت آخر مباراة حقيقية شهدتها بوينس آيرس يوم 24 يونيو 1937، ومن بعد ذلك صارت كرة القدم نوعًا من الدراما التي يؤديها معلق في كابينة التعليق، أو مجموعة ممثلين يرتدون قمصان الكرة أمام كاميرات التليفزيون.

أراد الكاتبان من هذه القصة الكابوسية الخيالية أن يقولا بأن كرة القدم تحولت إلى تجارة معروفة المقدمات والنتائج. وهما يعتبران أن كرة القدم الحقيقية ماتت بالفعل مع إذاعة أول مباراة عبر شاشات التليفزيون.

وعلى الرغم من أنني أبذل قصارى جهدي لعدم الخضوع لذلك الحنين إلى الماضي، فإن الزمن قادر بالفعل، وحتى يومنا هذا، لم أنفعل بهدف أحرَزه لاعب مثلما انفعلت بهدف شاهدته قبل خمسة وثلاثين عامًا مضت. قبل المباراة النهائية لمونديال المكسيك 1970، مباراة إيطاليا والبرازيل، قال لي والدي عبارة لن تنمحي من ذاكرتي: "في أي نهائي، الفريق الذي يسجل أولًا يخسر دائمًا.. هكذا هو كأس العالم". وبدأت المباراة.. وشاهدت الملك "بيليه" وهو يقفز مثل طائر محلق

ليواجه ذلك القدر بكل عناد، وبتسديدة قوية للكرة من جبهته السمراء، ليسجل، ولمحت "جيرسون" وهو سعيد ولكنه ينظر إلى السماء في فزع وخوف، ويديه تتوسلان ألا يقع القدر المكتوب، وشعرت بفيض العواطف والمشاعر يموج في ملعب "أزتيكا"؛ دعمًا للبرازيل أمام القدر.. "من يسجل أولًا يخسر". أضفت النبوءة السوداء دراما على الأجواء الاحتفالية. كان عمري 13 عامًا، صبيًا متيقنًا من أن والده يعرف كل شيء. ولكن البرازيل كان لديها "بيليه".

وبعد ستة عشر عامًا، وفي الملعب نفسه ولكن عام 1986، كنت هناك و"مارادونا" يسجل هدفيه الأشهريْنِ في مرمى إنجلترا، أحدهما كان بمثابة الجريمة الكاملة، والآخر هو أجمل هدف في تاريخ كأس العالم. ولو قلت بأنني "استمتعت" بهدف "بيليه" فإنني أقع في فخ "النوستالجيا"؛ ولو قلت بأن هدف "مارادونا" مثل بالنسبة لي قمة الإثارة فإنني سأكون مثل لاعب بالغ في انفعالاته فطرده الحكم.

والتنقيب في أرشيف الكرة عملية معقدة. تجد المشجع بحاجة إلى ورقة ليكتب قائمة مشتريات السوبرماركت حتى لا ينساها وهو هناك، ولكنه يتحول إلى فيل قوي الذاكرة عندما يتحدث عن فريقه أو لاعبه المفضل. ذات مرة، كنت جالسًا إلى مائدة عشاء بصحبة صديقين، وأخذنا الحديث عن الكرة لساعات، واقترب من مائدتنا

رجل سبعيني، وقد احمر وجهه من فرط الشراب. والحقيقة أن أيًا منا لم يتفاجأ بالسؤال الذي طرحه علينا، فقد كان المطعم كله تقريبًا يسمع حوارنا:

- من منكم يستطيع أن يذكر أسماء لاعبي الفريق المجري في كأس العالم 1954؟

لم نكن نعرف سوى "بوشكاش". عندئذ، داعب العجوز شاربه الأشيب في خيلاء، ووقف في عظمة منتصبًا، وهو يردد أسماء الفريق كله، من دون تردد أو تلعثم. فهل كانت تلك هي ذاكرته القوية؟ من يدري.. المؤكد هو أنه الشغف بكرة القدم.



تقرير: منتخب البرازيل أفضل منتخب في عام 1970

باربوسا: الذي مات مرتين

في بعض الأحيان، تكون إنجازات لاعب كرة القدم على أرض الملعب متكاملة للغاية بحيث تبدو الحياة خارجه وكأنها مجرد عبث ضبابي. فلا تتكيف "ساعة الشهرة" دائمًا مع الساعة البيولوجية التي نعيشها في أوقاتنا العادية.

في 8 أبريل من عام 2000، توفي "موسير باربوسا"، أول حارس مرمى أسود يمثل منتخب البرازيل، وحضر جنازته قرابة الثلاثين من المشيعين، الذين مشوا وراء تابوته المغطى بألوان نادي إيبيرانجا الذي لم يعد له وجود اليوم. وقبل أن يتم إنزال التابوت إلى المقبرة، رفع مدير في نادي "فاسكو دا جاما" علم "إيبيرانجا" عن التابوت.

في بلاد يعامل الناس فيها لاعبي كرة القدم مثل أشباه الآلهة، كانت قصة "باربوسا" عجيبة وغريبة، وكأننا نتحدث عن شبح منبوذ. لم يهتم أحد بما إذا كان الحارس قد فاز مع ناديه "فاسكو دا جاما" بخمسة من ألقاب الدوري البرازيلي، ولقب بطولة أمريكا الجنوبية. فقد انتهت مسيرته الكروية بطريقة مأساوية في لحظة واحدة، لم يتعاف منها أبدًا.

كانت لحظة من يوم 16 يوليو 1950. هناك مائتا ألف مشجع في استاد "ماراكانا" الذي كان قد افتتح بمناسبة تنظيم البرازيل لكأس العالم 1950؛ وسجل عدد الحضور رقمًا قياسيًا لا يزال صامدًا حتى يومنا هذا. اليوم هو يوم نهائي كأس العالم.. بين البرازيل وأوروجواي. ولم يكن على البرازيل سوى أن تتعادل حتى تحقق اللقب العالمي. وتهيأ الكل للاحتفال، حتى إن الصحف البرازيلية جهزت طبعاتها الأولى وهي تحمل مانشيتات النصر الكبير. بل إن "جول ريميه"، الفرنسي صاحب فكرة كأس العالم، أعد مسبقًا خطابه الذي يثني فيه على مهارات البرازيليين أبطال العالم وعلى حرارة وجنون الجمهور البرازيلي. لكن الخطاب لم يترك جيب سترته في نهاية المطاف. فقد خسرت البرازيل اللقب في مشهد تراجيدي.

وبرغم مرور أكثر من نصف القرن، فما تزال تلك المباراة محفورة في الذاكرة الجمعية لملايين البرازيليين. حتى أولئك الذين لم يشاهدوا المباراة عيانًا صاروا يحفظون عن ظهر قلب كل ما جرى في ذلك اليوم الذي توقفت فيه الحياة في أنحاء البلاد. تقدمت البرازيل أولًا، بهدف سجله "فرياكا"، الذي اعتقد أن فريقه يوشك أن يحمل الكأس. وعندما سجل "شيافينو" هدفًا لأوروجواي، خمد الحماس في الملعب دون أن يموت تمامًا. سوف يقلل التعادل من ملحمية

الإنجاز، لكنه لن يمنع النصر. واحتسبت ركلة حرة حاسمة لأوروجواي. سدد "جيجيا" الكرة، وانقض عليها الحارس الشجاع "باربوسا". الحقيقة أن لا علاقة بشخصية الأبطال بالواقع. لقد التقط آخر لاعب في منتخب البرازيل الكرة وارتمى بها فوق العشب، ليلتقط أنفاسه. إنه واثق من أنه أنقذ مرماه للتو من هدف. ولكنه انتبه على ذلك الصمت المرير الذي خيم على كل شيء بغتة؛ مائتا ألف متفرج في حالة خرس تام. نظر بين يديه ولكنه لم يجد الكرة، والتفت خلفه ليجدها مستقرة في الشباك. الأوروجواي 2 البرازيل 1.

سجل الفيلم الوثائقي الشهير عن "بيليه" تلك اللحظة بينما الشبل الصغير يضرب بيديه على الراديو وهو ينتحب. لقد خسرت البرازيل، على أرضها، وخلافًا لكل التوقعات. سوف تستمر قصة "بيليه"، وسوف يحقق النصر المأمول. كانت أهدافه التي تجاوزت الألف تعويضًا لهدف وحيد لم يستطع "موسير باربوسا" إبعاده عن مرماه.



"باربوسا" في كأس العالم 1950

في قصة "فرانسوا بوت" "غياب لدقائق"، يروي المصير الحزين للاعب "لويس أركونادا"، حارس مرمى إسبانيا، في نهائي بطولة أوروبا لعام 1984 ضد فرنسا. فعلى الرغم من أن فريق "بلاتيني" الفرنسي كان هو المرشح الأقوى، فإنه حقق الانتصار بطريقة غير متوقعة بالمرة، بهدف كان يمكن لحارس مرمى مبتدئ أن ينقذه بسهولة، كما لو أن اسم الحارس كان يحمل نبوءة.. "أركونادا".. "هدف الجحيم". تحققت النبوءة من تسديدة ضعيفة صارت أهم ما في البطولة، بسبب خطئه الساذج.



الهدف الذي دخل شباك "أركونادا" في عام 1984

الأمر مختلف مع "باربوسا". فهو لم يرتكب خطأ فادحًا مثل "أركونادا"، ولكن القدر أبعد عينيه عن الكرة للحظة؛ كان يعتقد أنه فعل الشيء الصحيح وتصدى للكرة، قبل أن يجد نفسه فجأة في عالم آخر صار فيه واحدًا من أبطال الشر.

الشخصية الرئيسية في قصة "بوت" هي "أنطوان ميرسييه"، حارس مرمى مخضرم سبق له أن أنقذ العديد من التسديدات

الصعبة، ولكنه انتهى بسبب تسديدة وحيدة لم يحسن التعامل معها. تأتي اللحظة الفارقة في القصة عندما يرتكب اللاعب رقم واحد الخطأ نفسه الذي ارتكبه العديد من الحراس الآخرين قبله؛ يفكر بعمق للحظة، ويتشتت انتباهه، ويمر أمامه شريط حياته بالحركة البطيئة. وفي لحظة مبهجة يتيمة، يتوه عقله في حارات الذاكرة، وينقطع عن الواقع، وينسى دوره في التصدي للكرات. لقطة مضللة مراوغة، فالكرة سهلة والتصدي لها أسهل، لكن الحارس غائب في عالم آخر.

ومثل الحارس "مرسييه" في القصة، سقط "باربوسا" في عالمه الداخلي قبل أن يهوي بجسده إلى الأرض. والغريب، على عكس زميله الفرنسي الخيالي، أن لحظته السعيدة لم تتمثل في حادثة عاطفية مبهجة، بل في ظنه الخاطئ بأنه تصدى بالفعل للكرة. وهكذا، تفاقم حزنه بسبب لحظة الفرحة التي سبقته. لقد صدم "باربوسا" في اللحظة ذاتها التي ابتهج فيها، وهو ما زاد من مرارة مشاعره. "حياة كاملة في الملاعب، وحياة كاملة خارج الملاعب، دمرها غياب لحظة"، كما كتب "فرانسوا بوت".

واصل "باربوسا" اللعب حتى عام 1962، حتى إنه فاز بعدد من الألقاب مع "فاسكو دا جاما". وذات يوم، كتب "إريك نيبوموسينو" تلك الكلمات في مقاله:

برغم أنه حارس موهوب وبارع ورشيق ويمتلك جسدًا مرنًا يتيح له الدفاع عن مرماه ببسالة، فإنه ارتكب أسوأ الأخطاء قاطبةً: لقد فشل في التصدي لأهم كرة في حياته.

ويكتب عنه "إدواردو جاليانو" في كتابه "كرة القدم في الشمس والظلال فيقول:

"عندما حان وقت اختيار أفضل حارس مرمى لكأس العالم 1950، صوّت الصحفيون بالإجماع لصالح "باربوسا". فقد كان "باربوسا" ومن دون أدنى شك أفضل حارس في البطولة، وكان شديد الخفة والرشاقة والهدوء والثقة بالنفس".

ولكن تقدير الخبراء له لم ينفعه أمام جموح مشاعر المشجعين.اتهمه العنصريون بأنه يفتقد إلى رجاحة عقل اللاعبين بيض البشرة. فكان على أول حارس أسود للبرازيل أن يعاني مرارة الهزيمة وعذاب العنصرية.

بعد اعتزاله، كان "باربوسا" يتقاضى معاشًا شهريًا قدره خمسة وثمانون دولارًا، وهو مبلغ رفعه ناديه "فاسكو دا جاما" لاحقًا. لم تمر عليه ليلة دون أن يحلم بتلك اللحظة الكارثية. وذات مرة، كان يمشي في الشارع، عندما توقفت سيدة أمامه وهي تصيح في حدة: "هذا هو الرجل الذي أبكى بلادنا كلها".

وفي عام 1993، عرض التليفزيون الإنجليزي فيلمًا وثائقيًا، تمهيدًا لمونديال 1994 الذي أقيم في الولايات المتحدة. وخطرت لفريق الإنتاج فكرة اصطحاب "باربوسا" لزيارة الفريق البرازيلي، ولكن المدرب البرازيلي "ماريو زاجالو" رفض تلك الزيارة. كان يخشى من أن يكون "باربوسا" سفير سوء الحظ الذي ينقل عدواه إلى لاعبيه. وعندما سُئل عن تلك الواقعة، قال "باربوسا" في أسى واضح إن أقصى عقوبة سجن عن أي جريمة في البرازيل هي ثلاثين سنة، ولكنه الشخص الوحيد الذي يقضي عقوبة سجن لمدى الحياة.

توفيت "كلوتيلدان" زوجة "باربوسا"، عام 1997. عاش بعدها قرابة ثلاث سنوات، فذاق مرارة الوحدة أيضًا. وفي النهاية، استقر الحارس على الأرض للمرة الأخيرة، في عامه التاسع والسبعين.

كانت وفاته الأولى قبل نصف قرن من وفاته الثانية، في قلب مرمى تحت شمس ملعب "ماراكانا". لنتخيل معًا تلك اللحظة مجددًا؛ تسديدة "جيجيا" التي انقض عليها الحارس؛ تخيل الحارس الأسود الشاب وهو ينهض متخيلًا أن الكرة بين يديه، ويظن في فرح أنه أنقذ منتخبه. كانت لحظة سعادة زائفة، بددها واقع الصمت الحزين المؤلم الذي اعتصر أمة بأسرها.. إنها لحظة لا يسعنا سوى أن نتذكرها.



مونديال **1950**: أتعس لحظة في تاريخ البرازيل

سبل لتجميد الزمن

يبدأ النجم "ميشيل بلاتيني" كتابه "حياتي مباراة كرة" *Ma vie comme un match*، بهذا الاعتراف: "لقد مت فعلًا في عمر الثانية والثلاثين.. يوم 17 مايو 1987.. يوم أن اعتزلت اللعب". لا يبقى للاعب الكرة المعتزل سوى الذكريات، التي ترسخ مكانته بين الأساطير، أو تهمله بكل جحود.

لن تجد كثيرًا من البشر يود أن يترك مصيره بين أيدي جمهور ليتلاعب به، ولذلك يقاتل لاعب الكرة ليقاوم الزمن، وعلى أمل أن تطول مدة بقائه في الملاعب، وذلك لأن سمعته وشهرته تعتمد على ذلك. وسبق للكاتب "نلسون رودريجيز" أن قال: إن جميع اللاعبين الجيدين الذين تجاوزت أعمارهم الثلاثين "يعانون سطوة اللحظة

الراهنة". يأتي عليه يوم يجد فيه الملعب شاسعًا والمرمى كأنه سراب بعيد. ولكن الكابوس الحقيقي ليس في تراجع المستوى، بل يتجسد في اللحظة التي يتم استدعاؤه فيها ليخرج من المباراة تاركًا مكانه للناشئ الصاعد الواعد.

ذات مباراة، أقدم "فالدانو" مدرب "ريال مدريد" على تغيير النجم "إيميليو بوتراجينيو"، وسط صيحات استحسان جمهور الريال لذلك القرار بإخراج النجم الذي تقدم العمر به. ولم أجد أفضل من "فالدانو" نفسه وهو يصف تلك اللحظة:

قد يقول البعض: مَن "راؤول" هذا الذي يحل محل "بوتراجينيو" ويأخذ قميصه؟ من هذا الناشئ الذي يسرق منه قلوب الجماهير؟ ولكن الحقيقة سهلة.. "راؤول" يمثل حركة الزمن الذي يبقى هو المنتصر دومًا.

وعلى سبيل تخليد أبطالها، يعمد القائمون على الرياضة في أمريكا إلى طريقة لافتة؛ إنهم لا يسمحون للاعب جديد بارتداء الرقم نفسه الذي كان يرتديه النجم المعتزل على قميصه. ذلك الرقم تحول بدوره إلى أسطورة، والأساطير لا تتكرر.

وهناك أندية تبقى أسيرة الماضي وتجد فيه الذريعة الوحيدة لاستمرارها في حاضر بلا بطولات. هناك في شيلي نادٍ اسمه "يونيفرسيداد دي شيلي"، مرت عليه عقود عجاف بعد بدايات كانت ناجحة للغاية. وأملًا في إعادة أمجاد الماضي الغابر، عمد مشجعوه إلى تأليف وتلحين نشيد يرددونه في كل مباراة: "سوف نعود.. سوف نعود.. كما كنا من جديد.. سوف نعود عظماء من جديد". وبرغم عبثية النشيد، فإنه صار شيئًا فشيئًا أشبه بتعويذة. وفي عام 1994، تحقق المراد منها، لما أحرز النادي لقب الدوري في نهاية المطاف.

إن تنحية الماضي للحظات، أو بالأحرى لتسعين دقيقة هي زمن المباراة، كفيل بأن يعيدنا إلى واقع مرور الزمن خلال المباراة. فهل هناك من سبيل يجبر الدقائق على أن تمر بطريقة مختلفة؟ يستخدم الوقت المستقطع في مباريات كرة السلة وكرة القدم الأمريكية لتعديل الخطط ومراكز اللاعبين، أو لتهدئة إيقاع اللعب والتقاط الأنفاس. أما في اللعبة الجميلة، فلا يتوقف الزمن أبدًا إلا بإصابة لاعب أو وقوع حدث عظيم يجبر الحَكم على إيقاف اللعب. وعندئذ تتحول الأنظار كلها إلى طبيب الفريق، الذي كان في الظل قبل تلك اللحظة، فيركض إلى داخل الملعب، حيث اللاعب الساقط على الأرض، ويفتح حقيبته، مثل ساحر غامض، ليخرج زجاجة سبراي سحرية، وبقية

ما يلزمه ليؤدي دوره في مشهد هو أول مَن يعرف أنه تمثيلي. فهو يدرك أن اللاعب سقط أرضًا لأنه لم يجد سبيلًا إلى تجميد زمن المباراة سوى بهذه الحركة المكشوفة، حتى بالنسبة للحَكم نفسه.

تنطلق صافرة الحكم في رتابة جنائزية.. بيب.. بيب.. بيييب! وكأنه أصدر حكمه البات بانتهاء المباراة، فلا يبقى منها إلا مشاهد ولقطات وإحصائيات.. وأبطال أعمارهم الفعلية قصيرة ولكنهم أساطير خالدة في عقول جماهيرهم، وأعصاب تالفة في جسد مدير فني. دخلت مباراة أخرى نطاق الوعود المؤجلة؛ والأمل في أن ما انقضى الآن هو ما سوف يأتي لاحقًا. ونبقى نحن الجمهور القابع في المدرجات على حنين إلى ماضٍ لن يعود.



أفضل أهداف"ميشيل بلاتيني"



خصوصية أن تكون بساقين

الساق الأخرى

إن ساقَي اللاعب واحدة من ألغاز كرة القدم العجيبة. فهو عادةً ما يستخدم إحداهما في لعب الكرة فتصبح الثانية مثل ظل للأولى، ولا يعتمد عليها إلا في الوقوف فقط.

عندما يضطر لاعب يجيد اللعب بقدمه اليمنى إلى استخدام قدمه اليسرى، تأتي التسديدة ضعيفة وليست على النحو الذي أراده لها. وكثير من اللاعبين تشاهدهم فتظن أنهم خرجوا للتو من صفحات رواية "جزيرة الكنز"، حيث القراصنة التي التهمت أسماك القرش

إحدى سيقانهم. وفي المقابل، هناك لاعبون عظام أجادوا اللعب بكلتا القدمين، بل وكلا الكتفين أيضًا. وفي حالات نادرة تتابع لاعب الكرة فتكاد تتيقن من أنه أمضى أغلب حياته في السيرك، من فرط مهارته في استخدام أطرافه.

اعتدت أن أوصل ابنتي إلى مدرستها بالسيارة، وكنا نتوقف في طريقنا عند إحدى إشارات المرور التي يقبع عندها أحد موهوبي الشوارع. كان يداعب كرات مختلفة الأحجام ويحركها ببراعة بأي جزء من جسده، حتى أنفه. فهل تجعله تلك المهارة مؤهلًا لممارسة كرة القدم؟ الأمر ليس كذلك.

من الضروري أن تمتلك مهارة التحكم الجيد في الكرة، لكنها مهارة مفيدة في حال استخدمت في صالح تنفيذ المهمة المطلوبة؛ أي تمرير الكرة، وصنع الهدف. ومعظم اللاعبين الكبار يوجهون أنفسهم بطرق غير اعتيادية، ويتعمدون أن يكونوا عند استلام الكرة في وضع يسمح لهم بتنفيذ خدعة أو خدعتين. ولذلك لا يسعى المدافع الفاهم إلى منع المهاجم من الحركة تمامًا، فهو يعلم أن هذا مستحيل، ولكنه يحاول أن يجعل من الصعب على المهاجم استلام الكرة في وضع مريح.

فما الذي يمنع اللاعب من استخدام قدميه معًا؟ الحقيقة أن تاريخ كرة القدم يؤكد لنا أن كل لاعب من اللاعبين الكبار كان يتميز عن غيره بمهارة واحدة بعينها يجيدها بكل براعة. أما ما يميز الأسطورة عن اللاعب الكبير فهو أنه يكاد يكون متكامل المهارات. كما أن كرة القدم أشبه بملحمة يكتبها "هوميروس": لدى كل شخصية ميزة معينة. فكما أن "هيكتور" مروض الخيول، و"أخيل" سريع الحركة، فكذلك يركز لاعب الكرة على الميزة التي ينفرد بها عن غيره، سواءً كانت التهديف أم ضربات الرأس أم استخلاص الكرة أم لعبة "الدبل كيك" أم التمرير السليم أم تنفيذ الهجمة المرتدة السريعة.

ويدرك لاعب الكرة، مثل بطل "حكاية جندي" لـ"راموز"، التي حولها "سترافينسكي" إلى ملحمة موسيقية عظيمة، أن "شيئًا واحدًا سعيدًا هو كل شيء سعيد". عليه أن يساير البهجة والإمتاع. برغم أنها مهمة صعبة للغاية في ظل وجود ساقين فقط لا غير.

اللاعبون الذين يجمعون بين القوة الكبيرة والمهارة، مثل "ديدييه دروجبا"، واللاعبون الذين يجيدون اللعب بكلتا القدمين، مثل "تشافي"، يخلصون للغاية للموهبة والمهارة التي يكتسبونها. ولكن حتى هؤلاء اللاعبين الذين يفعلون كل شيء بالكرة يبقون متميزين

للغاية في أداء مهارة واحدة بعينها، بطريقة فريدة وغير قابلة للتكرار، بحيث يستمرون الأفضل.

وبينما تبدأ قصة الحضارة البشرية مع تعلم "الهومو إريكتوس" المشي على قدمين، تؤكد لنا كرة القدم أن بوسع الإنسان أن يكون عظيمًا من دون أن يحتاج سوى إلى قدم واحدة فحسب.

الأعسر.. أو الأشول

يبدو أن عالمنا اليوم لم يعد يسمح لأصحاب الميول اليسارية بالتواجد إلا داخل المستطيل الأخضر لملعب الكرة. ودائمًا ما كان الأعسر متميزًا عن غيره بسرعة البديهة والذكاء والنجاح في عالم المال والأعمال وتقديم الأفكار المبتكرة.

وأيام كانت أرقام قمصان اللاعبين محددة وثابتة وتبين مركز اللاعب في الملعب، كان الرقم (11) يشير إلى أن صاحبه يلعب في مركز الجناح الأيسر، أي أن اللاعب الأخير في الترتيب الرقمي للاعبين هو في الأغلب أعسر.

وعلمتنا كرة القدم أن نعتاد ألغازًا بيولوجية معينة؛ فالقدم اليسرى تتطور في النمو أسرع من اليمنى. والغالب على اللاعب الذي يلعب بيسراه أنه لا يجيد ذلك بيمناه أبدًا، بينما يمكن للاعب العادي أن يستخدم يسراه عند الضرورة من دون صعوبات. كما أننا تعلمنا أن اللاعبين الأفذاذ لا يجيدون اللعب إلا بقدم واحدة وليس الاثنتين؛ ففي حالة مثل "مارادونا" أو "ميسي"، الأشولان، يكون من المدهش أن تستخدم القدم اليمنى من الأصل. والأغلب أن يتم اختيار اللاعب الأعسر ليلعب في جانب الملعب، على الأطراف كما يقولون، سواءً كانوا على الجانب الأيمن أم الأيسر من الملعب؛ لأن في ذلك إرباكًا للخصم، وأذكر هنا البرتغالي "باولو فوتري" والقصير الحريف "روبرتو كارلوس". ولكن، هل يحتمل الفريق وجود أكثر من لاعب أشول في صفوفه؟ يمكن للفريق ألا يشتمل على أي لاعب أشول، ولكنه لا يحتمل وجود أكثر من لاعبين أشولين. فهل جرب أي مدير فني أن يختار كل الفريق من اللاعبين الذين لا يجيدون اللعب إلا بالقدم اليسرى؟ أعتقد أنه سيصاب بأزمة قلبية حادة إن هو فعل.



أفضل اللاعبين بالقدم اليسرى

ذات مرة، دار حوار بيني وبين صديق أرجنتيني عن "فرناندو ريدوندو"، ذلك اللاعب الوسيم الراقي، الذي انتهت مسيرته بعد إصابة قوية، والذي لم يلعب كثيرًا مع منتخب بلاده بسبب رفضه أن يقص شعره الطويل. يومها، ذكرني صديقي بشخصية في إحدى روايات "جوان ريز دي ألاركون"، فقد كان للشخصية عبارة مشهورة: "اسمي ريدوندو، ولكن عليك ألا تستهين بي، فأنا حاد الذكاء". وكنت أثني على اللاعب، ولكن صديقي اختلف معي، بزعم أن اللاعب كان يبالغ في الاعتماد على قدمه اليسرى. وجدت ذلك نقدًا غريبًا، خاصة وأننا نتحدث عن لعبة اشتهر كل نجم من نجومها بمهارة أو حركة معينة؛ كان الألماني "جيرد مولر" يجيد ألعاب الهواء أفضل من أي أحد، واشتهر "أوليفر بيرهوف" بضربات الرأس القوية، و"هوجو سانشيز" بلعبات "الدبل كيك"، و"ديفيد

بيكهام" وركلاته الحرة، و"مارادونا" الذي كان قادرًا على ترقيص فريق بأكمله، علاوة على الجمهور.

كان رقم 11 في فريق البرازيل العظيم عام 1970 هو "ريفيلينو"، وكان شديد الإعجاب بالملك "بيليه"، ولكنه يعرف أنه يفتقر إلى الميزة الوحيدة التي كان من الممكن أن تجعله كاملًا. وذات يوم، ذهب إليه وسأله: "كنت تتمنى لو أنك تجيد اللعب بقدمك اليسرى، أليس كذلك؟" ولم يرد الملك على سؤاله.



إحصائية مهارات "بيليه" و"مارادونا"



موت آخرين

مؤامرة

خلال نهائيات كأس العالم 2006 في ألمانيا، كان الجميع يتحدثون عن فيلم "حياة الآخرين"، والشخصية الرئيسية فيه هي عميل لمخابرات جمهورية ألمانيا الديمقراطية (ألمانيا الشرقية) الذي اشتهر باسم "شتازي". كان يتجسس على زوجين من المثقفين في تلك الحقبة من الحرب الباردة، ولكنه وجد نفسه منغمسًا في حياتهما.

يعكس الفيلم بفكرته وحبكته تلك التوترات الوجدانية التي كان عليها شعب ألمانيا الاشتراكية. فوفقًا لبعض التقديرات، كان واحدًا

من كل ثلاثة أشخاص يعمل مخبرًا لجهاز "الشتازي"، وكان الهدف من نشر ثقافة المخابرات تلك ضرب أي محاولة انشقاق وتمرد في مهدها، وهي ما تزال تتشكل، قبل أن تتبلور في صورة فعل.

لقد عشت في ألمانيا الشرقية من عام 1981 إلى عام 1984، والتقيت أشخاصًا فقدوا وظائفهم التدريبية والدائمة بسبب الاشتباه في أنهم منشقون محتملون. ويمكن أن تكون الأدلة ضدهم ضئيلة واهية، في صورة وجود مجلة غربية في درج المكتب، أو لقاء عابر بأجنبي سائح.

واليوم، صار بوسع أولئك الذين تم التجسس عليهم الرجوع إلى الأرشيف القديم. وهو قرار جريء من مجتمع أراد تجنب تكرار ذلك الاتفاق على الصمت في حقبة ما بعد النازية. قال البعض بأن في ذلك فتحًا لباب كبير من المشكلات والمآسي لأعداد ضخمة من الشعب الذي راح يبحث وينقب في تلك الفترة المنكوبة. فكم هو مرير أن تكتشف أن أحباءك كانوا في الحقيقة يتجسسون عليك.

وجدت أن لي ملف، رقم 73/1790، أي أنني كنت ضمن الملايين الذين خضعوا للمراقبة؛ وفي حالتي كان السبب هو عملي في السفارة المكسيكية في برلين. وفي وقت لاحق، بحثت عن الملفات السرية التي

كانت لديهم عني، بدافع الفضول، ولكنني كنت آمل أيضًا في اكتشاف ما هو مثير للاهتمام في حياتي خلال تلك السنوات. فربما تكون حياة الظل التي سجلوها عني أفضل من حياتي الحقيقية. وكما توقعت، لم أعثر على أي شيء قريب من تلك المؤامرات المعقدة التي ملأت الملف المكون من أربعة آلاف صفحة الذي كانوا يحتفظون به لبطلة التزلج على الجليد "كاتارينا ويت"، أو كلام عن إصابتي بجنون العظمة مثل الذي ملأ ملف "جونتر جراس" الضخم. ومع ذلك، وبالرغم من تفاهة المعلومات التي حصلت عليها عني، فإنها تظل دليلًا على "لا عقلانية" نظام لم يعامله شعبه إلا بامتعاض واستياء.

ولم تكن الشرطة السرية بعيدة عن كرة القدم، بل كان لديهم فريقهم الخاص؛ بي "إف سي دينامو". وعلى الرغم من غرابة ومفارقة أن يذهب آلاف المشجعين لمشاهدة فريق يضم عملاء سريين، فإن "دينامو" لم يكن غريبًا في دوري كرة قدم يتكون في أغلبه من فرق تابعة للجيش والشرطة.

ومع مونديال ألمانيا 2006، تذكر الناس لاعب الكرة الذي كانوا يحتفظون بملف عنه. فقد هرب "لوتز أيجندورف" إلى ألمانيا الغربية في عام 1979، حيث انضم إلى فريق "كايزرسلاوترن". ولم يكن

رئيس "الشتازي"، "إيريش ميلكه"، راضيًا عن ذلك التأثير السلبي لقرار لاعب كرة معروف من جنة الاشتراكية، وخطط للانتقام.

تحلى "ميلكه" بصبر الصياد. وظل يتعقب "أيجندورف" على مدار أربع سنوات، علاوة على تعمد مضايقة زوجته وابنته، اللتين لم يهربا مع رب الأسرة. حاول نجم الكرة العديد من المحاولات اليائسة كي يحضر أسرته عبر الحدود. وفي محاولة للوصول إلى أكثر أسرار العائلة حميمية، أرسل "الشتازي" من يهدف إلى إغواء زوجته. وبعد أن سئم واقتنع أنه مراقب باستمرار، قرر "أيجندورف" اعتزال اللعبة، ولجأ إلى الخمر. كان ذهنه على وشك الانهيار، وقرر الابتعاد أكثر؛ راح يتعلم الطيران، فقد كان الهرب هو الشيء الملح الوحيد في ذهن مهاجم الكرة البائس.

وفي 5 مارس 1983، ذهب إلى البار الذي صار زبونه الدائم، وتناول عدة كؤوس، قبل أن يقرر الانصراف مبكرًا. كان لديه درس طيران في اليوم التالي. وكان يقود سيارته في طريق خلفي، يمر في إحدى الغابات. وفجأة أعمى عينيه ضوء مبهر لسيارة قادمة، ففقد السيطرة على السيارة التي اندفعت لتصطدم بجذع شجرة، ويلقى اللاعب حتفه في التو.

كشفت محاضر اجتماعات "الشتازي" أن الحادث لم يكن صدفة؛ فقد كانوا يحصون أنفاس لاعب الكرة ويراقبونه على مدار الساعة. وهكذا، وفي سن السادسة والعشرين، دفع "لوتز أيجندورف" ثمن انشقاقه. وفشل الرجل الذي كان يقفز أعلى من المدافعين بكل سهولة في أن يقفز فوق أسوار التاريخ والقدر.



تقرير عن "الشتازي" ووفاة اللاعب "لوتز أيجندورف"

اغتيال

ارتكب "رينيه هيجيتا" خطيئة الذهاب إلى "الكاتدرائية"؛ ذلك هو الاسم الذي أطلقوه على السجن الذي احتجزوا فيه "بابلو إسكوبار"، زعيم المخدرات والمالك السابق لناديي "إندبنديتي" و"أتليتكو ناسيونال دي ميديلين" الكولومبيين.

في بلاد تتسم بتفاوت طبقي هائل، اعتمدت شعبية "إسكوبار" على أعماله الخيرية ودعمه لبعض الأندية الرياضية. ودخلت عائدات تجارة

الكوكايين في مساندة أنشطة أندية كرة القدم المتعثرة، وكان ذلك سبيل استمرار فريق "ناسيونال" الذي حقق إنجازًا غير مسبوق. ففي عام 1989، وتحت الإدارة الفنية لـ"فرانسيسكو ماتورانا"، فاز النادي ذو القميص الأخضر والأبيض بكأس "ليبرتادوريس"، وهو إنجاز لم يسبق لأي فريق كولومبي أن حققه من قبل.

وعندما كان "إسكوبار" يتواجد في المدرجات، كان يترك انطباعًا بأنه رجل أعمال أمين. وبرغم أنه كان قاتلًا وحشيًا، لكنه تلقى معاملة تفضيلية في جميع المعاملات التجارية وكذلك من الاتحاد الكولومبي لكرة القدم.

وعندما تخلى عنه الجميع وقبع في السجن، أظهر "هيجيتا" ولاءه. لقد تهور الحارس الذي تخصص في الخروج من منطقة جزائه كثيرًا في المباريات، هذه المرة: دخل السجن، وكان له يد في هروب أحد السجناء، وألقي القبض عليه مجددًا. وبالتالي لم يتمكن من لعب كأس العالم في الولايات المتحدة الأمريكية 1994.

ذهب الفريق الكولومبي إلى كأس العالم وهو يحمل سجلًا مميزًا؛ بعد أن فاز بخمس وعشرين مباراة من آخر ست وعشرين مباراة خاضها. و"كارلوس فالديراما" في أوج تألقه، ومعه الهدافان

"إسبريلا" و"فالنسيا" بنكهة برازيلية، والمدافع "أندريس إسكوبار" الذي يذكرك بالقيصر "بكنباور" بأدائه النبيل.

لم يكن الفريق قد نسي بعد ما حدث له في إيطاليا 1990، بعد خروجهم من المنافسات بواقعة غريبة بطلها هو "هيجيتا" الذي خرج بالكرة إلى خارج منطقته، وحاول مراوغة الكاميروني "روجيه ميلا" البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا، والذي انتهز الفرصة التي كانت بداية شهرة عالمية متأخرة للاعب الذي يوشك أن يعتزل.



مقارنة بين "هيجيتا" و"ميلا"

كانت انتصاراتهم في تصفيات كأس العالم انتصارات فريق لا يعرف إلا الفوز، ولعبوا ببراعة ومتعة غريبة في تصفيات لا تعرف إلا اقتناص الثلاث نقاط. فازوا على الأرجنتين 5 - 0 في أرضها؛ في "ريفر بلايت" وداخل استاد "مونيومنتال"، وصفق لهم الجمهور الأرجنتيني المتعصب.

كان أفراد الفريق يتميزون بقصات شعر غريبة، حتى إنهم كانوا يشبهون قراصنة يعربدون داخل بار. وشجعهم رئيس البلاد، "سيزار خافيريا"، وكان يحضر مبارياتهم أينما كانت، أملًا منه في تبديد الصورة التي انطبعت عن بلاده؛ فهي ليست بلاد تجارة المخدرات والعنف المسلح. وبالفعل، أكسب منتخب الكرة بلاده سمعة عالمية جيدة، ونسي الجميع أن الجنسية الكولومبية كانت ذات يوم أسوأ جنسية يمكن لإنسان أن يحملها.

لم يكن المنتخب الوطني يفتقر إلى الخيال؛ وكان يفوق الواقع. وظهر زعماء مخدرات جدد يحاولون تقليد مسيرة "إسكوبار"، وصار "المكسيكي"، وهو لقب تاجر مخدرات شهير وقتذاك، يتولى رئاسة نادي "ميليوناريوس"، واشترى "ميجيل رودريجز" نادي "أمريكا دي كالي". وبفضل انتصارات منتخب الكرة، ازدهرت تجارة مصاحبة للنشاط الكروي، تتمثل في غسيل الأموال من خلال الرهان على نتائج مباريات الدوري.

وقبيل نهائيات كأس العالم، خُطف نجل أحد اللاعبين، وكان عمره ثلاث سنوات؛ وكأن تلك الحادثة نذير بمآسٍ أخرى ستحدث خلال البطولة. وخلال المباراة ضد رومانيا، فشل حارس المرمى،

بديل "هيجيتا"، في التصدي لتسديدة "هاجي" من على بعد خمسين ياردة، وانتهت المباراة 3-1 لرومانيا. وتوقف مصير الفريق على نتيجة مباراته ضد الولايات المتحدة. ونادرًا ما لُعبت مباراة في مثل تلك الأجواء المتوترة للغاية. تأخر المدرب "ماتورانا" في الدخول إلى غرفة الملابس، وعندما وصل كان منخرطًا في البكاء. لقد تلقى تهديدات بالقتل إن لم يبدأ المباراة بتشكيلة معينة. ولم يكن بيده سوى أن يطيع.

هكذا تحولت المباراة إلى ساحة محاكمة وعقاب. ونوع العقاب محكوم بما تسجله لوحة النتائج في نهاية المباراة. وخلال محاولة لإبعاد الكرة، سجل "أندريس إسكوبار" هدفًا في مرمى فريقه. ولا يمكن لمحبي كرة القدم حول العالم أن ينسوا تلك النظرة التي كان ينظر بها إلى من حوله.. نظرة من أدرك أن مصيره قد حسم.. وأن حياته انتهت.

ولكنه عندما عاد إلى "ميدلين" لم يكن يريد أن يختبئ، وحاول مواصلة حياته كالمعتاد. وهكذا، لقي مصرعه رميًا بالرصاص خارج ملهى ليلي. رافقته فتاة إلى المستشفى، وهي تتشبث بيده وتهمس في أذنه. تظاهر الرجل النبيل بأنه يسمعها، وهو ينظر لها في ذهول،

بعد أن أدرك الجميع أن انتصار الأبطال الكولومبيين لا يكون إلا في الخيال فحسب.



هدف "إسكوبار" في مباراة الولايات المتحدة وكولومبيا بكأس العالم 1994

أزمة قلبية

لا شيء أصعب من فهم القلب. تلك حقيقة يدركها أطباء القلب والشعراء على حد سواء. يمكنك قياس الزمن من خلال دقات القلب، ولكن دقات القلب نفسها غير قابلة للقياس. تجسدت كل تلك المعاني في دراما لا تنسى ذات ليلة من ليالي أغسطس 2007، لحظة أن مات لاعب أشبيلية الأسباني "أنطونيو بويرتا".

شاب يبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا ينهار على أرض ملعب كرة دون سابق إنذار، ومن دون سبب واضح. كم هي هشة تافهة هذه الحياة. وما يبعث على الأسى أن ذلك قد حدث للاعب يشهد مع فريقه ذروة الأمجاد، بعد أن كان قد فاز للتو بكأس السوبر

الإسباني، وكأنه يذكرنا بأن السعادة والحزن وجهان للعملة نفسها، وبأن الإنسان مهما فعل فمآله إلى رماد.

يبدو أن رياضيي هذا العصر شهداء قسوة التدريبات البدنية وليسوا رموز الصحة واللياقة. وبمجرد أن يتقاعد الرياضي، فإنه يبدأ في المعاناة من آلام وأوجاع لا يمكن أن يعرفها أولئك الذين لم يعيشوا حياة مثل حياته من أجل لقمة العيش.

وفي الليلة التي تسبق أي مباراة، يجلس لاعب كرة السلة المحترف للعشاء وأكياس الثلج ملفوفة على ركبتيه. أما في حالة لاعبي كرة القدم، فإنها تكون ملفوفة حول كاحليه.

بدأت علوم الطب الرياضي تبتكر مشروبات الطاقة التي تكاد تكون نوعًا من المنشطات الممنوعة. وأي شخص يعتمد على جسده في التنافس يسعد كثيرًا بمثل تلك المكملات، وخاصة لو كان يشعر أنه بحاجة ملحة إليها. ولكن آثارها قد تكون مدمرة في بعض الأحيان. وأعتقد أن أحدًا لم ينس ما جرى للبرازيلي "رونالدو" عشية المباراة النهائية لكأس العالم، فرنسا 1998، بعد أن اضطر طبيب الفريق لحقنه بمنشطات خيول حتى يتسنى له اللعب.

إن حياة الرياضي القصيرة في الملاعب، وأجره الفلكي، تبدو مبررات للطريقة التي يسيء بها معاملة جسده. فهو مضطر للمشاركة في المزيد والمزيد من المسابقات طوال الوقت، والمدرب يبحث دومًا عن طرق مثالية للاستفادة من أفضل اللاعبين من دون أن يستنفد قواهم على مدار الموسم. ويدور الكثير من الحديث في كرة القدم الحديثة عن مبدأ التدوير في فرق الكرة، رغم أنه يتعارض مع سيكولوجية المنافسين الحقة: فلا يوجد لاعب يحب أن يجلس على دكة الاحتياط.

هل أصيب "بويرتا" بنوبة قلبية مميتة بسبب فرط الإجهاد البدني؟ لأن القلب غامض، فكان من الطبيعي أن تتعدد التخمينات. كان "بويرتا" قد خضع لبعض الاختبارات الجسدية القوية قبل أيام قليلة من وفاته، وقد اجتازها من دون مشكلات. وبعد انهياره على الأرض تلقى الرعاية الطبية الخبيرة المطلوبة في مستشفى "فيرجن ديل روسيو". ولا تشير حالته إلى وجود مشكلة صحية ظاهرة، ولكن المشكلة كانت مهنته التي تطلب الكثير والكثير من جسد كائن حي من دون أن تجد في ذلك أي غضاضة. فالتدريب البدني يؤدي إلى نوع من الإنهاك الذي لا يلاحظه أحد، حتى اللاعب نفسه.

كان "أنطونيو بويرتا"، صاحب الاسم السهل والبسيط، ذو الوقع الموسيقي على الأذن، بطلًا في مدينته. وكان ارتباطه بنادي "إشبيلية" غير عادي في زمن الاحتراف والتنقلات. لذلك كان حجم الألم بعد وفاته هائلًا ومشاهد الحزن الصريح في الشوارع لا تنسى، وتذكر الناس مواكب "سيمانا سانتا"، عندما خرجت المدينة عن بكرة أبيها لتوديع ابنها.

وتحول الرقم 16 الذي ارتداه إلى ما يشبه الرمز الديني. وتحول المدخل رقم 16 في إستاد "إشبيلية" إلى مزار مُضاء بالشموع، وحتى عشاق "ريال بيتيس"، النادي المنافس لـ"إشبيلية"، قاموا بطباعة الرقم 16 على قمصان ناديهم الخضراء والبيضاء. وتظهر تلك البوادر المؤثرة التي يبديها المنافسون أن ذلك النوع من عداوات الكرة لا يُنحَّى جانبًا إلا في حال وقعت كارثة من هذا القبيل.



لحظة وفاة "أنطونيو بويرتا"

استدعت مأساة "أنطونيو بويرتا" من الذاكرة لحظات حزينة وغامضة أخرى في تاريخ اللعبة. مثل "بيدرو بيرويزو"، لاعب آخر في فريق "إشبيلية"، الذي سقط أرضًا خلال مباراة في عام 1973 وكأن صاعقة ضربته بغتة. وكان مثل "بويرتا"، ينتظر عما قريب أن يكون أبًا، وكان مثل "بويرتا"، لديه تاريخ من الانهيارات البدنية السابقة. وبعد أربع وثلاثين عامًا يعيد التاريخ نفسه، بأوجه تشابه مربكة تمامًا.

ومن الأمور غير المفهومة الأخرى أنه قد يكون الفريق في ذروة تألقه ومستواه ولكنه يخسر في ملعب بعينه لمجرد أنه فشل في ذلك طيلة أربعة وعشرين عامًا. فهل لمثل تلك الخرافات والعقد آلية معينة؟ وتجد لاعبي الفريق الذين لم يكونوا قد ولدوا وقت وقعت أول هزيمة للنادي في ذلك الملعب وهم يلعبون بكل رهبة كما لو كانوا هم مَن لعبوا أول مباراة.

وجدت الإجابة لدى الكاتب البرازيلي "نيلسون رودريجز":

الموت ليس عقبة أمام مسؤوليات الأفراد تجاه ناديهم. فأفراد الفريق في المباراة وجمهورهم في المدرجات أقلية مقارنة بعدد الأشباح التي تحوم وتؤثر في مجريات اللقاء. كل لاعب سبق له أن لعب في النادي حاضر وموجود. والفريق كبير بقدر ما تكون أشباحه كبيرة.

وعندما فاز فريق "إشبيلية" بكأس السوبر، حرص على التأكيد على الروح الجماعية التي يتحلى بها الفريق. إن لاعبيه متمسكون به، في النصر وفي الهزيمة.. وقاموا بإهداء كرة المباراة لروح "أنطونيو بويرتا".





سحر الرقم 10

رقم 10 رقم مهم للكائنات التي تستخدم أصابعها في العد. ويسمح النظام العشري بقياس الزمن باستخدام اليدين.

وهكذا كان من المنطقي أن يعطى الرقم الأخير، المتكامل، للاعب الذي هو بمثابة العقل المفكر في الفريق.. الجنرال الذي يوزع الأدوار والمهام على زملائه.

وبرغم أنه يعطى في الغالب للاعب في خط الوسط أو خط الهجوم، فإنك تستشعر مغناطيسيته وكاريزميته في جميع أنحاء الملعب.

ولو استثنينا "بيليه" و"مارادونا"، نجد أن اللاعب رقم 10 لا يسجل الكثير من الأهداف بقدر ما يغطي مساحات أكبر من الملعب. والجملة

التكتيكية التي تتمحور حوله تبقى في ذاكرة الجمهور أعمق وأطول من لحظة تسجيل الهدف أحيانًا.

التأثير القوي لصاحب الرقم 10 واضح، ولكن ميزته الرئيسية تكمن في عمله على تطوير اللاعبين من حوله؛ حتى إنهم يفعلون كل ما في وسعهم لكي يستحقوا شرف استلام الكرة منه. ولو تمكن الفريق الخصم من مراقبة رقم 10 مثل ظله، فإن هذا يعني سكتة دماغية لفريقه، واقتراب المنافس من تحقيق نصر أكيد. وكأن ذلك الرقم يعكس بالفعل عدد اللاعبين الذي يعتمدون عليه داخل المستطيل الأخضر.

ومع اختلاف قوائم أفضل اللاعبين الذين حملوا هذا الرقم، فإنني أعددت قائمة باللاعبين الذين رأيتهم بعيني وهم يلعبون. وربما يكون هناك لاعبون خارج قائمتي ممن يستحقون الدخول فيها، ولكنهم ليسوا كثيرًا.

ملايين لعبوا الكرة، ولكن نخبة مختارة هي التي أضفت عليها سحرها.

ديدي: الأول

كان أفضل لاعب في كأس العالم 1958 هو "والدير بيريرا"، المعروف أيضًا باسم "ديدي"، والموصوف بقلم المعلق والكاتب المسرحي "نيلسون رودريجز" بلقب "الأمير الإثيوبي".

وعندما كان يركض ليسدد ركلة جزاء، كان يتوقف دائمًا قبل لحظة التسديد مباشرةً. كان هو من اخترع تلك الوقفة التي صارت شهيرة فيما بعد؛ وكان أول من ابتكر خدعة لحارس المرمى أثناء التسديد. أما حيلته الأخرى، تسديد الركلة الحرة بطريقة أسموها "ورقة الشجر الجافة" فمن الصعب جدًا تقليدها، حيث كان يركل الكرة بقوة وفي اتجاه عالٍ جدًا عن مستوى المرمى، كما لو أنه يسدد على مرمى آخر في المدرجات، لكنه كان يكسبها دورانًا غاريبًا يجعلها تنخفض فجأة لتسقط خلف حارس المرمى المذهول وتعانق الشباك؛ كأنها ورقة شجر يبست وسقطت من غير توقع.

وقليلون هم اللاعبون الذين اتصفوا بهدوء "الأمير"؛ فبعد هدف البرازيل الأول في المباراة النهائية في بطولة السويد عام 1958، عاد إلى دائرة منتصف الملعب والكرة تحت ذراعه؛ كان هادئًا جدًا، لدرجة أن الرسالة كانت واضحة: إن أسرعت، تخسر.

ولو طلب منه زملاؤه أن يسرع بإيقاع اللعب، كان يرد عليهم قائلًا: "نحن أفضل منهم، فلا داعي للاستعجال". ولأنه كان مقتنعًا بأن الوقت يساند الفريق الأفضل، فقد كان يلعب وكأن الزمن غير موجود.

وشأنه شأن العديد من الأبطال، فقد اصطدم بسوء الحظ. فبعد أن دخل في معركة شرسة وهو في سن الرابعة عشرة، حملوه في كرسي متحرك وقيل له: إن ساقه يجب أن تبتر. لذلك قطع على نفسه وعدًا أنه إذا استعاد قوة ساقيه، فلسوف يستخدمهما في إعادة اختراع العالم، ولكنه سيفعل ذلك دون أي بادرة قلق، ليبين للناس أن أعظم براعة هي تلك التي تتمثل في فعل الأشياء ببساطة.

كان أعظم لاعب ارتدى قميص نادي "فلومينينسي" البرازيلي، وفي عام 1950، سجل أول هدف في استاد "ماراكانا" الجديد. وفاز بلقب الدوري البرازيلي مع "بوتافوغو" عام 1957 وأوفى بوعده أن يتخطى "ريو" سيرًا على الأقدام؛ بكل هدوء الدنيا، بطبيعة الحال، وبسببه انتشرت مقولة جماهيرية.. "التوقيت لعبة بين قدمي الملك": فالأمير يحدد اللحظة التي ينطلق فيها مثل السهم نحو منطقة جزاء الخصم، بعد برهة من مناورات هادئة.

وفاز "ديدي" بكأس العالم للمرة الثانية في المكسيك وخاض بقية مسيرته مع فريق "ريد شاركس فيراكروز" المكسيكي.

ومن خلال أسلوب لعبه الأنيق الراقي، جعلنا نعتقد أن لا أحد سيأتي بمثل مهارته وعبقريته. ولكن لاعبًا شابًا موهوبًا ظهر في عام 1958 وقال الكلمات التالية للصحافة: "أنا لا شيء بالمقارنة مع "ديدي". لن أقترب حتى من مستواه. إنه معبودي، ومرجعي في الكرة. وأول بوستر على حائط غرفتي كان له". أما من هو ذلك اللاعب المبتدئ البالغ من العمر ستة عشر عامًا، والذي كان يعبد "أمير الهدوء"؟

إنه "إدسون أرانتيس دو ناسيمينتو".



إنجازات "ديدي"

بيليه.. الملك

عندما رأى "نيلسون رودريجز" "بيليه" وهو يلعب، أدرك أن عليه أن يجد وصفًا أفضل من ذلك الذي أطلقه على "ديدي". كان ذلك في 25 مارس 1958، وفي ذلك الوقت كتب أن "الملكية حالة وجود". فمن هو الذي يجسدها في الملعب؟ انجذبت عين الناقد إلى مراهق كان قدَّم للتو لحظة من لحظات السحر في اللعبة. وكتب "رودريجز": "يحتاج المرء إلى ما هو أكثر بكثير من المهارة حتى يسجل هدفًا مثل هذا. أنت بحاجة إلى شيء إضافي؛ ثقة كاملة في الذات ويقين وتفاؤل؛ جعل الدفاع عاجزًا تمامًا أمام "بيليه". ما أقصده هو أن أعظم فضيلة لديه هي كبرياؤه المطلق. تلك الطريقة التي يعلو بها فوق كل شيء وفوق الجميع تثير الرهبة في الجميع، حتى الكرة نفسها". لقد رأى "رودريجز" اللاعب الذي سوف يتوج ملكًا للعبة.

لم يتم إلغاء تجارة الرق في البرازيل إلا في عام 1888. وكان "إدسون أرانتيس" من الجيل الثالث من السود الأحرار، والذي قدر له أن يكسب البرازيل شهرتها العالمية.

ذات مرة، وجده والده يدخن وهو في سن المراهقة. وقال له: "فكرة سيئة أن تدخن إذا كنت ترغب في أن تكون لاعب كرة قدم محترفًا. ولكن إذا كنت غيرت رأيك، فإليك بعض المال لتشتري لنفسك علبة سجائر. فأنا لا أريد لك أن تتسول السجائر".

تصرف الملك بعزة نفس أولئك الذين يشعرون بأنهم لا يجب أن يطلبوا شيئًا من أحد، بدايةً من نقود السجائر التي عرضها والده. ومن يومها، لم تلمس أصابعه السجائر مرة أخرى، وهي حقيقة فاجأت أشهر عربيد في تاريخ اللعبة، "جورج بست"، الذي سأله ذات مرة: "أي نوع من الملوك أنت.. إن كنت لا تشرب أو تدخن؟"

يمكننا التحدث عن نخبة مختارة من عظماء كرة القدم الحديثة، ولكن ليس هناك سوى ملك واحد فقط. كان "إدسون أرانتيس" صانع دراما مثالي؛ حتى في طريقة احتفاله بالأهداف (قفزة قوية للأعلى، وهو يلوح بقبضته في الهواء).. كان مذهلًا. ثلاثة كؤوس عالم، وأكثر من ألف هدف. كان بوسعه مراوغة أعتى المدافعين بترقيص جسده فحسب، وكان بإمكانه القفز أعلى من لاعب روسي طوله ستة أقدام. سيطر على قدراته البدنية، وصنع منها سيمفونية

إيقاعية. وأمكنه أن يجمع بين رقي ومهارة "ديدي" وحب التفوق لدى العداء الأمريكي "جيسي أونز".

شارك مع فريق "سانتوس" وهو في الخامسة عشرة، واستمر يلعب على مدار عشرين عامًا، وهي فترة زمنية لم يتمكن أي لاعب آخر من تكرارها.

وعلاوة على الأهداف التي سجلها، يذكر له تاريخ اللعبة العديد من المحاولات والتجارب المهارية التي لم يقدَّر لها أن تنتهي هدفًا في الشباك.. ولكنها بقيت قِطعًا فنية لا تقدر بثمن.



أفضل أهداف "بيليه"



بوبي تشارلتون.. العائد من الموت

استحقت البلادُ التي أنجبتْ شكسبير ظهورَ شبح ينصفها أمام القدر. ذات يوم من عام 1958، تحطمت طائرة كانت تحمل فريق "مانشستر يونايتد"، مما أسفر عن مصرع ثمانية لاعبين. وكان "بوبي تشارلتون" أحد القلائل الذين نجوا من الموت، واستمر يلعب بدهاء وبراعة مَن تدرب طويلًا في الحياة الآخرة.

أكسبت تمريراته الحاسمة كرة القدم الإنجليزية شخصيتها حتى اليوم. فهو لم يكن يمرر إلى قدم لاعب، بل إلى حيث يتوقع من اللاعب أن يركض لاستقبال الكرة.

كانت الأهداف التي يسجلها أشبه بالعرض الملكي. يراقب حارس المرمى الكرة وهي تمرق إلى جواره بكل دهشة مبارزٍ سَقط أرضًا وهو معجب بمهارة مَن نازله للتوّ.

بقي "تشارلتون" حتى وقت قريب يحمل الرقم القياسي للاعب الأكثر تهديفًا، سواءً لفريقه "مانشستر يونايتد" أم لمنتخب إنجلترا. وقاد المنتخب الوطني إلى الفوز بكأس العالم 1966 ونال لقب "فارس"؛ وهو لقب حازه بالفعل داخل المستطيل الأخضر.

كما أنه مسؤول نوعًا ما عن اختراع البطاقات الصفراء والحمراء
فقد كانت إنجلترا تواجه الأرجنتين في استاد "ويمبلي"، عندما طرد
الحكم الألماني "رودولف كريتليتين" قائد الفريق "أنطونيو راتين"
بسبب سوء تفاهم. (لم يكن الأرجنتيني قد فعل شيئًا في الحقيقة،
سوى أنه طلب فقط من الحكم أن يشرح له قراره، فاعتقد الحكم
أنه يهينه). ولاحقًا في المباراة نفسها، حذر الحكم "تشارلتون"، الذي
تظاهر بأنه لم يفهم أمرًا ما. وفي الحقيقة أنه كان يقول للحكم: "إذا
كنت لا تعرف ما الذي قالوه، فلست بحاجة إلى أن تفعل ما طلبوه".
لقد تصرف جنرال خط الوسط الإنجليزي بشكل مزعج تجاه الحكم
لأنه لم يكن راضيًا عن المساعدة المجانية التي قدمها لفريقه بعد أن
طرد لاعب الخصم من دون أن يستحق ذلك.

وبعد أن انتهت المباراة، فكر مساعد الحكم، وكان اسمه "كين
آستون"، في الواقعة. أدرك أنه لم يكن من الممكن للحكم أن يعاقب
"تشارلتون" دون أن يبرر ذلك للجمهور في الملعب. لذا توصل إلى
فكرة إخطار اللاعبين بالعقوبة من خلال بطاقات ملونة، وتم تطبيق
الفكرة للمرة الأولى في نهائيات كأس العالم التالية بالمكسيك.

ولأنه يؤمن بأن كرة القدم ينبغي أن تكون متعة للناظرين، فقد أطلق "تشارلتون" على ملعب "أولد ترافورد" وصف "مسرح الأحلام".



تقرير عن "تشارلتون"

أوفيراث: الطيار

على الرغم من أن الألماني "لوثار ماتايوس" شارك في خمس بطولات لكأس العالم (وهو اللاعب الوحيد الذي يحمل هذا الرقم القياسي)، فإنه لم يكن يمتلك صفات أو صلابة شخصية "فولفجانج أوفيراث"، الذي لعب كامل مسيرته مع نادي "إف سي كولونيا"، وكذلك في المنتخب الألماني لسنوات إلى جوار "بيكنباور".

في كتابه "رجل بلا صفات"، يرى "روبرت موسيل" أن النمسا طورت أكبر بيروقراطية شهدها العالم على الإطلاق؛ وأدى ذلك إلى ظهور نظام قِيم خالٍ من المفاجآت. ففي الإمبراطورية النمساوية

المجرية، كان من غير المحتمل أبدًا أن يعتقد الناس أن المعتوه عبقري، ولكن من الممكن جدًا أن يظن الناس أن العالم العبقري مجرّد معتوه.

وفي بعض الأحيان، يكون هذا عمل محللي كرة القدم. فهم يجيدون تجاهل اللاعبين معدومي الموهبة، ولكنهم يواجهون صعوبة كبيرة في تناول اللاعب الفنان الذي لا يجيد تسويق نفسه إعلاميًا، و"أوفيراث" ينتمي إلى تلك الفئة الثانية مهضومة الحق.

كان أحد أفراد الفريق الألماني الملحمي الذي هيمن على مشهد الكرة العالمي طيلة ثمانية أعوام. خسروا نهائي عام 1966 في "ويمبلي" بسبب "الهدف الشبح"، وكانوا طرفًا في "مباراة القرن" ضد إيطاليا في المكسيك 1970، ونالوا لقب المونديال في 1974، برغم خسارة من جارتهم الشرقية.

وفي منتخب وطني وضع نفسه في مواجهة القدر، كان محور الفريق أعسر القدم يرتدي الرقم 10 بكل رزانة وإقناع. وإذا عزلت الحركات التي يقوم بتنسيقها مثل المايسترو، فمن المستحيل أن تخمّن نتيجة المباراة؛ فهو يتنقل في خفة في أرجاء الملعب بحثًا عن التمريرة السليمة. وعندما واجهوا إنجلترا في مونديال المكسيك

1970، ميّزه الجمهور من خلال جوربه الذي استقر عند كاحليه؛ فكانت تلك هي علامة التمرد الوحيدة في الفريق الألماني المنضبط.

وعندما ظهرت موهبة "جونتر نيتزر" على الساحة، بدأ ينافس "أوفيراث" على الرقم 10، وهو ما أدى إلى مزيد من التطور في مستوى "أوفيراث". فقد وجد الجانب الإيجابي في المنافسة، الذي يفرض عليه أن ينهل أكثر من موهبته.

وبين عامي 1966 و1974، صادفت ألمانيا العديد من المصاعب والعقبات، ولكن الفريق عرف طريقه إلى المجد بفضل مواهب مثل الطيار.. "أوفيراث".



أعظم لاعبي الكرة من عام 1952 حتى عام 2012

كرويف: سابق عصره

قدمت لنا أمة هولندا المتطرفة التي استصلحت أرض وطنها من البحر لاعبًا غريبًا جدًا لدرجة أنهم أطلقوا عليه لقب "الشامل". تعتمد

كرة القدم على فكرة وجود لاعبين متخصصين في مراكز معينة، ولكن "كرويف" وجد مع نادي "أياكس" ومع منتخب "الطاحونة البرتقالية" الطريقة التي تتيح له أن يكون في كل مكان. كانت طريقة المدرب "رينوس ميشيل"، حيث كان على اللاعبين تناوب المراكز باستمرار، وهي خطة تتطلب أن يكونوا ماهرين في التحكم بالكرة، وجيدين في كل المراكز، وأساتذة في الدفاع وفي الهجوم.

جسد "كرويف" مبدأ "كرة القدم الشاملة" بكل مثالية، ولكنه تصرف بشكل غريب في كل مكان آخر خارج الملعب؛ فكان يتناول ساندويتش في غرفة الملابس قبل المباراة ويدخن سيجارة بين شوطيها. كان رقم 10 رمزيًا، فهو لم يكن يرتدي الرقم على ظهره، وأدخل عادات قائد الفريق إلى حقبة العصر الحديث، داخل وخارج الملعب. شعره الطويل حتى كتفيه يناسبه بشكل رائع، وكان من أنصار التحرر الجنسي عندما كان الفريق يتجمع في الفنادق. وكان عبقريًا في المراوغة والسخرية من الخصم، ولكن طريقته اختلفت عن أسلوب "بيليه" في المراوغة؛ لأنه كان يركض مندفعًا بالكرة كالطلقة من دون أن يفقدها مهما حاول المدافعون.

فاز بالكرة الذهبية "بالون دور" ثلاثة أعوام، وحقق المركز الثاني في نهائيات كأس العالم 1974، واعتبره الجميع في عصره أعظم لاعب أوروبي في كل العصور.

ويظهر من الكثير من تصريحاته وهو مدير فني لفريق "برشلونة" أن أفكاره كانت مراوغة مثل حركاته في الملعب تمامًا: "إذا كنت مستحوذًا على الكرة فأنت لا تحتاج إلى الدفاع؛ لأن هناك كرة واحدة فقط في الملعب"؛ "إذا كنت فائزًا 4-0، فإن أفضل شيء يمكنك أن تفعله خلال ما تبقى من المباراة هو أن تسدد الكرة في القائم؛ لأن في ذلك إثارة للجماهير أكثر من تسجيل الأهداف"؛ "يحب اللاعبون في إسبانيا اللف والدوران. ولو كانت هناك أي جدوى من هذا الأمر، لانتهت المباريات كلها بالتعادل".

وعندما بدأ الشاب "خورخي فالدانو" يجادل معه خلال إحدى المباريات، طلب منه "كرويف" أن يتحدث معه بالفصحى الإسبانية، كما يفعل الموظف مع رئيسه.

فهو لم يكن يرفع الكلفة بينه وبين أي شيء.. سوى الكرة.



أفضل ما صنع "كرويف"

بلاتيني: المهندس

مثل "كرويف"، حصل "ميشيل بلاتيني" على جائزة "بالون دور" ثلاث مرات. واقتناعًا منه أنه بحاجة إلى أن يصبح أكثر تنوعًا كلاعب، صنعوا له حائطًا صناعيًا مثل الحائط الذي يقف فيه المدافعون خلال الضربات الحرة المباشرة، حتى يتدرب على تنفيذ تلك الركلات ويصل بمهارته إلى ذروة الكمال.

أنيق ورشيق، وكان من النادر جدًا أن يهدر فرصة هدف أو ضربة جزاء. وكان هداف دوري الدرجة الأولى الإيطالي مع "يوفنتوس"، وهو ليس بالإنجاز السهل على الإطلاق، لو أخذت في الاعتبار أن التغلب على المدافعين في إيطاليا أصعب من أن يفوتك النوم ساعة القيلولة هناك.

وكان مركزه في الملعب يتغير حسب المباراة؛ فعندما يكون لدى الفريق المنافس جناحان جيدان، كان يسقط في عمق الملعب ليقوم بتوزيع الكرات، ليتغلب على خط الوسط لديهم. وعندما يقع فريقه تحت ضغط لا يمكن تحمله، كان يلعب في مركز رأس الحربة الساقط، ومنه يتمكن من تسجيل الأهداف بالرأس. فهو مثل

مهندس معماري؛ يدرس التضاريس المختلفة للأرض حتى يتمكن من تحديد أفضل طريقة لبناء الهجوم.

وبفضل ذكائه والكاريزما، صار قائدًا للمنتخب الفرنسي طوال الثمانينيات. ولأنه عاشق للحلول العملية، حقق معجزات اعتبرها هو بسيطة. حتى إنه وصف هاتريك سجّله في كأس أوروبا بأنه "أمر بسيط": "سجلت هدفًا بقدمي اليسرى، وآخر بيمناي، وثالثًا برأسي".

كان يتحدث بالسرعة نفسها التي يلعب بها. صادفه أحد المشجعين ذات مرة وهو يدخن في كافيه في "تورينو"؛ صُدم الرجل عندما رأى أمامه أحد أشهر الرياضيين وهو يدخن، وعبر صراحة عن رأيه. أجابه الفرنسي بلباقة ملحوظة: "طالما أن "بونيني" لا يدخن، فنحن على ما يرام". كان يقصد زميله "ماسيمو بونيني"، الذي عرف بلقب عداء الماراثون؛ لأنه لا يتوقف عن الركض في كل أرجاء الملعب طوال المباراة.

لم يجرب أي شيء يعرف أنه لن يجيده. وكان مكمن قوته في قدرته على تجنب الأخطاء. وهو معتز بنفسه أكثر منه عاطفي، ولذلك نجح في الاستفادة إلى أقصى درجة من إمكاناته. فلا عجب في أنه صار من أشهر شخصيات كرة القدم إداريًا بعد اعتزاله.



مهارات "بلاتيني" و"مارادونا"



مارادونا: المتمرد

لم يسبق لأي لاعب أن صنع مثل هذا الفارق مع فريقه، أو كان مختلفًا تمامًا عن أي شخص آخر، مثل "دييجو أرماندو مارادونا". ويبدو أن تربيته في بلدته الفقيرة، والتي كان يحملها دومًا في قلبه، جعلته يبدو وكأنه قادم من خارج هذا الكوكب.

أحرز أعظم هدف قانوني وأشهر هدف غير قانوني في تاريخ كأس العالم (كلاهما في المكسيك في 1986، وكلاهما ضد إنجلترا)، وقاد أيضًا ناديًا مغمورًا "نابولي" إلى لقب "السكوديتو" الإيطالية. متغطرس وميلودرامي خارج الملعب، أما في داخله فهو مثل العبد الذي يناضل لإنقاذ شعبه. لم نشهد لاعبًا بكل هذا الفيض العاطفي والشغف بين جميع من ارتدوا الرقم 10، ولم نر من بينهم لاعبًا بكى بكل حرقة أمام الجمهور حزنًا على الهزيمة.

وبلغت قدرته على استفزاز خصومه حد الإدلاء بتصريحات عززت من سمعته الأسطورية المدوية: "الكرة ليست قذرة أبدًا"؛ "لقد كانت يد الرب"؛ "لقد بتروا ساقيّ"..

إنه المتمرد لمدة تسعين دقيقة، "تشي جيفارا" كرة القدم، الذي هاجم "الفيفا"، وتحدث عن الرب كما لو أنه لاعب في فريقه، ولكنه لم يكن يتردد عن رفع يديه متوسلًا إليه كي يكون إلى جواره خلال المباريات.

إذا كان لنتيجة أي نهائيات لكأس العالم أن تتوقف بالكامل على شخص واحد، فإن ذلك هو ما حدث في بطولة المكسيك 1986. كان بإمكان البرازيل أن تفوز ببطولة المكسيك 1970 من دون "بيليه"، الذي لم يكن يمتلك صفات قائد الفريق أبدًا، ولم يكن أبدًا اللاعب رقم واحد في تسديد ضربات الجزاء. وحده "مارادونا" مَن امتلك القدرة على حمل فريقه إلى القمة بمفرده.

اشتهر بتعرضه للخشونة الشديدة من المدافعين، ولكنه لم يكن قديسًا. فهو اعتاد المخاطرة. ويبدو أنه فعل كل ما في وسعه ليضع حدًا لنفسه، ولكنه فشل في ذلك.

وكانت يسراه كفيلة بتجاوز كل المخاطر التي كان مستعدًا لمواجهتها. على أن الأمور جرت مختلفة بعيدًا عن المستطيل الأخضر.

كان مغناطيسًا للكوارث على كل جبهة ممكنة. وكونه مثل من وقعت عليه دائرة الضوء في سيرك ضخم يعرض فقراتِه برنامجٌ

التلفزيوني، علاوة على قيادة الفريق الوطني الأرجنتيني، حقيقة محفوفة بالمخاطر بقدر ما كان عليه الحال في حكايته مع المخدرات والطعام عالي السعرات الحرارية، ولكنه نجح في استيعاب كل ذلك في نهاية المطاف، إلى حين.

كثرت عربدته وفضائحه لدرجة اعتقد معها الناس أنها هي التي تذكي نار موهبته. ولكن الحقيقة خلاف ذلك.

والتصق به الرقم 10، حتى صار كل من يحمله من بعده يحمل معه اللقب.. "مارادونا". الروماني "هاجي" كان يسمى "مارادونا أوروبا" و"فالديراما" أسموه "مارادونا الصغير".

ولكن الحقيقة الخالدة هي أنه ليس هناك سوى "مارادونا" واحد فقط.. "دييجو أرماندو مارادونا".



مهارات "مارادونا"

باجيو: صانع الفانتازيا

تحب الكرة الإيطالية أسلوب اللعب على المضمون، وتعتقد أن وجود فنان واحد في الفريق كافٍ جدًا جدًا. يكفي أن يكون في فريقك صانع فانتازيا وحيد.

ففي بطولة المكسيك 1970، كان "جياني ريفيرا" يلعب الشوط الأول، بينما يلعب "ساندرو ماتزولا" الشوط الثاني بديلًا له؛ فلم يسعهما أن يلعبا معًا في الوقت ذاته، وإلا كان هذا فرط إبداع لا تحتمله الكرة الإيطالية.

ومن "جوسيبي مياتزا" وصولًا إلى "أندريا بيرلو"، ظلت إيطاليا بحاجة إلى "ليوناردو دا فينشي" الكرة، الذي يضفي اللمسة الساحرة اللازمة للنصر. ولكن أشدهم توهجًا كان "روبيرتو باجيو"، الذي كان لا يرضى عن نفسه إلا بعد أن يراوغ دفاع الفريق بأكمله، ومن بعده حارس المرمى، قبل أن يركن الكرة بكل وداعة في الشباك.

كان يتمتع بتسديدة دقيقة فذة. يحكي أحدهم أنه ذات مرة أتاه شخص أثناء الحصة التدريبية بكرة مغموسة في الطلاء، وتحداه أن

يسددها في العارضة. وبكل مهارة الدنيا، رصّع "باجيو" العارضة باون الطلاء أكثر من مرة ومن دون أن يخطئ أي تسديدة.

فاز بجائزة "بالون دور" فيعام 1993 وحصل على المركز الثاني في كأس العالم 1994، وأبهر جماهير الكرة وهو يرتدي قمصان عدة أندية؛ وكأنه يثبت أن موهبته يمكن أن تزدهر في أي مكان لأنها تتجاوز المعايير العادية.

فما الذي يدل عليه ذلك بالنسبة لمكانة الفرد في الكرة الإيطالية؟ لم يكن "صانع الفانتازيا" المتمردَ الذي تخلى عن رفاقه؛ بل هو الوحيد الذي لديه سلطة فعل السحر. إنه لا يختلف عن الكاهن، الذي من حقه أن يناجي الرب قبل أي شخص آخر.

مع آخر لمسة له في تسديدة ركلة الترجيح في نهائي مونديال أمريكا 1994، أهدر الركلة بشكل لا يصدق. وبعد أربع سنوات، في أول مباراة له في مونديال فرنسا 1998، سجل هدفًا، وأظهر مقدرة وعقلية فذة وكأن اللاعب لم يهدر أي فرصة في حياته.

أظهر هذا اللاعب الذي اعتنق البوذية قدرة على التلاعب بالخصوم بكل اتزان، وكأنه يقدم درسًا عمليًا في أن الهجوم يمكن أن يكون شكلًا من أشكال التأمل.



مهارات "روبيرتو باجيو" الفذة

زين الدين زيدان: الخرافي

برأسه الحليقة مثل راهب في التبت، وجسد مصارع روماني، كان أهم درس قدمه "زين الدين زيدان" هو أن العقل هو الذي يحرك كل خطوة تخطوها القدمان.

أتاح له تركيزه الشديد إحراز ركلة جزاء ذهبية في نصف نهائي بطولة الأمم الأوروبية، وهدفين حاسمين في نهائي مونديال فرنسا 1998، وهدف مذهل في نهائي دوري الأبطال، وركلة جزاء على طريقة "بانينكا" في نهائي مونديال ألمانيا 2006.

كان فردًا في أكثر الفرق الفرنسية نجاحًا على مر التاريخ (الفائز بكأس العالم مرة ووصيف بطلها مرة)، وأخذ معه كل من "يوفنتوس" و"ريال مدريد" إلى قمة كرة القدم الأوروبية.

يسيطر دائمًا على أعصابه، مع أنه في النهاية تحول إلى تجسيد لحظة أن يفقدها النجم. فقد طرده الحكم المكسيكي "أرتورو بريزيو" في نهائي كأس العالم 2006، بعد لقطته الأخيرة في الملاعب، والتي شاركه بطولتها الإيطالي "ماتيرازي"، لحظة أن أهان الإيطالي شرف عائلة "زيدان".

يحاول أغلب اللاعبين محاكاة النجوم. ولكن النجوم يصلون أحيانًا إلى مرتبة أنصاف الآلهة. وفي نهائي برلين 2006، كان "زيدان" على وشك توديع الملاعب؛ بعد أن فعل بالكرة كل ما كان يحلو له. ولكن القدر أراد لنصف الإله أن يقع في الخطيئة، وأن تكون تلك اللقطة هي الأخيرة له فوق البساط الأخضر؛ وهكذا هبط من عليائه واستحال بشرًا عاديًا من جديد.

حاول كل العظماء أن يكونوا "أخيليس". وقليلون هم من صاروا "هيكتور". أما "زيزو" فتقبل الحُكم عليه بأن يرتد بشرًا من جديد.

غادر اللاعب الخجول الملعب، ولن ينسى الكل تلك النظرة من عينيه، التي أكدت لنا أن لكل نجم وجهه الآخر. هو كائن خرافي لا يحتاج إلى أسطورة، حتى وإن استحال في النهاية بشرًا من جديد.



زين الدين زيدان: مايسترو القرن

ميسي: العبقري

حتى العمالقة بدايتهم صغيرة. وبعضهم مميز إلى حد أنه لا يزعج نفسه بأن يصير أكبر، ومع ذلك فهو راسخ في مكانته الاستثنائية. بطول لا يتجاوز 170 سم، صار "ليونيل ميسي" عملاقًا يفوق الجميع.

لو تحدثنا عن تحطيم الأرقام القياسية، فإنه يسبق كل السحرة أصحاب الرقم 10. فبعد فوزه بالكرة الذهبية أربع مرات، فاز بكل شيء يمكنه الفوز به على مستوى النادي، وهو كذلك أفضل هداف لـ"برشلونة" على الإطلاق.

يمتلك قدرة مدهشة على حفظ توازنه، فيمزّق الدفاعات وينفرد بفاعلية أمام المرمى في كل محاولة، بل أحيانًا يحرز هدفًا حتى بعد أن يظن المدافع أنه نجح في إسقاطه أرضًا.

ليس من النوع الذي يستجدي الحصول على الركلات الحرة. وما يزال يحافظ على طموح وحماس اللاعب المبتدئ. وما يزال يركض بهاجس وهوس طفل أو شخص متوحد لا يهتم بكل من هم حوله؛ شخص عبقري.

إن البطولة ليست وظيفة يومية روتينية؛ بل تتجلى في لحظات أيقونية. فعندما تحين ساعة المعركة، أو تدق طبول كأس العالم، يظهر البطل. لم يبق أمام "ميسي" سوى أن يفوز بلقب المونديال مع منتخب الأرجنتين.

أثبت "ميسي" من دون أدنى شك أن من الممكن لعبقري ضئيل الجسد أن يناطح العمالقة.



ميسي: ملك الأهداف الرائعة





"دييجو أرماندو مارادونا"

حياة.. موت.. بعث.. وأشياء أخرى..

آراء لاعب أعسر

في يوم الأحد 8 أكتوبر 2000، أعلن نادي "نابولي" الإيطالي عن رفع الرقم 10 من قمصان فريق كرة القدم مدى الحياة. وكانت تلك حلقة أخرى من حلقات مسلسل قام ببطولته "دييجو أرماندو مارادونا" عند سفح جبل "فيزوف". يوم انضم إله كرة القدم

الصغير إلى هذا الفريق في العام 1984، كان "نابولي" قد نجا من
الهبوط إلى دوري الدرجة الثانية بأعجوبة، وبفارق نقطة واحدة.
للنادي جمهور كبير متعصب، ولكنه لم يمتلك الكثير من المنجزات
الرياضية. وقد حضر حفل توقيع النجم الأرجنتيني، الذي دام خمس
عشرة دقيقة في ستاديو "سان باولو"، ثمانون ألفًا رأوْه وهو
يمارس ثاني شيء يفضل القيام به أمام الجمهور؛ البكاء في صمت.
ففي الحقيقة، لم يكن حال النجم الوافد بأفضل من حال الفريق؛
كان قد شفي من التهاب كبدي باغَته، وما يزال يتعافى من كسر في
الساق، ومن أداء كارثي في مونديال إسبانيا 1982، ناهيك عن
نزاعات طويلة مع مجلس إدارة "برشلونة"، وبدايات سرية لتجربته
مع الكوكايين. وبدا له، وهو ما يزال في الثالثة والعشرين من عمره،
أن الاعتزال المبكر احتمال قريب.

وفي خضمّ فوضى الإعلام الحر، وتلقيه حقن مخدرة من أطباء
عديمي الضمير، والسفر لعشرات آلاف الأميال للمشاركة في مباراة
ودية، ظل مارادونا يلعب المباريات بمعدل أربعٍ كل أسبوع.

أكد مارادونا، المولود في مستشفى "إيفا بيرون"، على قدرة فذة على
صنع الميلودراما والأسطورة في عام 1984. وكان "نابولي" الباب

الوحيد المفتوح له، مثل مقبرة فخمة تطل على البحر. ولكن ضعف موقف "نابولي" ذي القمصان السماوية كان فيما يبدو وقودًا للنجم القادر على انتشال فريق من "القاع إلى قمة العالم" وإنجاز أكبر مهمة توكل إلى أي هرقل رياضي: العودة برغم كل الصعاب.

في مباراته الأولى التي لعبها في شمال إيطاليا، تعرض مارادونا لأول تجربة عنصرية اعتادها كل من ينتمي لمدينة نابولي الجنوبية. وجد أمامه لافتة تقول: "مرحبًا بكم في إيطاليا: عليكم الآن غسل أقدامكم". وكان قد نشأ في "ألفيا فيوريتو" حيث تأثر بالكثير من الإيطاليين الفقراء الذين لجؤوا للعيش في أحياء الأرجنتين الفقيرة منذ عقود. وبالإضافة إلى قدمه اليسري، قرر أن يهب عاطفته بامتياز إلى أبناء القديس الإيطالي "جينارو"، شفيع المدينة. وظهرت النتائج لتخالف كل منطق؛ بدأ الفريق، الذي كان جمهور "ميلانو" الأرستقراطي ينظر إليه في ازدراء وكأنه من قبيلة أفريقية بدائية؛ يفوز بالمباريات.

في كرة القدم الكثير من العبث، علاوة على عجائب أخرى. ومن ذلك أن طول "مارادونا" لا يتجاوز المائة وستين سنتيمترًا. وخلال مسيرته كلاعب، لم يكن ينام قبل الساعة الحادية عشرة صباحًا، ولم يكن يتحمس للركض في التدريبات، ويأكل بهدوء مميت (ويحب تناول

السباجيتي يوم السبت قبل مباراة الأحد). ولكن تكوينه الجسدي ساعده كثيرًا في الملعب. كان أعظم فناني اللعبة وأكثرهم اندفاعًا وحماسًا واستمتاعًا، وكان اللاعب الأكثر تأثيرًا دراميًا في مستوى فريقه. حتى "بيليه" كان يفتقر إلى قدرته على القيادة. وفي كأس العالم 1986، أقنعنا "دييجو" بقدرته منفردًا على قيادة أي فريق إلى منصات التتويج. وفي بطولة أوروبا في عام 2000، قارن "بلاتيني" الأرجنتيني رقم 10 مع ملك جديد لكرة القدم توج حينها، فقال: "زيدان يفعل بالكرة ما يمكن أن يفعله دييجو ببرتقالة".

قاد "مارادونا" فريقه "نابولي" إلى لقب "السكوديتو" الأول في ستين سنة، في موسم كان قاسيًا للغاية، وقبل أن يقوم بدور اللاعب الأكثر استهدافًا من المدافعين في القرن العشرين. وشهد جمهور الكرة في العالم الأدوار التي أداها داخل ذلك السيرك الروماني الأسبوعي. كان يواجه جماهير تلو الأخرى، بعضها من أنحاء أوروبا الغربية الغامضة، وبعضها من سهول النمر التي لوحتها الشمس، وجميعها تستهدف كسْر كاحليه. لعب الفنان الأرجنتيني كما هي طبيعته السيكولوجية الخاصة: بضرورة ملحة فرضتها الظروف على البطل. كان يشعر بالعزلة ما دامت الكرة ليست في حوزته. لم

يتغير أبدًا عن كونه المراهق الذي قام مدربه "مينوتي" بعقد رباط حذائه قبل أن يصعد ليتسلم جائزة أفضل لاعب في كأس العالم للناشئين عام 1979 في طوكيو.



أسطورة مارادونا

وهبت مدينة "نابولي" نفسها عن طيب خاطر لهذا المنقذ الأجنبي. وهيمن "مارادونا" على كل شيء في المدينة. صار كل ما فيها في خدمته، على سبيل التشريف والتكريم لأسطورة الجنوب الجديدة.



يقولون إنني سوف أتحدث في أي شيء.. وهم على حق في ذلك

في 8 أكتوبر 2000، أعلن نادي "نابولي" عن تعليق الرقم 10 مدى الحياة، وشاهد الجمهور "مارادونا" وهو يبكي عبر الأقمار الصناعية، وترسخت صورته أكثر إلهًا منكوب الحال. وظهرت في المكتبات مذكراته الشهيرة.. (أنا دييجو الشعب).

تقاضى "مارادونا" عن حقوق نشرها مليون دولار، وكان أكبر مبلغ يتقاضاه رياضي عن مذكرات شخصية وقتذاك، وبذلك صار أغلى كاتب في الأرجنتين عن كتاب واحد. أما من كان وراء الستار فهما صحفيان كانا يتابعان النجم في كل مكان؛ "دانيال آركوتشي" و"إرنستو شيركيس بيالو"، هما من أنجزا الكتاب، وعكسا شخصية المايسترو التي استعصى عليه أن يصيغها بنفسها فوق السطور، وليس من المستغرب أن يكون الكتاب سيلًا جامحًا من الغرور وحب الذات. ففي مجال يقوم على جذب الاهتمام، لم يتنصل "دييجو" أبدًا من تهمة الغرور؛ ولن ننسى يوم أن تفاخر باليد التي سجل بها

هدفه غير الشرعي ضد إنجلترا؛ "يد الرب". الشيء المهم هنا هو أن رحلة الغرور الهائلة تلك لم تخلُ من نقاط ضعف.

كانت الدموع بالنسبة لـ"مارادونا" بمثابة علامات الترقيم، والبكاء فاصل بين الفصول. يرى حياته وكأنه شاعر تانجو، وليس لديه أي مخاوف تجاه أي لوم. يتحدث عن السيارات التي تلقاها هدايا، ويصف تلقيه مرسيدس كلاسيكية بالإهانة. تليق مظهريته وذوقه السيئ بواحد من كبار رواد كازينوهات "لاس فيجاس". ومع ذلك، فحتى الشخص الأكثر تقشفًا من متشدد فرنسيسكاني سيجد صعوبة حتى لا يتأثر بحماسة وصف "دييجو" الصبيانية للحظة أن تلقى هدية من زوجته؛ كان شورت سباحة موديل "فيرساتشي"، ومثار حسد أحد أعتى مهربي المخدرات. وكان صريحًا وهو يقول: "أفضل أن أكون مدمنًا للمخدرات على أن أكون بئس الصديق"، كما لو أنه لم يكن يجد راحته الحقيقية إلا وسط شلة أصدقائه من تجار المخدرات.

يرى النجم الذي هزمته شهرته، وأدمن لفت أنظار الصحافة التي تسيء فهمه؛ أن نوبات غضبه مثلت شكلًا من أشكال انبعاثه من جديد. وكانت تلك الانفجارات دائمًا من النوع الذي تتوقعه من نجوم موسيقى "الروك". كان يتشاجر مع مديري المنتخب ويعود

بعدها لينضم لرفاقه وكأن شيئًا لم يكن. يهاجم افتقار المنتخب الوطني إلى "الكرامة"، ويذهب في رحلة لصيد أسماك القرش، لكنه ينضم مجددًا إلى المعسكر بعد بضعة أيام؛ يعنف زملاءه في الفريق ممن يشعر أنهم يحاولون السيطرة على اللاعبين، بينما يصفق استحسانًا للمديرين التنفيذيين في "نابولي" الذين قاموا بشراء لاعبين بناء على توصياته. هاجم الفيفا ورئيسها في ذلك الحين "جواو هافيلانج"، وهاجم القائمين على تنظيم كأس العالم في المكسيك، وبرغم أنه كان محقًا في العديد من المواقف التي دافع فيها عن لاعبي كرة القدم، ولكنه ظن نفسه في نهاية الأمر مناضلًا اجتماعيًا، "توباك أمارو" المستطيل الأخضر.

كانت تصريحاته المتهورة وعلى مدار سنوات فاكهة إعلامية لا تذبل أبدًا. وكان "خورخي فالدانو" أفضل من وصف ذلك: "كان الكل يستمع إليه في اهتمام ودهشة، وكأنه يخاطبهم بقدمه اليسرى أيضًا". وفي عام 2002، أعلن "مارادونا" عن أنه سوف يعرض برنامجه التليفزيوني الخاص، على غرار برنامج "ديفيد ليترمان"، فهو يريد أن يملي على الناس آراءه عبر الشاشة، كما أملى عليهم موهبته فوق العشب.

لا يمكن لأحد أن يتهم "مارادونا" بأنه لم يكن متسقًا مع ذاته، لكن اعترافاته في سيرته الذاتية Yo soy el Diego تدفقت مثل سيل متواصل من الشغف. وعلينا أن نقارن بين تلك السيرة الذاتية وكتاب "جيمي بيرنز" الذي قدمه عن النجم في عرض أكثر جدية وتوثيقًا، تحت عنوان: "يد الرب"، حيث فتش وعرض كل غسيله القذر، وكشف عن علاقته ومافيا نابولي، والعلاقة التي جمعت بينه وبين "هيذر باريزي"، التي لم تتوقف عن نسب أطفال غير شرعيين إليه، وفضح إدمان ملك "نابولي" للمخدرات. ولم يكن أمام "بيرنز" سوى أن يغض الطرف عن العديد من الحكايات، ولكن ليس هذا ما جعل كتابه مختلفًا كثيرًا عن مذكرات "مارادونا"؛ بل لأنه افتقد إلى نبرة "مارادونا" وقت أن يواجه فشله. فمن الصعب علينا أن نتخيل شخصية رياضية شهيرة أخرى وهي تكتب بكل صدق عن أخطائها المروعة، ناهيك عن كتابته عن أولئك الأوغاد الذين يكرههم.

ولكن عقلية فتى "فيا فيوريتو" لم تكن أبدًا أحادية البعد؛ فقد كان توزيعه للاتهامات على الجميع، الأمر الذي جعله يبدو إنسانًا أكثر، يتناقض مع محاولاته أن يظهر في ثوب "لاعب كرة القدم الذي يوجعه ضميره"، مثل "إيريك كانتونا". فقد ركز بإفراط على أن تبدو محاولاته النضالية ذات صبغة سياسية، وجمع في إعجابه بين

"فيدل كاسترو" و"كارلوس سول منعم"، بينما انطبع وشم "تشي جيفارا" على ذراعه. وفي عام 2001، سمح بإجراء مقابلة مطولة مع الإيطالي "جياني مينا" للمرة الأولى منذ انسحابه لأسباب طبية إلى كوبا. وتحدث بمزيج من الإسبانية والإيطالية ومتأثرًا بالعزلة والأدوية، ووصف "سيليا كروز" بأنها مثل إنسان الغاب لأنها كانت تعارض حكومة الجزيرة الكوبية وزعم أن تاريخ أمريكا اللاتينية لم يسجل بصدق ودقة. واتته هذه الفكرة الأخيرة أثناء رحلة خاصة بالطائرة فوق جبال "الأنديز"، عندما أدرك أن من المستحيل أن يكون "سان مارتين" قد تمكن من عبورها سيرًا على الأقدام، كما تقول الأسطورة. فالرجل الذي احتاج إلى استئجار طائرة حتى يثبت رفضه للتاريخ المسجل في الكتب لن يتم قبوله في صفوف المعارضين بكل هذه السهولة، ومع ذلك فهناك دائمًا شيء ما متمرد في شخصية "دييجو"، لمسة من "الأناركية" التي تميزه عن غيره من النجوم وتجعله أقرب إلى الناس. أنت أمام نجم مغرور، وفي الوقت ذاته ينتمي إلى "قبيلة جيفارا". وحتى لو وضعته داخل شاليه فاخر فسرعان ما يضفي على المكان لمسة فوضوية فادحة.

لا يفوِّت مسؤولو الفيفا أي فرصة للتدخل في شؤون اللاعبين، ربما من باب الحسد ليس غير. وفي نهاية القرن العشرين، قاموا

بإجراء استقصاء عن أفضل لاعب في هذا العصر، وهي مهمة تفتقر إلى العديد من المعايير الحيادية، تمامًا مثلما هو حال قرارات الأمم المتحدة. وهكذا اختار الخبراء "بيليه"، بينما اختار الجمهور عبر الإنترنت "مارادونا". كان "دييجو" سعيدًا بالنتيجة؛ فقد اختارته جحافل الجماهير على عكس رغبة الجنرالات. وخرج "بيليه" من هذه الموقعة في صمت، بعد أن عجز عن توصيل رأيه للجمهور.

وبرغم أن أرقام "بيليه" أفضل، فإن "مارادونا" أفضل منه كثيرًا في الدور القيادي. كان لديه دور مطلق، سواءً في ناديه "نابولي" أم منتخب الأرجنتين بقيادة "كارلوس بيلاردو". ولكنه لم يكن يقدم أفضل ما لديه إلا حينما لا تكون الرياح مواتية. فقد كان كل شيء في صفه يوم أن لعب لبرشلونة ويوم أن مثل الأرجنتين في مونديال إسبانيا، 1982 وكان منتخبه هو حامل اللقب، ولكنه فشل في المرتين. ويبدو أن البارانويا وعدم ثقته إلا في نفسه هما أساس ما حققه من مجد. ففي كأس العالم 1986 أدرك المدير الفني "بيلاردو" تلك الحقيقة، وترك نجمه على سجيته داخل الملعب.

في المكسيك، كان "مارادونا" مثل شيطان خرج من القمقم. كان يحتاج فقط إلى من يناوله الكرة في منتصف الملعب لينطلق بها

ويفوز بالمباراة. وكان لهذه القوة أثرها النفسي عليه. وكما أن الجناح الأيسر يميل إلى العيش على الهامش أيضًا خارج الملعب، وكما أن حارس المرمى اعتاد اتخاذ القرارات بنفسه واعتاد أن هناك قواعد لا تنطبق إلا عليه، فإن القائد لا يفكر في مشكلة لا يستطيع التغلب عليها. لقد خلق "دييجو" عالمًا في صورة رغباته، ثريًا غزيرًا حتى إنه تجاهل الواقع، ذلك الضباب غير السحري الذي يطوق الحياة خارج استاد كرة القدم، كليًا.

وفي معركته ضد أسطورة الرقم 10 الآخر، "بيليه"، كان مارادونا مولعًا بمقولة للبرازيلي "ريفيلينو"، الجناح الأسطوري الذي قال إن "بيليه" اعترف له بأنه كان يتمنى لو أجاد اللعب بقدمه اليسرى، فبالنسبة لمحبي الانبهارات، تعد القدم اليسرى مبدأ أساسي في هذا الشأن.

فهل هناك مشهد معين يمكن أن يلخص حياة هذا المصارع الذي امتلك جسد جزار؟ لو كان عليَّ أن اختار، فسوف أختار تلك اللحظة التي حدق فيها إلينا عبر الكاميرا في إحدى مباريات مونديال الولايات المتحدة 1994. كانت عودة "دييجو" إلى كأس العالم بعد خسارة الكأس في إيطاليا 1990، وفضيحة تعاطي الكوكايين في بوينس آيريس، ورغبته في إثبات أنه ما يزال فتى فيا "فيوريتو الموهوب". قبل

المونديال الأمريكي، كانت أهم أخباره هي تلك التي تدور خارج الملعب، وبدأ جسده يخبره أن عليه أن يعلن اعتزاله. ومع ذلك، وفي المباراة ضد اليونان، استلم الكرة كما كان يفعل في تلك الأيام الممتعة، وسددها في مقص المرمى. بعد المباراة، اختير عشوائيًا ليجري اختبار المنشطات (وإن كنت أشك في أن الاختيار كان عشوائيًا)، ووجدوا في دمه آثار الإيفيدرين، وهو دواء يعزز عمل الرئتين، ولكنه يفقد الذهن تركيزه أيضًا، وبالتالي من الصعب عليه أن يسدد مثل تلك الكرة لو كان يتعاطاه. شاهدناه وهو يخرج من الملعب مبتسمًا، بصحبة ممرضة شقراء. يستدعي الكاتب الأرجنتيني "خوان ساستوريان" إلى الأذهان جملة رهيبة لريمون تشاندلر من رواية "الوداع الطويل": "لدى كل الشقراوات وجهات نظر". وفي ذلك اليوم، وبينما كانت شمس بوسطن تغرب، كانت تلك الشقراء تقود مارادونا السعيد إلى المشنقة.

كان سقوطه بعد ذلك حتميًا، وكان كل ما تبقى له هو ما يحدث في أعقاب أي فضيحة: تصريحات مجنونة، إعادة التأهيل، حادث سيارة في كوبا، مظهر عجيب أذهل جمهوره؛ رجل بدين للغاية صبغ شعره بالبرتقالي، وعلق أقراطًا تحت إبطيه.

لكن دعنا نتوقف عن أسطورته التي تجسدت في ذلك الهدف الرائع الأخير. فبعد أن سجل الهدف، انطلق "دييجو" ليحتفل، وفجأة اكتشف كاميرا أمامه، وركض نحوها واندفع إلى العدسة مثل وحش جريح. لقد عاد الأسد الذي لا يمكن المساس به إلى مملكته تحت أعين الفيفا. لقد انطلق ضحية الإعجاب المفرط من أجل أن ينتقم.

ولكنه لم يحصل على انتقامه أبدًا.



رد فعل "مارادونا" بعد هدفه في اليونان، كأس العالم 1994

يموت لأجل أن يقنعني

في عام 2004، قامت مجلة "سوهو" الكولومبية بتحقيق صحفي عجيب؛ التنبؤ بكيفية موت بعض المشاهير. جميع من يعمل في الصحافة يعرف أن أصعب كتابة على النفس هي كتابة النعي، ولكنه عمل يتوجب القيام به في كل الأحوال.

ووقت أن كنت أعمل في صحيفة "لا جورنادا سيمانال" La Jornada Semanal، كان لدينا صندوق أطلقنا عليه اسم "المُبرد"؛ نضع فيه قصاصات تحمل أسماء أولئك الذين كانت وفياتهم وشيكة متوقعة، وكانت حياتهم جديرة بالذكر. ويصعب على الصحفي في المعتاد أن يصيغ حياة شخصية توفيت في بضعة أسطر. وبرغم أنها مهمة لا يشكر عليها منفذها في الغالب، فإنها جزء أساسي من الأخبار اليومية. ومن خلال عمل مشابه لذلك، أمكن للكاتب "أنطونيو تابوتشي" أن يبدع تلك الصفات الكئيبة التي احتاجها لبطل روايته "بيريرا ماينتينز".

قبلت مهمة "سوهو" لأنها كانت تعني لي فرصة تقديم تقرير أول وأخير عن أسطورة مارادونا، دون أن يضطر صاحب الأسطورة إلى أن يموت فعلًا حتى يقنعني بالكتابة عنه بهذا الأسلوب. سوف أستفيد إلى أقصى حد من دراما اختفائه الخيالية، وأتجنب تلك المقارنات التي لا جدوى منها ولا نهاية لها بينه وبين "ألفريدو دي ستيفانو" و"بيليه"، وكأنك تقارن بين الكمثرى والتفاح والبطيخ.

ولو كان أونيتي قد اكتشف أن هناك من أمكنه أن يعيش أكثر من حياة قصيرة، فقد وجد أن مارادونا مات أكثر من ميتة وجيزة. وفي

واحدة من حالات الكسوف المؤقتة تلك، أمكنني التقاط صورة إنسان قدره أن يتقلب بين فترات حياة وموت، وأجسِّدها في نعي متخيل، وكان النعي على النحو التالي:

"هناك ثلاثة أخبار غيرت مسار الحياة فوق ظهر هذا الكوكب: خصخصة سور الصين العظيم، وزلزال خسف بمدينة مكسيكو، وموت "دييجو أرماندو مارادونا". أكتب هذه السطور وأنا أكابد إحساسًا هائلًا بالذنب والألم لأنني على قيد الحياة. فقد تحول الصرح الأرضي الوحيد الذي يمكن لساكن القمر أن يراه إلى متنزه ترفيهي، بينما تحولت المدينة التي ولدت فيها إلى خراب تجوبه الكلاب الضالة، وغاب عن حياتنا أعظم من ركل كرة القدم على الإطلاق.

لقد شهدت بعظمة مارادونا كل محافل ومعاقل كرة القدم حول العالم، وقررت جميع الدوريات تأجيل جميع المباريات هذا الأسبوع. صار هناك إجماع هائل على العبقري الأعسر بعد وفاته. وبالنسبة لمحبي بوكا جونيورز، كان "المشاغب" إلهًا يمشي على الأرض يزين ظهره الرقم 10. وانتشرت باسمه العديد من الأغاني وأناشيد الهوليجانز الحماسية، ولكن أحدًا لم يكن يعتقد جادًا أن من الممكن أن تصبح شخصية مثيرة للجدل مثل هذه الشخصية رمزًا خالدًا للقبيلة بأكملها.

جميعنا سمع "فرانز بكنباور"، بينما يغادر مأدبة غداء جمعته برئيس الفيفا، وهو يقول في عجالة وبكل حزن: "إنه لم يرَ لاعبًا آخر

مثل مارادونا". وهو ما قاله بالمعنى نفسه "يوهان كرويف" بعد مباراة جولف كان يلعبها. واقترح عدد من اللاعبين الأرجنتينيين المحترفين في الدوري المكسيكي إقامة مباراة خيرية لمساعدة ضحايا الزلزال، بالإضافة إلى طرح فكرة بناء مجمع سكني لهم يحمل اسم "مارادونا" في قلب المدينة المدمرة. وقررت الصين وضع شارة سوداء على سورها العظيم تكريمًا للمايسترو الأرجنتيني.

لم يتوقع إنسان أن يجمع العالم كله على موضوع مثير للانقسام مثل كرة القدم. لقد تشكلت ذاكرة المشجعين الجمعية العالمية، وبالتالي تلك الرغبة العارمة في المناقشة والجدل حول المباريات، مع انتشار التليفزيون. وتعرض العمالقة القدامى لظلم كبير لأنهم ظهروا في حقبة سبقت تلك الهيمنة الإعلامية. عرفنا من أشرطة السينما القديمة أن النجم "دي ستيفانو" كان يسمى "السهم الأشقر" وأنه اعتاد تقبيل الكرة في نهاية كل مباراة. ويذكر الكاتالونيون، الذين زودهم التاريخ بذكريات عديدة مذهلة في قدر ما بها من مآسٍ، حقيقةَ أن اللاعب - بعد أن كان على وشك ارتداء قميص برشلونة - خضع لتدخل حكومة الديكتاتور لينتهي به المطاف في ريال مدريد. ومهما كان الحال، عندما غادر "دي ستيفانو" الأرجنتين إلى إسبانيا، أصبح "دي ستيفانو" على ارتباط بالميرينجي، وهو ارتباط دام مدى حياته. وأتى جيلنا ليقبل أسطورته وكأنها من بديهيات هذا الكوكب التي لا سبيل للجدال حولها.

هكذا، احتاجت كرة القدم الحديثة إلى ملك آخر من بعده، نجم تذيع شهرته عبر التليفزيون. وكان "بيليه" الأعظم في عصره، وكان

العالم أجمع يتابعه. وحقق سجلًا خالدًا؛ ثلاث كؤوس عالم، أولها وهو بعد في السادسة عشرة. وعندما تُوِّج ملكًا، اِفتَرض - مثل أي ملك على عرشه - أن أحدًا لن ينازعه ذلك العرش في حياته.

ولأنه معبود الجماهير الذي يطمح في أن يكون كيانًا منفردًا وحده، أدرك "إدسون أرانتس" أن النجومية تصنع فعليًا خارج المستطيل الأخضر. وأجاد اكتسابها وكأنه مولود نجمًا. ولما أتاه خبر موت مارادونا، قيل إنه اعترف.. "لقد كان أفضل مني".. كلمات عرف المتابعون أنها لا تخرج إلا من فم عظيم، ولمحة تؤكد أحقية "بيليه" بصولجان عرشه. حتى إن أحدهم كتب يقول، نقلاً عن فكر "أورتيجا جاسيت": إن تعريف الأرستقراطية هو إنكار الحقوق وامتلاك إرادة فرض الواجبات، وبالتالي فقد كان تعطفًا كبيرًا من ملك مثل "بيليه" أن يبدي تلك اللفتة السخيَّة تجاه واحد من العامة.

و"إدسون أرانتس" ليس غريبًا على عالم السياسة. وبصفته وزيرًا للرياضة، قدم مشروع قانون "بيليه"، الذي حرر إرادة اللاعبين في علاقتهم مع الأندية، حتى في مرحلة الناشئين. وجاء هذا القانون ليربط الإرادة الحرة بشروط اقتصاد السوق؛ في تجسيد حقيقي لشخصية الملك "بيليه".

في رياضة تختلف فيها وتتنوع ذائقة وأمزجة الجماهير والمتابعين والمعنيين في كل أنحاء العالم، لم تكن غرابة شخصية "بيليه" تقتصر على كونه نجمًا أسود وسط كثير من النجوم الشُقر، أو إقدامه على خطوات غير مسبوقة في صناعة كرة القدم، مثل الظهور في تدريبات منتخب البرازيل في كأس العالم 1974 في ألمانيا وهو يرتدي زيًا رياضيًا بالألوان الأحمر والأبيض والأزرق؛ ألوان شركة بيبسي التي ترعاه. فقد كان إيقاع حياته خارج الملعب متسارعًا لا سقف له. ذلك الصبي الذي كان يلعب في الليل فوق الرمال، وليس هناك مِن شاهد عليه سوى القمر، ظهر وتبنّاه نادي "سانتوس" ثم بزغ مجددًا مع المنتخب الوطني. وبرغم الحركات الكثيرة التي ابتكرها بالكرة خلال فترة حكمه للعشب الأخضر، فقد كانت أفضل حركاته خلال احتفاله بأهدافه؛ تلك الشقلبة المرنة الاستعراضية، التي تثبت في كل مرة أن لا شيء أبهى من الانتصار.

وصلت شعبية النجم البرازيلي درجة أن عدد من شاهدوا هدفه الألف عبر شاشات التليفزيون على الهواء نافس عدد من تابعوا هبوط أرمسترونج على القمر. حتى إن مبارياته خلال لعبه في الدوري الأمريكي كانت تعتبر من أوقات الذروة الإعلانية في بلاد لم تكن تعرف الكرة بعد. ولعب لفريق كوزموس إلى جانب نجم معتزل آخر وهو فرانز بكنباور. وعندما حانت لحظة الاعتزال الصعبة، أعلنها دون أن يفقد إيقاع السامبا الذي هو بالأساس سيرة حياته. زار ملاجئ اليتامى، وأهداهم الكثير والكثير من الألعاب، ولعب كرة القدم الشاطئية مع الأطفال، وتطوع بجهوده لليونيسف. وخلال

عمله محللاً للمباريات عزز من تلك الهالة حول أيقونته: فلم ينتقد أحدًا، وامتدح جميع اللاعبين.

جاءت وفاة الأرجنتيني رقم 10 دافعًا وراء عديد من مراجعات سيرة الأسطورة الذاتية. فمثله مثل "بيليه"، ارتقى "مارادونا" من البؤس، وصعد إلى القمة: كان بطل كأس العالم للشباب في عام 1979، وبطل العالم 1986، وطرفًا في نهائي كأس العالم 1990، ولكن تألقه كان متقلبًا. فمنعه مينوتي من كتابة سيرة التألق مبكرًا عندما تجاهل اختياره لتمثيل الأرجنتين في مونديال 1978. وتواجد في مونديال إسبانيا 1982 باعتباره الأمل الأرجنتيني الكبير وواحدًا من أفراد أفضل منتخب في تاريخ البلاد، لكنه فشل بسبب تألق غير عادي للبرازيل وإيطاليا، وبسبب اعتلال مزاج الفريق والبلاد بعد حرب جزر فوكلاند. وكانت آخر مبارياته في كأس العالم مشكلة، يوم أن اقتادته ممرضة معمل مكافحة المنشطات إلى خارج الملعب، وكأنها تودعه الوداع الأخير، بينما ارتسمت ابتسامة بريئة على وجهه. كانت العينة إيجابية وأنه حقًّا تعاطى أحد أدوية علاج البرد المنشطة، وبرغم أن كثيرًا من الجمهور تعمد ألا يلومه على ذلك، ولكنها الواقعة التي دقت المسمار الأخير في نعش سمعته.

مات "دييجو أرماندو مارادونا".. ولن تعرف كرة القدم أبدًا لاعبًا مثله.. لاعبًا كان كل الفريق".



إحماء "مارادونا" في نصف النهائي بطولة دوري أبطال أوروبا عام 1989





"رونالدو".. آهٍ من هذا الجسد

يدرك أي لاعب برازيلي أن الشهرة الحقيقية لا تأتي إلا مع الفوز بلقب المونديال. وهكذا أمكن لـ"رونالدو لويس نازاريو دي ليما"، "إل فينومينون" أو الظاهرة، أن يشتهر باسمه وحده.. "رونالدو".

كان في السادسة عشرة من عمره عندما انضم إلى المنتخب الوطني عام 1994. ورغم أنه كان أصغر سنًا من أن يلعب، فإنه سافر مع المنتخب إلى المونديال الأمريكي 1994، وتابع المباريات جالسًا إلى دكة الاحتياطي. كان هناك "رونالدو" آخر في التشكيلة الأساسية،

"رونالدو رودريجيز دي جيسوس"، من فريق ساوباولو، وهكذا كانوا ينادون الأصغر سنًا "رونالدينيو".. أو "رونالد الصغير".

شارك "رونالدو" في أولمبياد 1996 في أتلانتا. تعرف الشاب الذي سوف يصبح أيقونة حديثة على المدينة التي قدمت كوكاكولا للعالم، بعد أن صار قميصه يحمل الاسم: "رونالدينيو". ولكن بعد عام، لن يجرؤ أحد على مناداته بذلك الاسم. فقد انتقل إلى هولندا، وانضم إلى فريق "أيندهوفن" وسجل 42 هدفًا في 49 مباراة. كان ينطلق جامحًا في كل الملاعب كما لو كان يستعيد أراضي البلاد المنخفضة التي التهمها البحر.

ومن الآن فصاعدًا، سيكون على من يحمل اسمًا مشابهًا لاسمه أن يغير هو اسمه ليحمل الوصف الأصغر. وسيكون على "رونالدو دي أسيس موريرا" أن يلتقط الاسم الذي تخلص منه صاحبنا، ليكتب به سطور نجاح لافت غير مسبوق.. كان ذلك اللاعب هو "رونالدينيو". وربما كان بوسع البرتغالي "كريستيانو رونالدو دوس سانتوس أفيرو" أن يحذو مثل النجم الذي سبقه، ولكنه فضل أن يعرف بالاسمين معًا بدلًا من أن يحمل قميصه لقبًا مغايرًا.. فكان الاسم.. "كريستيانو رونالدو".

وفي الرابعة والثلاثين من عمره، بعد أن صار الهداف التاريخي لبطولات كأس العالم (خمسة عشر هدفًا، بما في ذلك هدفان في نهائي مونديال 2002)، وفائزًا بلقب الدوري الإسباني مع ريال مدريد وبكأس الاتحاد الاوروبي مع برشلونة والإنتر ميلان، ولقب بالون دور مرتين (1997 و2002)، أدلى نجمنا بالبيان الأهم في حياته التي قضاها في دائرة الضوء: "أعلن اعتزالي.. لا بسبب عقلي، ولكن بسبب جسدي".

كانت هذه المرة الأولى التي يلمح فيها إلى سيكولوجيته. وربما ينظر مشجع الكرة إلى مسيرة "رونالدو" في الملاعب على أنها إهدار لفرصة عظيمة، وأنها حياة شهدت تمرد جسده دومًا على طلبات عقله.

كان "رونالدو"، مع "روبرتو كارلوس"، نموذجًا لموضتين في الملاعب: الرأس الحليقة المخيفة، واللاعب البرازيلي المثابر الذي لا يهدأ. وعلى عكس مواطنيه، الذين كانوا يلعبون على إيقاع السامبا ويميلون إلى استعراض المواهب، كان "الظاهرة" موهوبًا للغاية ولكنه يتعجل تحقيق المجد. فعندما كان يقود الهجمة، كان يكتشف مزايا أن يلعب وحده منفردًا، وأن يحقق الأهداف دون مساعدة إن أمكنه ذلك، وانعكس ذلك الإحساس على حياته خارج الملعب، فقد

كان غير اجتماعي بالمرة، وكأنه صار مبرمجًا فقط على إحراز الأهداف وتحقيق النصر.

وكان أسلوب "رونالدو" في الملعب، الذي يمزج بين إثارة الذهول وإبداء المهارة المطلقة، مثل أسلوب مصارع عتيد. كان طوله يقارب المترين، وهو ما يعني أن وزنه المثالي يجب أن يكون في حدود التسعين، ولكن من الصعب أن يعيش الإنسان من دون الخضوع للإغراءات، خاصة حينما يكون نجمًا في بلاد السباجيتي اللذيذة. وهكذا ناهز وزن "رونالدو" مائة كيلوجرام في مرات عدة، ولكن ذلك لم يؤثر على براعته. وظهرت رسومات الجرافيتي فوق أسطح المنازل في "ريو دي جانيرو" تصور النجم البدين السريع المبتسم في رضا.. وكأنه بوذا الملاعب الخضراء.



أجمل أهداف "رونالدو"

وعلى عكس البرتغالي "فيجو"، الذي كان وسيمًا مثل بطل أوبريت موسيقي يحرص على مظهره وأناقته، كان "رونالدو" مخلصًا لرغباته. كانت أنانيته خلال المباريات مربكة ولكنها فعالة للغاية.

أما خارج وقت التدريب والمباريات، فكان ينغمس تمامًا في الملذات، مع عارضات الأزياء، وفي حفلات العربدة، حتى إن صورة ظهرت له ذات يوم وهو يتأبط ذراع متخنث. وكلنا يعلم أن الحب أبدي، ولكن بشرط أن يدوم. لذلك بدا أن خلود "رونالدو" انتهى سريعًا.

وصف الصحفي "مانويل فاسكيز مونتالبان" سمات رونالدو الفريدة من نوعها على هذا النحو:

أخشى أن يمر رونالدو عبر الحياة وعبر التاريخ من دون أن يفهم شيئًا عما كان، ولا يزال، يدور من حوله. وليس الأمر كما لو أننا نستطيع أن نعتبره مجرد محترف كرة قدم لمع نجمه والسلام. فهو لم يُظهر أي ولاء لنادٍ لعب له.

بالفعل.. إنه لم يكن حتى مخلصًا لـ"جيرزينهو"، اللاعب الفائز بكأس العالم مع البرازيل عام 1970، والذي كشف عن موهبة الصبي. فعندما أدلى "رونالدو" ببيان إعلان الاعتزال نسي أن يذكر اسم معلمه الأول. وشعر الكبير بالإهانة؛ فقد كان يعلم أن اللاعب لا يعرف سوى مراوغة اللاعبين في الملعب ويفتقر إلى كل صفة ذوقية أخرى، ولكنه لم يغفر له أبدًا أنه أغفل اسمه. لقد ودع "الظاهرة"

الجميع بالطريقة نفسها التي يلعب بها؛ من دون أن يعي أي شيء مما يدور حوله، أو حتى من يقفون حوله.

لم يكن يدرك أنه خلق لنفسه أعداء حقيقيين في كل من إيطاليا وإسبانيا. صحيح أنه لم ينتقل بشكل مباشر من برشلونة إلى ريال مدريد، أو من إنترناسيونالي إلى ميلان، لكنه كان غير عابئ بآمال وأحلام جماهير أي فريق لعب له. وبقدر ما كانت الكرة ملتصقة بقدمه، بقدر ما كان منفصلًا عنهم.

كان يشبه "بيليه" وقت أن كان في السابعة عشرة؛ البدايات نفسها. وبعد أربع سنوات، في فرنسا 1998، بدا المعلقون غير قادرين على نطق اسمه من دون أن يتبعه الوصف: "أفضل لاعب في العالم".. في كل مرة. كانوا يتوقعون الكثير منه، حتى إنه كان يرتدي موديلًا من أحذية "نايكي" لم يكن يرتديه لاعبًا غيره. وهكذا، وفي عشية المباراة النهائية، عانى توترًا عصبيًا شديدًا وأصيب بتشنجات عصبية بدت مثل نوبة صرع قبل المباراة بساعات. وفي البلاد التي عرفت العالم حقوق الإنسان، أجبروا "الظاهرة" على أن يلعب رغمًا عنه، فكان مثل زومبي. بذل جهدًا، ولكنه كان تائهًا في استاد "دي

فرانس"، ولا يبدو أنه أدرك أن فريقه انهزم بثلاثية نظيفة في النهائي. وكانت معجزة في حد ذاتها أنه بقي على قيد الحياة.

ولكن ما مدة صلاحية مهاجم قادر على أن يعصف بأي دفاع في آخر ثلاثين ياردة من الملعب؟ أو إلى متى يمكن أن يدوم سليمًا في ملاعب إيطاليا، حيث ارتكاب الفاولات هواية مفضلة؟ كان من المستحيل أن يتخطى الكثير من المدافعين هناك من دون أن تترك أقدامهم بصماتها على ساقيه. وهكذا، وفي 21 ديسمبر 1999، سمع جميع من كان في المدرجات يومها صوت طرقعة ركبة "الظاهرة" وقت أن كان يلعب للإنتر.



إصابة "رونالدو" المأساوية

دفع جسده الثمن، وسرعان ما أصبح أحد أشهر من هم على وشك الاعتزال في سن صغيرة. ونشرت الصحف صور أشعة إكس التي أجريت لركبتيه، تمامًا كما نشرت من قبل صور أول صديقة شهيرة له، "سوزانا فيرنر" أو "لا رونالدينيا".. صديقته السابقة.

ومع حلول موعد مونديال 2002، كان واضحًا أن مصير اللقب لن يتحدد بتنبؤات عبر كرة بلورية، ولكن حالة ركبة "رونالدو" هي التي سوف تحسم كل شيء. واستطاع أن يحقق عودة جديرة ببطل. حتى إنه دلل نفسه بقصة شعر مستديرة غريبة، جعلت رأسه تبدو مثل ثمرة فاكهة استوائية، ولكن أحدًا لم يسخر منها. وفازت البرازيل بكأس العالم.. بفضل صاحب تلك الرأس.

وكان ما يزال هناك متسع من الوقت ليتألق مع ريال مدريد أيضًا.. فريق الأحلام.. الجالاكتيكوس.. وفاز معه بدوري الأبطال عام 2002، وذهب إلى كأس العالم عام 2006 ليضيف إلى رصيده المشاركة في تلك البطولة. ولأن مسيرته عرفت الكثير من التناقضات، فقد قرر لها أن تنتهي مع فريق "كورينثيانز"، المنافس اللدود للفريق الذي بدأ مع حياته لاعبًا للكرة... "فلامنجو".

كانت التقلبات والصعود والهبوط في مسيرته بسبب متاعب ركبته، وكذلك طريقته في التغلب على ملل الحياة والضغوط والاكتئاب، والانغماس في ملذات حياة الليل وسط فتياته. كان الملهى الليلي بمثابة غرفة علاج نفسي بالنسبة له.

وبعد أن انتهت علاقته مع "سوزانا فيرنر"، تقدم "رونالدو" لعارضة أزياء أخرى، "دانييلا سيكاريلي". وأقيم حفل الزفاف في قلعة "شانتيلي"؛ مكان مناسب لأمير مهذب عفوي لا يمكن أن يرفض تناول طبق آيس كريم يقدم له.

وخلال نهائيات كأس العالم 2002، التقى جرسونة برازيلية في أحد مطاعم طوكيو وانتهى بهما الأمر وهي أم لطفل منه (ليس نتيجة لقاء في المطعم، بالطبع، على الرغم من أنه كان سيصبح أمرًا مناسبًا تمامًا لشخص كان متعجلًا دائمًا). وفي عام 2010، قرر تجنب كل محاولة لجعله أبًا من جديد، فأعلن عن تعقيم نفسه في مؤتمر صحفي!

كانت حياة رونالدو الخاصة كتابًا مفتوحًا أمام الجميع، وأنهكت جسده بقدر ما أنهكته الملاعب. حتى إنني أشك في إذا ما كان في حياته صفحات خاصة لم يطلع عليها أحد.

وفي يوم عيد الحب من عام 2011، لخص "رونالدو لويس نازاريو دي ليما" مأساته الخاصة بهذا الشكل: لقد أدرك أن عقله أقوى من جسده، ولو أنه أدرك ذلك في بداية مسيرته، لربما انتهى به الأمر إلى جوار نجوم أمثال "دي ستيفانو"، "بيليه"، "مارادونا"، "كرويف"، أو "بكنباور"،

كانت تبدو الكرة بين قدميه مثل طفل يركض خلف عربة آيس كريم؛ لم يكن هناك من سبيل لإيقافه، لفرط قوته أو ربما طغيان رغبته. كان مثل كائن "ترايتون" أو "سيناتور" خرافي.. كان "الظاهرة".

وبرغم أنه مولود في العام نفسه الذي ولدت فيه "شاكيرا"، فإنه كان يشبه شخصية من حقبة مختلفة، في عصور قديمة تعرف الساحات والمصارعين. وعاش جنون كرة القدم بالطريقة الوحيدة التي عرفها؛ أن ينهك جسده أكثر وأكثر. ومع أنه خسر معركة الجسد، لكنه انتصر في تحدي فرض الاسم.

هكذا، لن تجد لاعبًا يرتدي قميصًا يحمل الاسم "رونالدو" منفردًا مرة أخرى.



رأي حارس المرمى الإيطالي "جانلويجي بوفون" في "رونالدو"



كريستيانو رونالدو.. نقد ساخر عنيف

في هذا العصر الذي تسوده العصبية والشكوك، يصبح الحديث بنقد ساخر نوعًا من الصخب المسرحي المتبجح العنيف. في البداية كان يُعرف أن أصل الخطب النقدية الساخرة كان أخلاقيًا ولم يكن عدوانيًا على الإطلاق؛ على الأقل بالنسبة لخطباء مثل "سينيكا" و"سيسرون" و"إبيكتيتوس". كانوا مهذبين وهم ينتقدون أي شخص علنًا.

أتحدث هنا عن "كريستيانو رونالدو". هناك الآلاف ممن يصرخون بالشتائم لتنهال على نجم ريال مدريد في كل ملعب يلعب فيه. فهل يمكن لنقد أدبي لاذع من النوع الفلسفي أن يؤثر فيه أكثر؟ إن انتقاد لاعب فاز بـ"البالون دور" مع فريقين مختلفين

مهمة خاطئة من الأساس. مظهره وشخصيته، بالإضافة إلى الكم الهائل من المال الذي يكسبه، أمور تعيق أي تفكير منطقي واضح. ودومًا ما كانت الوسامة والمظهر الجميل مثارًا للحسد، ويبدو أنه وصديقته الروسية يتعمدان تذكيرنا بذلك باستمرار.

أجدني أمام نموذج نادر للغاية من النرجسية. فعندما يستعد "كريستيانو" لتسديد ركلة حرة، فإنه يتجهز بأن يأخذ تلك الخطوات المسرحية الرشيقة؛ وكأنه ينبهنا إلى أن هناك أمرًا مثيرًا وخاصًا على وشك الحدوث، ثم يقف ساكنًا، وقد باعد بين ساقيه، ويشبه تمثالًا لنفسه. إنها وقفة تليق بالإله "أبولو". ولكن هل كل هذا لازم في الواقع لتسديد ركلة حرة بشكل أفضل؟ بالطبع لا. ولكن جذب الانتباه لنفسه هو طريقته النرجسية للتركيز.



ركلات "كرستيانو رونالدو" الحرة

يريد "سي آر 7"، كما يحب أن يطلق عليه، أن يعتقد الناس أنه كائن لا يخضع لقوانين البشر الطبيعية، أو أنه أقرب إلى "سايبورج" أو شبه ملاك؛ مخلوق مختلف بقصة شعر مختلفة.

أحيانًا ما تأتي تصرفاته صادمة، ولكن ماذا في ذلك؟ فإن للغرور حضورًا في الثقافة الجماهيرية. ولو كان "ميك جاجر" رجلًا متواضعًا، لانتهى الحال بفرقته الموسيقية وهي تعزف داخل أحد الجراجات بكل بؤس.

يقول من هم حول "كريستيانو": إنه شخص طيب يهتم بغيره، بل هو ساذج إلى حد ما، بعقلية لا تفكر إلا في مسار واحد؛ كرة القدم هي الشيء الوحيد الذي يهتم به؛ فلا يهمنا إن كان يقف أمام المرآة معجبًا بوسامته أو إن كان يقضي وقت فراغه في مداعبة الكلاب؛ ليس لنا أن نحكم عليه إلا وهو في أرض الملعب.

لا يمكن لأي لاعب في كرة القدم الحديثة أن ينافس "كريستيانو" في كماله الرياضي؛ إنه يتحرك بكل سرعة ورشاقة، وينفذ ويصقل النصيحة التي أسداها له العدّاء "يوسين بولت" عندما التقيا في إنجلترا. وهو يجيد التسجيل بالقدمين والرأس تمامًا، فيذكرك ب

"جابرييل باتيستوتا" أو "أوليفر بيرهوف". كما أنه مراوغ بامتياز ومن النوعية التي تبتكر الجديد في المراوغات.

تتجمع كل هذه الصفات لتشكل ما يسميه الألمان - بكل دقة تسمح بها لغتهم - "كرافت باكيت".. أو مصنع القوة. فلو كان رياضيًا أولمبيًا، لحصد العديد من الميداليات الذهبية في كل لعبة يشارك فيها. لكن كرة القدم أكثر من مجرد رياضة. وتكمن عظمة "كريستيانو" فيما يتجاوز حالته الجسدية الرائعة، بل في عقليته التي لا يمكنك أن تكتسبها مهما مكثت في صالات الجيم.

لقد صنع روائع كرة القدم لاعبون من قبيل "جارينشيا" الأعرج، و"ليونيل ميسي" القصير، و"رونالدو" البدين، و"تستاو" ضعيف النظر، و"دينو زوف"، حارس المرمى الإيطالي الذي لم يكن يتحرك كثيرًا حول مرماه ولكنه حمى عرينه بامتياز. تلك نوعية من العظمة تتحدى أية معايير طبيعية لتقييم تلك العظمة. فكيف يمكنك أن تضع معيارًا لترقيصة أو تمريرة ذكية أو لحاسة سادسة داخل الملعب؟ كيف تضع مبادئ للإحساس بالمكان، والتحرك المثالي، أو توقع ما يوشك الخصم أن يفعله؟

من وجهة نظر "كريستيانو"، تعتبر كرة القدم رياضة الأداء العالي، حيث يكون للمستوى البدني الفذ أفضلية على أي شيء آخر، وهو غير قادر على التماهي مع زملائه من اللاعبين الآخرين، ولا يجد انعكاسًا لشخصيته إلا في موضوع رغبته؛ الكرة. وبينما يعود الفضل إلى "كرويف" في تعريف الجمهور بأهمية التمريرة المتقنة، وأن حركة الكرة هي الشيء المؤثر والأهم في المباراة. يسعى "سي آر 7" لفرض عكس ذلك، حيث يريد أن يكون هو العنصر الأشد جاذبية والأكثر تشويقًا في الملعب، وليس حركة الكرة.

ينسى أنه يشارك في أحد أغرب نماذج التفاعل البشري. في عالم تعاني فيه العائلات فشل العلاقات، وتكشف لنا العلاقات بين سكان العمارة نفسها عن غرائب طباع بني البشر، تأتي كرة القدم لتقترح شيئًا غير عادي في عصرنا؛ أن بوسع البشر - الأحد عشر لاعبًا - أن يتعاونوا ويتحدوا في كيان واحد.

يشارك "كريستيانو" في المباراة وكأنه طفل مدلل تميز من بين جميع أفراد العائلة. واشتهر عنه أنه لا يحتفل بأهداف لم يكن له يد - أو قدم بالأحرى - فيها؛ ودائمًا ما يهتم بإنجازاته الفردية على حساب الفريق، فلا عجب أن يلقبه زملاؤه "آنسياس"، التي تعني المتلهف. فتعطشه للنجاح يبدأ من عنده وينتهي معه.

في موسم 2011-2012، تم ترشيح "كريستيانو" لنيل جائزة "بالون دور". وقرر "فلورنتينو بيريز"، رئيس ريال مدريد، ألا يذهب إلى حفل توزيع الجوائز في مونت كارلو، لكن غريمه "ساندرو روسيل"، رئيس برشلونة، حضر. وفاز "ميسي" باللقب في ذلك العام، وشعر "كريستيانو" أنه قد أهين. وفي المباراة التالية للفريق، ضد "جرانادا"، سجل هدفين لكنه لم يحتفل بهما. وعندما سئل عن ذلك، قال إنه حزين "لأسباب مهنية".

نجم كرة القدم الكبير يكسب الملايين، ويخصص بعضًا من هذه الثروة لضمان سعادته؛ فمن بنود عقده المسلم بها أن يعكس الجمهور مدى رضاه وسعادته. لذا، يكون عليه إظهار ذلك مع كل هدف يحرزه. ومن حق أي إنسان أن يشعر بالاكتئاب أحيانًا، لكن اكتئاب "كريستيانو" يتخذ شكل اللا مبالاة بكل من هم حوله، ولكن بطريقة احترافية. لا يزعجه إن خسر فريقه، ولكن إذا لم يقدّره الاتحاد الأوروبي ورئيس ناديه بالقدْر نفسه الذي يثمن به نفسه، فعليهم أن ينتظروا منه كل جحيم.

عندما حضر "كريستيانو" إلى ريال مدريد، كان "جوزيه مورينيو"، المدير الفني الأكثر إثارة للجدل في كل العصور، وكان يختار لاعبي الفريق ويفضل أولئك الذين يمثلهم الوكيل "خورخي

مينديز". وكان لذلك الوكيل تأثير كبير ولافت داخل هذا الكيان الرياضي. ومن أجل تهدئة التوتر في صفوف الفريق وتعزيز سلطته وسطوته، كان "مورينيو" يتعمد في بعض الأحيان انتقاد نجومه علنًا أو يخرجهم من التشكيلة الأساسية. وعندما قام بذلك مع "كريستيانو"، كان رد فعله عنيفًا داخل غرفة الملابس. وأبدى "سيرجيو راموس" و"إيكر كاسياس" مساندتهما له؛ فقد قرر كباتن الفريق الوقوف بشجاعة في وجه الطاغية. فماذا كان تعليق "أبولو البيرنابيو" على هذا الموقف؟ استدعى وكيله وطلب منه التحدث إلى "مورينيو" نيابةً عنه. وهكذا تفاوض "مينديز" مع "مورينيو"، وفاز بحصانة لـ"كرستيانو"؛ تم حل المشكلة (بالنسبة لـ"كريستيانو" طبعًا، أما بقية الفريق.. فليذهب إلى جحيم "مورينيو").

وفي عام 2014، عندما نال "البالون دور" الثانية، فاجأ العالم بدموع الامتنان. لقد أظهرت تلك البادرة جانبًا إنسانيًا فيه، لكن الحقيقة هي أن إنجازه الشخصي هو الذي حرك فيه تلك المشاعر القوية.

عندما سألوا الفرنسي "إيريك كانتونا" عن أفضل شيء فعله على أرض الملعب، اختار تمريرة بعينها؛ في تأكيد على جماعية اللعبة. فحتى اللاعب المعجزة يكون في أشد حاجة إلى بقية أفراد الفريق. وعندما حقق "مارادونا" ملحمته الشهيرة في مونديال 1986، وحطم

كرامة لاعبي التاج البريطاني، فقد أمكنه ذلك بفضل زميله "خورخي فالدانو" الذي كان دوره هو إشغال دفاع المنافسين، والتمويه عليهم وإفساح مجال أكبر لانطلاقات "مارادونا".

لكنني أرى في انتقاد مظهر "كريستيانو" أو شخصيته أو فريقه أو حتى الأموال التي يكسبها والسخرية من ذلك مبررًا. فهذا الرياضي البرتغالي الهائل يتحدانا أن نصل إلى أشد مستوى من النقد. وعليك أن تعلم أن ليس هناك من لاعب زامَل "كريستيانو" وتحسن مستواه أو صار أفضل. إنه الأناني الفذ الذي لا يعرف لمفهوم الثنائيات مكانًا في أفكاره. لقد تفوق البرازيلي "كاريكا" على نفسه عندما زامل "مارادونا"، ولم نعرف "ريفيلينو" إلا بعد أن لعب جوار "بيليه". أذكر هنا كلمة ابتكرها الشاعر البرازيلي "فينيسيوس دي مورايس" من وحي كلمة "كلودوالدو" العامية لدينا والتي ربما تعني "على الإيقاع نفسه"، أي أن تتحسن بفضل براعة من معك. لقد ابتكر كلمة "إيفيرالدو"؛ بعد أن شاهد الثنائي "إيفالدو" و"رونالدو" يلمع في ملاعب البرازيل.

ومن عجيب المفارقات أن أكثر لاعب كرة استفاد من صفات "كريستيانو" هو "ليونيل ميسي". فتلك التنافسية المريرة مع لاعب

واحد، والقتال على تحطيم الأرقام الفردية من كل نوع، هي التي حفزت النجم الأرجنتيني ووصلت به إلى مستويات تجاوزت الخيال.

كانت مثالية جسد "كريستيانو" مرآة لأنانيته في الملعب. مع أن أعظم السحرة يحتاج إلى مساعدين.

هناك لوح برونزي مثبت عند قاعدة تمثال الحرية، منقوشة عليه أبيات قصيدة كتبتها "إيما لازاروس" لترحب بالمهاجرين الذين تركوا بلادهم وجاؤوا وهم لا يحملون معهم سوى آمالهم:

هلموا إليّ أيها المتعبون والفقراء،

والجموع الحاشدة التواقة إلى استنشاق الحرية،

والبائسون المهملون الذين يملؤون شطآنكم.

أرسلوا أولئك المشردين الذين تعصف بهم الزوابع إليّ،

فأنا أرفع مصباحي عند البوابة الذهبية

أولئك اللاعبون المحترفون الذين تركوا بلادهم ليركلوا الكرة في بلاد أجنبية لا يختلفون عن هؤلاء المهاجرين. إن لعبة كرة القدم نموذج ديمقراطي حالم، وسبيل إلى التغلب على البؤس والطغيان ومنح الجميع فرصة للحياة. ولا يمكن أن يكون فيها مكان للأنانية والغرور،

قدمت لنا اللعبة نماذج أنارت الطريق لغيرهم من ورائهم.. "مارادونا"، "دي ستيفانو"، "بوشكاش"، "كرويف".. "بيليه". ولن تجد أيًا من هؤلاء النجوم اعتمد على موهبته وبراعته ورشاقته وسرعته وحدها، وأتاح كل نجم منهم فرصة النجومية لكل زملائه من حوله.

رأيي أن لا مكان لـ"كريستيانو رونالدو" في هذه اللعبة الجماعية التي غمرتنا بسحرها وأعاجيبها.. إنه يمارس رياضة فذة فريدة منفردًا، حتى وإن كان يفعل ذلك فوق أرض الملعب نفسه الذي تقام عليه مباراة لكرة القدم.



لحظات "كرستيانو رونالدو" الأنانية



"ليونيل ميسي".. بشائر في الطفولة

قبل وقت قصير من مشاركة "ليونيل ميسي" في أول مباراة نهائية له في مسابقات الشباب، أُغلق باب الحمام عليه، ووجد الطفل الذي لم يتمكن أي مدافع من إيقافه يجد نفسه وجهًا لوجه أمام قفل لا يستطيع فتحه. كانت المباراة على وشك الانطلاق وظل "ليو" يضرب الباب ضربات متتالية مرة بعد مرة، ولكن أحدًا لم يسمعه. كانت جائزة الفوز بهذه البطولة الخاصة هي أعظم ما يمكن أن يتخيله الصغير؛ دراجة!

كان يمكن للبعض في مثل هذا الموقف أن يركن إلى الدموع ويستسلم، بينما كان آخرون سينتشون من السعادة لمجرد عدم

اللحاق بالمباراة، وهنا يظهر الفارق، حطم "ليو" النافذة وقفز منها متوجهًا إلى ملعب المباراة، وكان ينتابه الشعور بأن أحدًا لا يمكنه إيقافه خلال مباراة النهائي هذه، وبالفعل، سجل هاتريك خلال المباراة وحصل العبقري على الدراجة.

لقد تحدد مصير "ميسي" مرتين على الأقل. فقد وُلِد لأم تسمى "سيسيليا" وأب يسمى "خورخي" في "روزاريو" بمقاطعة "سانتا في الأرجنتين، حيث كان يوم ميلاده يوافق عيد القديس حنا عام 1978، ولكن مجيئه سبقته نبوءة على طاولة المناقشات "طاولة جولدمان" التي عقدت في مقهى "إيل كايرو"، وترأسها أعظم رسام كاريكاتير وكاتب وهو "روبرتو فانتاروسا".

الأرجنتين مصنع حقيقي للاعبين الأفذاذ الموهوبين، الذين كانوا مثار أحلام وموضوع حكايات أشد جماهير الكرة شغفًا في جميع أنحاء العالم.

بعد قراءته لما صدر عن "ماسيدونيو فرنانديز"، الكاتب الأرجنتيني الشهير، بأن الحياة ما هي إلا حالة تشتيت لانتباه الشخص لينشغل عن التفكير في الموت، كتب "فونتاناروسا" قصته القصيرة "جنة أرجنتينية"، والتي فيها قليل من الأصدقاء يتحدثون

عن كرة القدم بينما يتناولون اللحم المشوي. ثم يتخيلون فجأة أنهم ماتوا، وهو ما كان سبب سعادتهم جميعًا حيث إنهم اعتقدوا أنه لو أنهم ماتوا وهم يأكلون اللحم المشوي ويتناقشون حول المباريات فهذا معناه أنهم الآن في الجنة بلا شك.

"روزاريو" هي مدينة "سيزار لويس مينوتي" و"مارسيلو بيلسا"، اثنان من عظماء المستطيل الأخضر. ولكن، ما من مكان آخر في العالم يمكن أن توجد فيه فئتان من المشجعين الذين لديهم تلك المرارة التي لا تذوب.

لم تطلق عليهم تلك الألقاب عبثًا؛ حيث اشتهر نادي "روزاريو سنترال" باسم "كانيللاس" أو "الحثالة" بينما اشتهر نادي "نيوويلز أولد بويز" باسم "ليبروسوس" أو "المصابون بالجذام".

ذات مرة، ذكرت لسائق التاكسي في بونيس آيريس أنني كنت في مباراة بين "بوكاجونيورز" و"ريفر بليت"، فأجابني قائلًا:

- فماذا إذن، هذا لا يعني شيئًا.

ثم أردف قائلًا:

- في الحقيقة يكره بعضُنا بعضًا.

من الواضح أنه كان من "روزاريو".

إذا كانت روح "بامبلونا" تتضح من خلال سباق "سان فيرمين" للثيران، وإذا كانت "ريو دي جانيرو" هي الكرنفال، فإن "روزاريو" تتباهى بمهرجان "حمامة بوي". ففي 19 ديسمبر 1971، قفز "الدو بوي"، قلب هجوم "روزاريو"، في الهواء ليضرب الكرة برأسه متجاوزًا حارس مرمى "نيوويلز"، ليحرز هدفًا نال به فريقه البطولة. وهم يكررون تلك اللحظة التاريخية الرائعة يوم 19 ديسمبر من كل عام. وقد قال "بوي" عند اعتزاله: "ليست لدي أي مشكلة في أن أفعل هذا.. المشكلة في أن أتمكن من ذلك".

في مدينة "تشي جيفارا" و"فيتو بايز"، وغيرهما من المنشقين والمتمردين، كان "ليونيل ميسي" يبلغ من العمر خمسة أعوام فقط عندما بدأ في التألق بالكرة بين قدميه. كانت لديه مقدرة فريدة من نوعها، لكنه لم يكن يسخرها ليستفيد منها وحده ولكن لتحقيق حلم جماعي.

في البداية، انتقل "ليو" إلى "جراندولي"، فريق بلدته المحلية "باريو". كان أول من تولى تدريبه في هذه المرحلة هو "سلفادور أباريسيو". عندما بلغ "أباريسيو" ستين عامًا، كان قد مر من تحت يده عدد لا

يحصى من اللاعبين على البساط الأخضر. لم يكن حجم الصبي الصغير كبيرًا، ولكن عندما رآه "أباريسيو" يتحكم في الكرة، كانت نصيحته الفنية موجهة للآخرين فقط وهي "عرقلوه" حيث كان بإمكان "ميسي" أن يعدو بطول الملعب دون أن يفقد الكرة من بين قدميه.

لم يكن "البرغوث" وقتذاك ماكينة أهداف صغيرة كما نعرفه اليوم، بقدر ما كان دوره هو إفساح الطريق لزملائه أمام المرمى وإشغال دفاع الخصم وكأنه عاصفة تهب على الملعب، حتى يتسنى لأحد الهدافين تسديد الكرة في المرمى.

نشاهد في مقاطع الفيديو التي يظهر فيها "ميسي" الصغير لمحات لـ"ميسي" الذي نعرفه اليوم؛ التألق نفسه في الجري في أنحاء الملعب، التغيير المفاجئ نفسه في الإيقاع، والفرحة الغامرة نفسها عندما كان يسجل. وكما قال المحلل النفسي المكسيكي "سانتياجو راميريز": "يتحدد مصير المرء في الطفولة".

عندما كان في الثامنة من عمره، كان زملاؤه يضعونه في وسط الصورة التي يلتقطونها في المدرسة. اكتسب الكاريزما بسبب موهبته في مداعبة الكرة، وكذلك بسبب تلك اللمعة الماكرة في عينيه. كان خجولًا، قليل المزاح، ولكنه كان لا يمانع في عمل المقالب.

تقول والدته: إنه كان مدللًا، يحبه من يراه. لكن هذا لا يعني أن القدر لم يكن يخبئ له بعض الاختبارات والمحن في مسيرة حياته.

كانت حياة "ميسي" كلها مسألة حجم؛ كان في الثامنة من عمره عندما بدأ والداه يشعران بالقلق من حجمه. كشفت الفحوصات والتحاليل أنه يفتقر إلى أحد هرمونات النمو. كان هناك علاج، لكن تكلفته كانت تقدر بألف وخمسمائة دولار شهريًا وهي تكلفة لا يتحملها الوالدان. قدمت شركتان في "روزاريو" دعمهما في هذا الصدد، حيث وجد "ليو" نفسه مضطرًا أن يحقن نفسه مرة في كل يوم، وهو ما يعكس تحليه بعقل لا تجده عادة لدى طفل دون سن العاشرة. ومنذ ذلك الحين، كان الشيء الوحيد الذي فاق مهارته هو ما يتحلى به من العزيمة والإصرار.

بعد عامين، جفت الموارد المالية التي كان يستعين بها لجلب الحقن، ورفض "نيويلز أولد بويز" تحمل التكلفة. سافرت عائلة "ميسي" إلى بونيس آيرس لعل "ريفر بليت" يضمه. كان الأصغر حجمًا بين الأطفال الذين كانوا يخضعون للتجربة والاختبار، وآخر من ستتم الاستعانة به في المباراة، كانت ما تزال هناك دقيقتان فقط للذهاب، ولكن "ليو" تمكن من ترك بصمته. "من والد هذا الطفل؟"

خرج السؤال من بين شفتي مدرب الشباب المسؤول في ذلك اليوم، تقدم "خورخي ميسي" إلى الأمام كرد منه على السؤال، نظر إليه المدرب قائلًا: "فليبق معنا".

لكنه لم يحظ بإبرام أي عقد أبدًا. لم يشأ النادي صاحب القميص ذي الخطوط الحمراء الدخول في مفاوضات مع "نيويلز" حول انتقال اللاعب أو تحمل التكاليف الطبية، من أجل اللاعب، هو موهوب بلا شك، ولكن ليس هناك ما يضمن ما قد يصير إليه حاله فيما بعد.

كم يود ميسي لو أمكنه البقاء في موطنه "روزاريو"، حيث تتقدم السفن البطيئة نهر "بارانا"، وحيث يوجد أصدقاؤه الذين يحتفلون معًا بكل حدث تشهده البلدة. تمثل الروابط العاطفية والوجدانية أمرًا جيدًا للاعب كرة قدم. ليس هناك أي شخص أكثر حماسًا من لاعب في الفريق نفسه الذي يشجعه.

كان "خوان رومان ريكيلمي" واحدًا من أعظم لاعبي كرة القدم الذين كان يشعرون بعاطفة الرغبة نفسها في البقاء بمدينته، حيث كان يشعر بأنه في بيته عند لعبه في ملعب "بوكا" الذي يبعث فيه الحيوية والنشاط، حتى أنه عندما ارتدى قميص فريق آخر فقد جميع مواهبه وقدراته. أراد "ميسي" السير على الدرب نفسه وأن

يظل في بلدته الأم ولكن قدره أراد له التنقل من مكان إلى آخر، ولكن قدره كان على النقيض من "ريكلمي".

وفي عام 2000، اجتاز "ليو" البحر متجهًا إلى برشلونة (أو مدينة البلوجرانا كما يحلو لمشجعيه أن يسموه) ليجرب حظه هناك. والبلوجرانا "أكثر من مجرد نادٍ"، فهل يعني هذا أنهم سيتبنون الصبي الواعد القادم إليهم من "روزاريو" وملأه الفضول؟!

كانت هناك عدة صعوبات لدى وصوله إلى كاتالونيا، حيث كان المدرب، "كارليس ريكساس"، مسافرًا إلى سيدني. أقام "ليو" ووالده في ضيق لمدة أسبوعين في فندق يطل على "بلازا دي إسبانيا"، إحدى الساحات الشهيرة هناك. انتابهما شعور بأنهما قد تعرفا إلى المنطقة أكثر مما أرادا، وكانا ينظران بحسد إلى الحافلة الزرقاء التي تقل لاعبي برشلونة، ولم يعودا يرغبان في البقاء أكثر من ذلك وكانا على وشك العودة من حيث جاءا إلى أن وصلتهما رسالة تقول: "ريكساس يعود في اليوم التالي".

ويقولون إنه عندما كان "ريكساس" يتولى تدريب أندية في اليابان، لم يكن متأكدًا أي من الفريقين اللذين يلعبان هو الفريق الذي يدربه. وفي يوم لقائه مع "ميسي"، وصل متأخرًا ومشتت الذهن كالعادة.

ولكنه تعرف في الملعب بسهولة إلى اللاعب الأرجنتيني الصغير، وصاح: "تعاقدوا معه على الفور"، دون تردد ولو للحظة. ولم يكن بالرجل الذي يمكنك الشك في كلامه، ثم أردف قائلًا: "لقد قضى خمسة عشر يومًا في برشلونة، وكان يوم واحد يكفي!".

ولكي يريح بال الأسرة، وقع المدرب أصغر وأدق العقود حجمًا على الإطلاق، حيث قام بتاريخ 14 ديسمبر 2000 بتناول منديل من على البار وحرر وعدًا بالاهتمام بالصبي. وقد كان ذلك العقد على المنديل يتمتع بالقوة والحجية القانونية شأنه في ذلك شأن العديد من الصلوات التي تؤدى على "مونتسيرات"؛ الجبل المقدس في كاتالونيا، وما زال هذا العقد محفوظًا حتى الآن بمكتب "جوزيف ماريا مينجويلا"، مدير التعيينات بالنادي، ويعرض اليوم كقطعة فنية قيمة للغاية.

وفي 1 مارس 2001، تم توقيع عقد حقيقي، وانتقلت عائلة "ميسي" إلى برشلونة لتساند البرغوث.

وأحد أكثر التحديات صعوبة في حياة لاعب كرة القدم المحترف قدرته على التكيف مع العزلة، والمكوث في الفنادق يعاني الملل والسأم. ويزداد الأمر صعوبة عندما يكون اللاعب صغير السن جدًا وبعيدًا عن بيته، كما هو الحال مع اللاعب الذي نتحدث عنه. وبعد

حرمانه من أوقات تسليته المعتادة وتناول الطعام من يدي والدته، نظر "ليو" إلى برشلونة كمكان يبعث على السآمة والملل تمامًا كما لو كان طفلًا يمص إصبعه.

بدأ أشقاؤه يشعرون بالاكتئاب أيضًا، فقررت أمهم العودة بهم إلى الأرجنتين، بينما بقي "ليو" هناك مع والده، ووقع عقد النادي في العام نفسه الذي مات فيه أعجوبة حديقة حيوان المدينة... غوريلا بيضاء كالثلج.



عندما هدد "ميسي" ريال مدريد للمرة الأولى

أهمية المثابرة

كان "ميسي" يتمتع بموهبة طبيعية فائقة، لكن تاريخ اللعبة يمتلئ باللاعبين الموهوبين الذين لم يحققوا شيئًا. هل كان الأمر يستحق المخاطرة بالبقاء في برشلونة، بعيدًا عن العائلة، بلا ضمانات عن كيف ستثمر الأمور؟ كثيرًا ما كان "ليو" يحبس نفسه في الحمام ليتمكن من البكاء دون أن يراه والده.

وفي إحدى الليالي، قرر "خورخي ميسي" أن الكيل قد فاض به واقترح أن يعودا إلى بلدهما. وبدا أن بابًا جديدًا على وشك أن يغلق في مهنة اللاعب. لكن "ليو" رغم أنه كان في الثالثة عشرة من عمره فقط، كان بالفعل قد أصبح خبيرًا بمواجهة الشدائد. قال الفتى الذي هرب من النافذة ليربح أول كأس له إنه يريد البقاء؛ كان جميع من يعرفونهم في "روساريو"، لكن برشلونة فيها أكاديمية "لا ماسايا"؛ أكاديمية كرة القدم التي خرّجت "تشافي"، و"إنييستا" و"جوارديولا".

كان "ليو" آخر من يصل إلى الكافيتيريا، فلم يكن يتمتع بالقدرة على خلق الصداقات والتواصل مع الآخرين. وكان يجلس في الطرف حتى لا يضطر للحديث مع أحد. حاول أن يتفادى السمك والسلطات

التي كانوا يقدمونها وبذل جهده ليتمكن من تناول الأطعمة التي يحبها (اللحم، والشيبسي، وأي نوع من المكرونة). قال عنه "ليوناردو فاشيو"، الذي ألف كتابًا ممتعًا للغاية عن هذه الشخصية الغامضة التي لا يمكن التنبؤ بأي شيء عنها: "يبدو ليو ميسي دون كرة يلاعبها بين قدميه، كنسخة باهتة بلا روح من اللاعب الذي يشع بالحيوية الذي نحبه ونعرفه جميعًا. أو كممثل سيئ لشخصية ميسي الحقيقية". وقد كانت هذه هي الحال من أول يوم له في "لا ماسيا"، كان يتألق مشعلًا ساحة الملعب، وفي خارجه يظهر عليه علامات الشرود والملل.

كان "ريكساش" سخيًا للغاية بالتعاقد مع لاعب لن يلعب أبدًا له. لكنه لم يمكث طويلًا بما يكفي ليشهد ظهور "ميسي" الأول من على دكة البرسا.

حاز "فرانك ريكارد" على ذلك الشرف، الذي طور من مهارات "ميسي" بسرعة قياسية ودعمه عند أول إصابة خطيرة له. لعب "ميسي" لـ "جوارديولا" بعد "ريكارد"، الذي كان يفهم ويقدر قيمة الشباب في كرة القدم أكثر من أي مدرب آخر؛ لقد كانت لديه خبرة

شخصية رائدة في تجربة "ماسيا"، حيث جرب معاناة العزلة الذي لا يعوضها إلا النوم مع إطلالة مشهد مدرج "كامب نو" من نافذتك.

كان أول عمل لـ"جوارديولا" في الملعب على الإطلاق هو كجامع للكرات، وقد شق طريقه من هناك ليصبح مدير النادي. وفي بداية موسم 2009 – 2010، كان واعيًا بالعوائق في فريقه الرياضي. قال: "سنستخدم الأطفال"، في إشارة إلى "سيرجيو بوسكيتس" و"بيدرو". مع وجود "جوارديولا" على الدكة كمدرب، كان من المؤكد حصول "ليو" على مكان.



"رونالدينيو" مع "ميسي الصغير"

أصبح ميسي أكثر اللاعبين إثارة للإعجاب على الكوكب، وهو في سن 26 عند كتابة هذه السطور. ومع توالي المباريات، بدأ يظهر كيف أن لعبه يخالف المنطق، وكيف أن القدرة الجسدية ليست بالضرورة العامل الحاسم؛ حيث لم يعجز من أن طوله 5.6 أقدام وأحرز ضربة رأس ساحقة تسببت في فوز فريقه في نهائي دوري

الأبطال، متغلبًا على الحارس الأسطوري الضخم لفريق مانشستر يونايتد "أدوين فان دير سار".

سمته المميزة هي استلام الكرة أمام منطقة الجزاء ثم التوقف لحظات قبل الانطلاق بسرعة كبيرة على جانب الملعب تاركًا المدافعين خلفه ليصوب مباشرة على المرمى. بالرغم من أنه أحرز أهدافًا أصبحت علامات في تاريخ كرة القدم؛ حيث كان السبب في فوز برسا بالكأس الأوروبية بمهارة رائعة ضد الأرسنال حين رفع الكرة لنفسه - ليس مرة واحدة بل مرتين - في منطقة الجزاء، قبل التغلب على الحارس المرتبك وخداعه.



هدف "ميسي" التاريخي في شباك الأرسنال

طرح "هيرنان كاسياري" تشبيهًا لا ينسى: "ميسي" كالكلب الذي لن يترك لعبته الإسفنجية أبدًا. رغم أن الكلب يكون سعيدًا أيضًا بالمشاركة في الصراع المستمر من أجل الكرة. يسعى "ميسي" للكرة كما لو كان ليس هناك شيء آخر في العالم، متجاهلًا الركلات

والمخالفات، يستمر فقط في اتجاه هدفه الوحيد. مثل الكلب الذي يكون سعيدًا باستهلاك طاقته، فإن لاعب برشلونة رقم 10 من المستحيل على الإطلاق أن يأخذ استراحة، ناهيك عن أن يستسلم.

أحيانًا ما ينبهر الحكام بمهاراته لدرجة تنسيهم منحه الفاولات التي تنهال عليه، ولأنهم يعتقدون أنه حتى لو سقط، فسوف يكون قادرًا على إنهاء الهجوم.

هناك فيلم وثائقي لـ"بيكاسو" يرسم ثورًا أمام الكاميرا، فترى خطوط الرسمة تتطور ببراعة عالية غير مستقرة، حتى يكتمل العمل. لكن لأن الكاميرا ما تزال تعمل، لا يتوقف الفنان عند ذلك الحد ويبدأ بإضافة تفاصيل غير ضرورية. يتجاوز الحد، ولا يجرؤ المخرج على إيقافه. من يجرؤ على إيقاف العبقري أثناء تألقه؟ كذلك الحال مع ميسي. التصفير على مخالفة يبدو هجومًا مشابهًا لإلقاء شيء على المسرح أثناء حفلة موسيقية. قد يضع الخصم أشياء غير قانونية في طريق "ليو"، وترى الحكم غائبًا كليًا عن الصورة.

لقد صعد "ميسي" بكرة القدم إلى مستويات غير قابلة للتصديق، حيث يصبح الحكم واقفًا مذهولًا مسحورًا مثلنا، نحن المتفرجين: شاهد صامد على مجد عابر.



ردود الفعل المندهشة على أهداف ومهارات "ميسي"

هل هناك من أحد؟

تتناقض نقاط قوة ميسي المعروفة مع حياته الخاصة. حيث يبدو هذا اللاعب البارع غافلًا عن الإثارة أو المفاجآت التي يمكن أن تكتنف حياته الداخلية. إنه يأتي من دولة تتميز بالميلودراما أكثر من أي مكان، مع رقصات التانجو وتركيز المحللين الهائل، دولة يكون امتلاك الاضطرابات العصبية فيها وسيلة لتفسير بلاغتك، يكون لاعب تحت سن السابعة عشر قادرًا بشكل ما على استخدام مصطلحات مثل "الصدمة" و"التابو"، ومعرفة ما يتحدث عنه. لكن "ميسي" يبدو مقاومًا لغموض العقل الباطن. حاول أحد صانعي الإعلانات الدخول إلى عالمه الداخلي الحميم، بسؤاله ماذا يفعل في غرفة تغيير الملابس قبل المباريات المهمة. فجاء رده المدمر: "أمضغ لبانة".

ليس هذا فقط لأنه متحفظ، ولكنه يبدو مرتاحًا مع الصمت. عندما لا يكون في الملعب أو مع صديقته، فإنه يذهب لتسلية معينة يحرص عليها بإخلاص راهب؛ القيلولة. يستطيع أن يأخذ القيلولة لمدة ساعتين أو ثلاث بعد الغذاء، وهذا لا يمنعه من النوم لعشر ساعات في الليل.

كل شيء يقوم به خارج الملعب، يقوم به ببطء. يحكي "ليوناردو فاتشو" عن حفلة خلال فترة المدرسة الابتدائية لـ"ميسي"؛ أعطاه أحد مدرسيه "بذلة حلزون".

عبقري تسليته في الحياة هي النوم! يبدو هذا غريبًا على هذا الكوكب المحب للتظاهر، حيث يحتفل المشاهير بنجاحهم مع العارضات الروسيات، ويقضون أوقاتهم على متن يخت هائل، أو يغطون أضراسهم الأمامية بالألماس.

الطموحات المادية والروحية لـ"ليونيل ميسي" لا تتجاوز مجرد وجود كرة عند قدميه، وعائلة حوله، وامرأة إلى جانبه، وغطاء جميل للنوم تحته. أليس هذا بسيطًا للغاية؟ خاصة أننا نألف جميعًا الفكرة التربوية الدرامية أن الموهبة دائمًا ما تبرز من نوع ما من الألم؟



حياة "ميسي" بعيدًا عن الملاعب

كرّم أوسكار عام 2011 فيلمين ركزا على أرواح حساسة ضعيفة؛ فيلم King's Speech عن ملك إنجلترا المتلعثم، وفيلم Black Swan، عن "الباليرينا" التي تعاني من الانفصام. نستطيع تقبل الامتياز بشكل أسهل إذا عرفنا أنه ينبع من نوع ما من المعاناة التي كان يجب التغلب عليها: المتزلجة التي تتزلج بتألق رائع، بالرغم من أنها عمياء.

نوع ما من الألم، الجرح الضروري لظهور الموهبة، يخفف البراعة الفائضة لعبقري ما. حيث نتمتع بالنتائج وفي نفس الوقت نكون شاكرين أننا لم نضطر لنخوض كل هذا الألم المطلوب لتحقيقها.

لم ينجُ "ميسي" كليًا من المعاناة مع حقن هرمون النمو والعزلة في بداية وصوله إلى برشلونة. لكن ما يزال الأمر مستهجنًا تقريبًا أن يكون مملًا للغاية قبل وبعد صفارة البدء والنهاية. يشتكي الصحفيون: "لا

يمكن أن يكون طبيعيًا إلى هذا الحد!"، متلهفين للكشف عن الشذوذ، النزعة الغريبة، الوحي كما يُقال، الكامن في داخلك.

التوحد العاطفي هو أحد أقل الاتهامات الخطرة التي وجهها له أولئك المحققون. حيث ينظرون للاعب الأرجنتيني رقم 10 كأحمق، مثل "فورست جامب"، محطم للأرقام القياسية يحتاج فقط إلى هزة رأس من المدرب ليقوم بأشياء مذهلة على أرضية الملعب. "اجرِ يا فورست، اجرِ".

يذهب "ميسي" للنوم مع كتاب، وليست لديه رغبة برؤية تاج محل. عندما اختار وشمًا، لم يختر وجه "تشي جيفارا"، مثلما فعل "مارادونا"، بل اختار صورة لأمه. كل مرة يحقق فيها هدفًا، يشير إلى السماء إحياءً لذكرى جدته. تشكل أسرته آفاق أساطيره؛ وهذا ما يجعله طبيعيًا. هل هناك عيب يميزه؟ يميل المشاهير إلى تكريس أنفسهم للنزعة الاستهلاكية؛ وهي خطيئة يمكننا غفرانها. بالنسبة لشخص على قمة جميع جداول الإحصائيات، ما الذي يبدو أكثر طبيعية من المبالغة؟ بالتالي حب الاقتناء المبالغ فيه يجعل الشخصية المشهورة "إنسانية"؛ إنه يكدس عددًا متزايدًا من الأعمال الفنية، من الأطفال، من العارضات المذهلات، من السيارات الكلاسيكية

والقبعات عديمة الجدوى - المزيد من أي شيء أكثر من رفقائه الذين لديهم رهن عليهم دفعه.

ليصبح طبيعيًا بالطريقة الرائجة، يمكن لـ"ليو" أن يعين أخصائيًا في العلاقات العامة ليشتري أشياء باذخة باسمه. إذا امتلك ست عشرة زرافة من السيراميك بالحجم الحقيقي، فإن جميع الأسئلة حول "بساطته" سوف تختفي.

مثل جميع النجوم الذين يخصصون جزءًا كبيرًا من وقتهم لتصوير الإعلانات، لديه بديل يقوم بالتصوير تحت المطر حتى لا يصاب بالبرد. يقول "فاتشو": إن "ليو" أصبح قلقًا من أن بديله، الشخص الذي يوقع الأوتوجراف ويذهب إلى النوادي، قد بدأ يتجه نحو دائرة الاهتمام؛ إنه خجول للغاية لدرجة أن بديله يجب أن يكون كذلك أيضًا.

دعك من التلميحات المبهمة عن حفلات العربدة من حين لآخر في شقة "بورتو ماديرو" الخاصة به، وهو شيء غير مستغرب في عالم كرة القدم القديم؛ هذا غير أنه ليس معروفًا بإفراطه.

يحب الناس سؤال أنفسهم أسئلة بعيدة الاحتمال ليس لها تأثير كبير على حياتهم: "هل هناك حياة على المريخ؟".. "هل هناك إله؟".. "هل لدى ميسي عقل باطن؟"

لقد نهض بعد الكثير من العراقيل الصعبة دون شكوى لدرجة أنه بدا محصناً ضد الاضطرابات الداخلية. لكن في صيف 2011 بدأنا نرى بعض ردود الفعل العنيفة غير المعتادة. الأسد الصغير يعرف بالفعل كيف يزأر.



لحظات "ميسي" الجنونية

لغز ملعقة الشاي

بعد خسارة "كلاسيكو" الدور الأول من موسم 2010 - 2011 أمام برشلونة بخماسية نظيفة، قرر "جوزيه مورينيو" إحداث تغييرات تكتيكية حتى يمكن لفريقه العودة. برغم أنه كان قبل تلك الخسارة الساحقة قد حقق مجموعة من الانتصارات اللافتة، بعد أن جهز فريقًا عتيدًا، وكان يتقدم رأسًا برأس مع الفريق الكتالوني.

لا يميل البرتغالي للدفاع. وهو قادر على إخراج أفضل ما في أي فريق يتولى إدارته الفنية، وهو وحده من يقرر أن مسيرته انتهت مع ذلك الفريق؛ وخاصة حينما يستشعر أن الفريق لن يحقق أفضل مما حققه بالفعل. ذلك ما فعله لما كان المدير الفني لـ"الإنتر ميلان" وتغلب على برشلونة في قبل نهائي دوري الأبطال 2010.

أصبح الدوري الإسباني مرآة لبلد يعيش في أزمة؛ فلا يوجد سوى فريقان أو ثلاث فرق تمتلك فرصة المنافسة على اللقب، بينما هناك دائمًا ثماني أو تسع فرق تكافح من أجل تجنب الهبوط. لذا فإن أشد المشاعر وأكثرها حدة، وديمقراطية، هي تلك التي تتعلق بإنقاذ نفسك من كارثة محققة.

كان إعصار "الميرينجي" يمزق آمال كل الفرق في موسم 2010، ولكن لم يعرف أحد ما إذا كان بإمكانه فعل الشيء نفسه مع برشلونة. جزئيًا كانت مسألة تكتيكات؛ فالغلبة تكون لمن يجيد الاستحواذ على الكرة، في حين أن فريق مدريد اعتاد في هذا الموسم شن الهجمة الخطيرة في غضون ثوانٍ لا أكثر. لغتان متعارضتان تتواجهان في برد نوفمبر. وجميعنا يعرف ما حدث بعد ذلك: ظهر ريال مدريد في أرض الملعب في حال يرثى لها بحق، وكأنهم أشباح.



ملخص مباراة الكلاسيكو نوفمبر 2010 (5 – 0)

لقنهم البارسا درسًا. وقيل إن زوجة الإنجليزي "واين روني" التي كانت تشاهد المباراة معه في منزلهما في مانشستر، فاجأت نجم مانشستر يونايتد وهي تقفز في الهواء وتصفق فرحًا بهذا الأداء الذي تشاهده، ولحظتها قال الهداف الإنجليزي إنه شعر بالامتنان لمهنته التي يمارسها.

وكان مورينيو بحاجة إلى خطة جديدة في مباراة العودة، حتى لا يحتفل أمثال "روني" أكثر من ذلك. وهو مدرب لا يهتم أبدًا بأشياء مثل متعة الكرة والجماليات ورضا المتفرجين. وما دامت طريقته هي الرابحة في النهاية فلا يمكن لأحد مجادلته.

والخطة المدمرة تحتاج إلى شريك مساعد؛ إنه حكم المباراة. عديدة هي القرارات الصعبة التي يتعين اتخاذها من قبل هذا الرجل السريع المتعجل المسكين. لا يصعب عليه احتساب الفاولات الواضحة، ولكن المشكلة تكمن في الحركات المراوغة الماكرة التي تحدث من ورائه: شد قميص، دفعة، تمثيل؛ جميعها حركات يمكن أن تؤدي إلى تغيير نتيجة المباراة. وتعرض "ميسي" لأكثر من عشرة اعتداءات من هذا النوع خلال المباراتين.

من قبل، قال اللاعب "سيزار لويس مينوتي" محقًا: إن الفاولات المتكررة هي أهم ما يعطل إيقاع المباريات، لذلك ينبغي على الحكم أن يظهر بطاقاته للاعبين الخشنين حتى لا يترك لهم المجال لتعطيل اللعب.

كانت مباراة العودة في "البيرنابيو"، ووضع "مورينيو" مدافعًا إضافيًا في خط الوسط؛ وكلفه أن يراقب "ميسي" مثل ظله. كان الهدف هو تفادي حدوث مأساة "كامب نو". وفي خضم مباراة

تحولت إلى مهرجان للفاولات، حدث شيء لم يحدث من قبل؛ لقد غضب "ليو". وبدا مثل حيوان في قفص. واستفزه "بيبي" برأسه الحليق وهو يصيح فيه: "الآن فقدت عقلك؟".

ولكن الحقيقة أن "ميسي" كان لحظتها يستخدم عقله، ولكنه سئم كل ما يحدث له. وعليك أن ترد على من يقول لك إن "ميسي" لا يتأثر بتلك الأمور، بأن يتذكر تلك اللحظة التي شعر فيها أنه بلا حول ولا قوة.

وفقد هدوءه مرة ثانية في ويمبلي، في نهائي كأس أبطال أوروبا، ولكنه هذه المرة كان مفعمًا بمشاعر الفرحة والنصر.

في 28 مايو 2011، كانت طريقة احتفال "ميسي" بهدفه تنم عن بهجة طاغية حقيقية. وبرغم أنه اعتاد ألا يعبر عن مشاعره كثيرًا أمام الجماهير، فإن الضغوط هذه المرة كانت أكبر من أن تحتملها نفسيته.

كيف يمكنك معرفة ما إذا كان شخص معروفًا بهدوئه البالغ منزعجًا أم لا؟ قد تكون اهتمامات "ميسي" محدودة، لكنه يشعر بالضيق إذا وقف أحدهم بينه وبين تلك الاهتمامات. فأسوأ شيء لديه

هو أن يجلس احتياطيًا بينما هو جاهز بدنيًا. ولا يقتنع أبدًا بحجة الاحتفاظ به لمباراة أخرى أهم.

يقول "رامون بيسا"، الصحفي من جريدة "البايس": إنه عندما وضع "جوارديولا" "ميسي" على مقاعد البدلاء في مباراة ضد أشبيلية (كان برشلونة قد فاز في مباراة الفريقين السابقة 4 - 0)، قرر البرغوث الغياب عن التدريب التالي. ويقول "بيسا" إن زملاءه اعتقدوا أن "ميسي" مصاب بنزلة برد، أو أن شيئًا غير متوقع قد حدث له. ولكن تبين أن "ميسي" كان غاضبًا من عدم اختياره أساسيًا، وانتظر يومًا كاملًا قبل أن يتمكن من التغلب على ذلك الشعور؛ وحتى "ميسي" لا يعرف السبب وراء تصرفه ذاك.

وفي مشهد آخر، شارك في تدريب وهو يضع ملعقة بلاستيكية في فمه. وكان منظره غريبًا. حتى إن زملاءه بدؤوا يتساءلون عمن يكون قد ضايقه.. من الذي لم يمرر له؟ من الذي لعب معه بخشونة؟ من الذي لم يرجع إليه الكرة لما طلبها؟

عندما يتدرب أفضل لاعب في الكوكب وملعقة صغيرة بين شفتيه، فإن هذا يدق جميع الأجراس. كأنك أمام مغني أوبرالي يؤدي وهو يضع الترمومتر في فمه.

وما هي إلا دقائق، حتى بصق العبقري الملعقة. ها قد انتهت الأزمة، دون أن يدري أحد سببًا لها حتى اليوم.

أفضل من درس شخصية "ميسي" كان مدربه "بيب جوارديولا". تناولت معه الغداء ذات مساء من ديسمبر 2012، وكان معه صديقه "دافيد تروبا"، ومجموعة من الزملاء الصحفيين.

يحب "جوارديولا" مثل هذه الجلسات، بعيدًا عن الملعب ومنصة المؤتمر الصحفي. وهو يحب الاطلاع على ما يجري في العالم كما أنه يقرأ بقدر معقول. وبعيدًا عن صخب وتوتر كرة القدم، قال لنا: "لم أكن سعيدًا تمامًا أيام كنت لاعب كرة. كنت شديد القلق، حتى إنني كنت أتقيأ قبل المباريات، كانت مسيرة مؤلمة". يبدو أنه يفضل حياته كمدرب الآن أفضل بكثير من وقت ارتدائه القميص رقم 4. يصفه "فالدانو" بأنه "مدرب لا تفارق الكرة قدميه". يستكمل "بيب" كلامه قائلًا:

ليس لديكم فكرة عن قدر حسدي للاعبين الذين أدربهم. فأنا لم أستمتع باللعبة على النحو الذين يستمتعون به الآن. أريد أن أقتلهم.. إنهم سعداء للغاية في الملعب بسبب طريقتي.

بعض لاعبيه يشبهونه لاعبًا ومدربًا؛ ومنهم "شافي" و"بوسكيتس". بينما يستحيل أن يتخيل "ميسي" في مكان آخر خارج المستطيل الأخضر؛ إنه كائن لا يعرف سوى حاضره وشباك المرمى. يحب الأفعال التي ينفذها دون تخطيط مسبق، عفو الخاطر، ولا يصلح أن يكون مدربًا أبدًا. فماذا سيفعل عندما يعتزل؟ يظل في المنزل يتناول أطباق اللحم المشوي؟ بينما يقول "جوارديولا" إنه سيبقى مدربًا حتى الستين.

لا أحد يصل إلى لقب الأفضل في أي لعبة جماعية من دون أن يكون الفضل لزملائه في الفريق. وقد تعب "جوارديولا" حتى توصل إلى الخطة التي تتيح لـ"ميسي" كل هذه المساحة من الحرية، وجعل من "ميسي" لاعبين في الملعب.. اللاعب رقم 10 الذي يتحول إلى اللاعب رقم 9، وبالعكس.

وبعد أن عرفت برشلونة نماذج رأس الحربة الصريح، الذي يباغت ويقنص في ثوان، مثل "إيتو" و"إبراهيموفتش"، وكلاهما أتى من الدوري الإيطالي، حيث يلعب رأس الحربة دور المنقذ البطل الذي تتعلق به آمال الجماهير، صار على المدينة أن تعرف اليوم نموذجًا جديدًا؛ صانع الألعاب الهداف.. والهداف صانع الألعاب.

وفي الموسم 2010 - 2011، قدم "جوارديولا" نموذج "دافيد فيا" الذي امتلك القدرة على فتح المساحات بدرجة غير مسبوقة. كانت له حرية رأس الحربة المشاغب، ومن خلفه يمده "شافي" و"إنييستا" بالكرات. وعرف "جوارديولا" أنه بذلك تمكن من تحقيق الاستفادة القصوى من "ميسي". صار للفريق قلبان وأربع رئات.

كانت طريقة "الأزولجرانا" هي كل ما يحتاجه "ميسي"، وكذلك هي كل ما افتقده "ميسي" مع منتخبه الوطني. وبرغم ذلك، كانت الأولوية لقميص بلاده قبل أي شيء آخر. وبرغم أن "البرغوث" أثبت نفسه في إسبانيا منذ أن صار أصغر لاعب يسجل في الدوري الإسباني (في سن ستة عشر عامًا أمام فريق الباسيتي)، فإنه احتاج سنوات قبل أن يثبت أقدامه في المنتخب.

سبق أن طلب منه الإسبان تمثيل بلادهم في تلك العمر. وكان هذا يعني أنه لن يتمكن أبدًا من ارتداء قميص الأرجنتين، وكان هذا كافيًا لأن يرفض. وما هي إلا خمسة أشهر حتى استدعته بلاده الأم لمعسكر المنتخب للمرة الأولى. يكفيني هذا دليلًا على أن "ميسي" لم يفقد هويته، فهو ما يزال يتحدث بلهجة أهل "روزاريو" نفسها، ويتصرف مثلهم، بل ويخطط لأن يقضي بقية حياته هناك. فلا يجب

أن ننسى أنه قد غادر بلاده صغيرًا بالأساس لأنهم لم يجدوا علاجًا لمرضه فيها آنذاك.

ولكن سيبقى هناك حاجز بينه وبين جماهير الأرجنتين ما دام لم يفز لهم بلقب المونديال حتى الآن. ذلك ديْن سيبقى يطوّق عنقه إلى أن يرفع الكأس الذهبية. عندئذ، تتقدم الجماهير بالشكر إلى ابن البلد.



مهارات ميسي في التهديف وردود الفعل

المشهد من فوق القمة

أسوأ ما في النجاح هي الطريقة التي يلغي بها كل المتعة في الأمل والحلم في أن تصبح في يوم من الأيام ناجحًا. وبالنسبة لفريق تفيض خزانته بالجوائز، يكون أصعب ما يواجهه هو الحفاظ على الرغبة. فما المنطق في السعي نحو هدفٍ قد حققته بالفعل؟ ولذلك فعندما خسر برشلونة في بداية موسم 2010 - 2011، أمام الفريق الصغير "هيركوليز"، كان على "جوارديولا" أن يصدر نداء استيقاظ ليستمروا في الحلم.

أخبرني على الغداء ذات مرة: "ليو لا يحتاج أي حافز خاص، فهو يتنافس مع نفسه؛ لذلك فلديه دائمًا تحديات جديدة". وضرب مثالًا بسيطًا لكن كاشفًا للغاية: ففي إحدى جلسات التمرين، اندفع "بوسكيتس" نحو الكرة بتهور، مما أخرج "ميسي" من التدريب وتركه بساق مجروحة، وانتهى التدريب دون أي حوادث أخرى. بعد ذلك ذهب "بوسكيتس" إلى غرفة تغيير الملابس للاعتذار، فأشار "ميسي" إلى الجرح وبصوت هادئ قال بغموض: "هذا الجرح يقول سيرجيو بوسكيتس". فماذا كان يقصد؟ أدرك أصدقاؤه المقربون في

الفريق، مثل زميله الأرجنتيني "جابي ميليتو" و"خافيير ماسكيرانو"، ما يعنيه قبل غيرهم. فالبرغوث الأرجنتيني لا ينسى أبدًا؛ أصبح هناك ديْن الآن، دين يستطيع استغلاله. بعد بضعة أيام، بعدما نسي الجميع الأمر، هجم "ميسي" على "بوسكيتس" وأصابه ثم ابتعد بابتسامة خبيثة.. هكذا تعادل.

تعد الأهداف التي يصنعها لنفسه طريقة لقياس إصراره. عندما قال "ماوريسيو بوتشيتينو"، في أيامه كمدرب إسبانيول، شيئًا فظًا من "ميسي"، حدث بالصدفة أن كانت المباراة التالية لهم أمام برشلونة وكانت هزيمة ساحقة.. 1 - 5.. واحتفل "ميسي" بالعمل المتقن، واتجه إلى الجانب الأقرب من مقاعد الفريق المنافس في الدقائق الأخيرة من المباراة، ليثبت نفسه في مخيلة "بوتشيتينو" إلى الأبد.

وإذا احتاج لتحفيز، فقد أتاه في صيف 2010 عندما تولى "جوزيه مورينيو" القيادة في ريال مدريد. وكان تأثيره مزدوجًا، فرغم أنه قد حفز لاعبي ريال مدريد بنظرياته التآمرية المعقدة، فإنه استفز أيضًا أعداءهم اللدودين بإهاناته المستمرة.

كان واضحًا من البداية أن "مورينيو" لم يأتِ إلى إسبانيا ليشارك في مسابقة لنيْل حب الجماهير. وفي مؤتمر صحفي مبكر، أشار إلى

أنه إذا أراد الصحفيون التحدث مع مدرب لطيف، فإن "بيب جوارديولا" هو الرجل المناسب، تاركًا لنظيره مهمة الحفاظ على صورة الدوري الإسباني.

حافظ البرتغالي على وعده بأن يكون بغيضًا للغاية. واتضح أن "مو" هو مشروب الطاقة الذي كان "ميسي" يحتاجه. ورغم أنه كان سيلعب بجودة مذهلة إن لم يحضر هذا المدرب، فإن البرتغالي ساعده على أن يستعيد نشاطه وتألقه سريعًا.

وقد أدى اعتماد الفريق الزائد عليه إلى تناقض مثير للاهتمام، ففي ربيع 2011، كان "ميسي" ينافس "كريستيانو رونالدو" على لقب هداف الدوري الإسباني، وكان من المحتمل أن يستسلم "ميسي" لإغراء تسجيل الأهداف وتحقيق انتصارات فردية. ولكن تهكم "مورينيو" العنيد من نقاط قوة برشلونة قد ساعد "ميسي" على أن يصبح لاعبًا أكثر نضجًا، حيث ظل ميله للفردية داخل غرفة تغيير الملابس وحسب.

علق "مينوتي" بشكل جيد على هذا الأمر، فقد قال عن قواعد الجماعية وفقًا لطريقة "ميسي" الخاصة: "تعلم ميسي. فالتحكم في الإيقاع هو ما يحتاج إليه اللاعبون المتفردون؛ لأنهم إن لم يفعلوا ذلك

سيعرقلون الأوركسترا. وهذا ما فعله؛ كان يلتقط الكرة وكان، في كل مرة، يعزف ثلاث أو أربع نغمات على كمانه، ولكنك من حين لآخر قد يجول في تفكيرك "ما الذي كان من الممكن أن يحدث إن تنحى عن الطريق في تلك اللحظة؟" وبدأ ذلك يصبح جزءًا من تفكيره، حيث بدأ في إشراك اللاعبين الآخرين في لعبته. لقد تطور الآن، أصبح يأخذ الأماكن الأفضل ويعيد التمريرة كأنه يقول "حاول أنت أن تحرز الهدف، لا أستطيع أن أفعل شيئًا لك الآن". وقبل ذلك كان دائمًا ما يحاول أن يكسب المباراة وحده، لكنه توقف عن ذلك؛ لقد تطور. وهنا تشعر بتأثير المايسترو: ماذا كان سيحدث لهؤلاء اللاعبين من دون مدربهم "بيب"؟"

تنافسية "ميسي" تظهر في إحصائية واحدة غريبة، إنه يرتكب محاولات أكثر من اللاعبين المحترفين الآخرين. في أربع مباريات عصيبة بين برشلونة وريال مدريد، كان هو المسؤول عن أربع عشرة من مخالفات فريقه الثمانية والستين، وهي حصة غير مسبوقة للاعب بمثل مهارته في مركزه.

باختصار، هذا العبقري ذو الوجه الصبياني لا ينقصه الجوهر. فلديه انفعالاته بالرغم من أنك قد تحتاج بعض الصبر إذا أردت أن

تراها. قد لا يكون من الأفراد الذين يتفاخرون بها، كما لن تراه يلقي بتليفونه من النافذة، لكن الأشياء التي تزعجه والأشياء التي ترضيه لها تأثير على مزاجه. وفيما يتعلق بالمشاعر، كان "جوارديولا" يبحث في وجهه ساعة المباراة عن اللمعة في عينه، وشرارة الخبث، فإذا وجدها، يكون كل شيء على ما يرام.

في جنوب أفريقيا 2010، كان لديه مدرب مختلف تمامًا. فطريقة "مارادونا" على دكة اللاعبين كانت محاولة لنقل جاذبيته؛ تضمنت جلسات التدريب معه قبلات وأحضان أكثر من الكلام في التكتيك، وبذكاء، جعل "مارادونا" "فيرون" زميلًا لـ"ميسي" في الغرفة، فهو لاعب مخضرم قد يتأثر "ميسي" بتجاربه. لكن "ميسي" لم يكن هناك لذلك الهدف، فخياله يجعله لاعبًا محوريًا، ولكن ليس مكانه الطبيعي أن يفكر فيما يجب أن يفعله اللاعبون الآخرون، أو أن يختار لهم. إعطاء "مارادونا" شارة الكابتن له لم تكن خدمة له بأي شكل، ولكنها كانت محاولة أب لأن يأخذ بيد ابنه نحو مرحلة الرجولة قبل الأوان، ولكن الضغط الزائد أثر على "ميسي"، الذي كان ما يزال لديه شيئ من الطفولية في لعبه، ويطلب الدعم من وشم على جسده يذكره بأمه وجدته. "مارادونا" عرض عليه الفرصة

التاريخية في أن يصبح خليفته، لكن ذلك ليس من طبيعة "ميسي"، فقد كان مستريحًا في شرنقة "جوارديولا".. لكنه ضعف نفسيًا أمام طموح "مارادونا".

كان الموعد التالي مع القدر في البرازيل 2014. إذا فازوا هناك ستبرر الحقائق كل ما حدث حتى الآن؛ سنقول جميعاً: إن ميسي كان ينتظر حتى يكون في عرين عدو الأرجنتين الأكبر ليكسب أكبر جوائزه. كان "ليو" أكبر سنًا، الآن وقد أصبح لاعبًا في أوج اكتماله. كان في سن الثامنة عشر عندما نال لقب أفضل لاعب في كأس العالم للاعبين تحت سن العشرين عام 2005، وأحرز أول هدف له مع برشلونة. أما في العاشر من مارس عام 2007 في "البيرنابيو"، فقد أكد مكانه في القمة عندما أحرز هاتريك في الكلاسيكو.

الأرقام التي ارتداها "ميسي" تعكس مساره نحو أن يصبح أسطورة. بدأ في برشلونة برقم 30 على ظهره، أصبح 19 عندما تقدم من صفوف الشباب، وقبل التجديد لفريقه إلى الأبد ارتدى الرقم 10، ذلك القبس المقدس من "مارادونا" و"بيليه"، والذي ارتداه كصبي وهو يلعب في الزي الأحمر والأسود لنيولز الأرجنتيني.

في 2007 ضد "خيتافي"، كرر هدف "مارادونا" 1986 ضد إنجلترا نسخة طبق الأصل. وقد أكد هذا الإنجاز مهارته، كل ما كان عليه أن يفعله بعدئذ هو تكراره. طوفان الأهداف والبطولات الست التي حصل عليها مع البارسا في موسم 2009 منحه جائزة الكرة الذهبية، وعندما ذهب ليأخذ الجائزة، ابتسم مثل طفل يدلف إلى محل آيس كريم. ولكنه لم يكن راضيًا بالتوقف عند تلك النقطة، ففي 2010 عادل رقم السبعة وأربعين هدفًا الذي كان باسم "رونالدو" البرازيلي.

بعض الأرقام القياسية صعبة التصديق لم تكن قد ظهرت بعد. لقد أصبح صداعًا لفريق مدينة اشتهرت بصناعة الأسبرين، "باير ليفركوزن"، بأهدافه الخمسة ضدهم في 2012؛ وهو رقم قياسي في دوري الأبطال. وفي السنة نفسها كسر رقمًا قياسيًا استمر صامدًا أربعين عامًا: أهداف "جيرد مولر" الخمسة والثمانين في سنة واحدة. وزار "ميسي" "البومبر" بتيشيرت موقّع. أصبحت الجوائز مجرد جزء من حياة "ميسي" اليومية. بدا من الطبيعي أن يكسب جائزة الكرة الذهبية أربع مرات، مجتازًا الفائزين بها ثلاث مرات، "بلاتيني" و"كرويف" و"فان باستن".

تأثر "ميسي" بشدة عندما غادر "جوارديولا" برشلونة في 2012. المدرب الذي فعل كل ما بإمكانه ليساعده على تحقيق قدراته، حتى التخلي عن المهاجم الأوسط حتى يصبح "ميسي" لاعبين في وقتٍ واحد؛ يبدأ الحركات كجناح وينهيها كمهاجم، فقد قرر المدرب أن يرتاح بعد أربعة مواسم مجهدة، مجهدة وناجحة، بمساعدة "ميسي" كسب أربع عشرة من تسع عشرة بطولة متاحة في تلك الفترة.

لم يحضر "ميسي" مؤتمر الوداع لأنه لم يكن يريد البكاء علنًا. لكن مستوى أدائه لم ينخفض برحيل المعلم، بل في الحقيقة تحسن تحت تدريب "تيتو فيلانوفا"؛ ذراع "جوارديولا" الأيمن، والشخص المناسب لتكملة المشروع.

وإضافة لحركاته المميزة، سيتذكر الناس "ميسي" لاختراعه العديد من الأهداف ذات البراعة العظيمة، كما حدث في موسم 2009 حين أكد فوز البارسا بلقب الدوري بإحراز هدف بصدره.

وفي العاشر من أبريل عام 2013، أحدث "ميسي" ثورة في اللعب مرة أخرى. فقد كان مصابًا، ولم يستطع أن يبدأ المباراة ضد باريس سان جيرمان، ولكن مع خسارة البارسا 0-1، كان يجب أن يزجّ به في النزاع مرة أخرى. دخل بعد ست عشرة دقيقة في الشوط الثاني، وكان نزوله

نقطة التحول، تضاءل "باريس سان جيرمان" وتدفقت الحياة من جديد في أوصال "البارسا". وتغيرت الحالة العاطفية في المدرجات. تأثير "ميسي" تأثير روحاني، يتجاوز كرة القدم. وبالرغم من أنه كان يتحرك بصعوبة بسبب إصابته لكن وجوده غيّر مجريات الأمور؛ صنع تمريرة أدت لهدف وتعادل البارسا، كان ذلك جيدًا بشكل كافٍ قبل الجولة التالية. كانت المرة الأولى التي يلعب فيها "ميسي" روحيًا أكثر منه جسديًا. كانت لمحة بشكل ما لما سيكون عليه تراثه، عندما يعتزل، فمجرد ذكراه ستساعد الفريق على أن يكسب المباريات. كما قال المعلق البرازيلي "نيلسون رودريجيز": "حتى الأشباح عليها واجب تجاه فريقها". لا سبيل لمعرفة إلى أين ستنتهي به مسيرته ما دام هو في الملعب. كل ما نعرفه هو أنه لا يوجد دفاع قادر على إيقافه.

عندما يريد طفل دراجة، سيفعل أشياء كثيرة ليحصل عليها... عندما يلعب رجل كطفل يريد دراجة، يصبح أفضل لاعب في العالم.



أفضل 10 رميات فعلها "ميسي"



دماء على المدرجات

العنف في الفيفا

تعد الطريقة التي طوّقت بها الديمقراطيات الغربية الدوافع البدائية أحد أغرب الأشياء في هذه الديمقراطيات. والميدان الذي تم تطويقه هو إحدى الرياضات الاحترافية. وقد أصبحت البلدان نفسها التي تنادي بتطبيق القانون والمساءلة تقبل وجود مؤسسات تعد - بالمعنى الدقيق للكلمة- بؤرًا إجرامية. ويأتي على رأس هذه المؤسسات المؤسسة الأكثر شهرة المعروفة باسم "الفيفا".

لقد حقق الفيفا، حامي حِمى كرة القدم الأول في العالم؛ الذي لا يفقه شيئًا عن الشفافية المالية، والمتخصص في استغلال النفوذ وعقد

الصفقات المشبوهة؛ جابي الرشاوي وحليف الحكومات الأوتوقراطية، حلمه في تحويل هذه الرياضة إلى جمهورية فظّة من "جمهوريات الموز" داخل عالم السوق الحرة. وباتت هذه المنظمة الدولية، التي يتقاضى أعضاؤها أكثر مما يتقاضى أعضاء الأمم المتحدة، تُدار من قبل مجموعة من الأفراد لا يهمهم سوى تلبية رغباتهم ونزواتهم.

وقد باتت الرياضة عالمًا غريبًا يبلغ فيه العمر السياسي للمسؤولين مبلغه؛ عالمًا يمكن أن يقضي فيه "جواو هافيلانج" أربعة وعشرين عامًا على رأس الاتحاد الدولي لكرة القدم، و"أنطونيو سامارانش" 21 عامًا في إدارة اللجنة الأولمبية الدولية، و"خوسيه سليمان" أكثر من ثلاثة عقود كرئيس المجلس العالمي للملاكمة.

ويمكن النظر إلى "سيب بلاتر"، بعد سبعة عشر عامًا من توليه منصب رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم، على أنه حديث عهدٍ في المافيا الرياضية؛ مجرد مبتدئ في هذا النظام الأبوي. ولكن ذلك لم يمنعه من إساءة سمعة هذه اللعبة الرائعة. وتلقي حقيقةُ انعقاد كأس العالم القادم في روسيا وقطر؛ وقطر على وجه الخصوص، بظلالِ الشك على هذه المؤسسة التي لا تهتم كثيرًا بما يجري داخل البلدان التي تعمل بها ما دام العمل يجري على ما يرام.

إن الاتحاد الدولي لكرة القدم، الذي يحتمي خلف أيديولوجية "اللعب النظيف"، لا ينحني سوى أمام إله واحد؛ إله واحد فقط ألا وهو صفقات الرعاية. في بداية الألفية الثانية، حظرت البرازيل الكحوليات في كل استاداتها؛ غير أن الفيفا أجبرت "بدويزر" على توفيرها هناك خلال كأس العالم الأخيرة. ورغم جودة هذه "البيرة" المشكوك فيها، أعطى الاتحاد الدولي لكرة القدم "بدويزر" الضوء الأخضر كي تخالف القوانين المحلية لمجرد أنها وضعت الأموال في جيوبه باعتبارها راعيًا رسميًا.

ويبدو سجل هذه الهيئة في تطبيق القانون أشبه بمؤامرة "بورجيا". ففي عشية انعقاد كأس العالم لكرة القدم عام 1990 في إيطاليا، قامت المكسيك بواحدة من خداعاتها الرياضية العديدة وزورت تواريخ ميلاد العديد من اللاعبين حتى يتمكنوا من المشاركة في بطولة كأس العالم للشباب لكرة القدم. ورغم أن هذه الجريمة كانت في عالم الهواة، تحمل الفريق الأول عواقبها؛ إذ أُلغيت جوازات سفرهم إلى كأس العالم رغم تأهلهم بالفعل. وكان المستفيد المحظوظ من هذا هو الفريق الذي كان يلي المكسيك في الترتيب وهو فريق الولايات المتحدة الأمريكية.

لمن يدين هذا الضيف غير المتوقع بتلك الدعوة؟ لقد حيكت هذه العقوبة المثالية من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم، ليس فقط لاستبعاد المكسيك بل أيضًا من أجل "تهيئة" البيئة الأمريكية قبل بطولة كأس العالم التالية التي سوف تنظمها الولايات المتحدة الأمريكية عام 1994، إذ كان يُنظر في ذلك الوقت إلى كرة القدم في أمريكا على أنها رياضة نسائية. وحتى لا يُحدث الاتحاد المكسيكي ضجة، كُوفئ موظفوه بالعديد من الوظائف السهلة كما كوفئت شبكات التليفزيون بمجموعة من الصفقات التي يسيل لها لعاب من لا يسيل لعابه.

وقد فوجئت، أثناء تغطيتي كأس العالم لكرة القدم إيطاليا 1990 لصحيفة "إل ناسيونال"، عندما وجدت أن ثاني أكبر وفد تليفزيوني بعد الإيطالي، كان الوفد المكسيكي رغم أن المنتخب المكسيكي لم يكن موجودًا حتى يغطيه هذا الوفد إعلاميًا. ويكمن تفسير ذلك في أن الاتحاد المكسيكي لكرة القدم كان يُدار لفترة طويلة من قبل رجل يدعى "جييرمو كانيدا" كان أيضًا نائب رئيس شركة "تيلفيزا" التليفزيونية. بعبارة أخرى، قَبِلَ المسؤولون عن إدارة لعبتنا الوطنية الهزيمةَ في كرة القدم مقابل الفوز بحقوق تليفزيونية.

المسؤولون هم عبارة عن مجموعةٍ متناقضة تتصرف مثلما يتصرف أفراد العصابات غير أنهم يدعون أنهم يرتكبون هذه الجرائم لصالح الشعب. لفترة طويلة من الزمن، سيطر "خوليو جروندونا" بعلاقاته القوية على كرة القدم الأرجنتينية وكأنه "سوبرانو" واستخدم "سلوبودان ميلوشيفيتش"، الذي ارتكب جريمة الإبادة الجماعية في صربيا، أولتراس نادي "ريد ستار" بلجراد في مناورات عسكرية قمعية وتولى "سيلفيو برلسكوني"، الذي توشح بمجد نادي "إيه سي ميلان" الذي يمتلكه، رئاسةَ إيطاليا بينما كان يتشدق بنشيد الآتزوري: "Forza Italia".

في الواقع، تتسم هذه المهمة بالغرابة، إذ تقع على عاتق الاثنين وعشرين لاعبًا الذين يركضون في الملعب ويتواجدون هناك في الحقيقة فقط، حتى لا يقوم المسؤولون التنفيذيون ذوو القدرات العالية، الذين يجلسون بالأعلى في مقصورة الملعب، سوى ببعض الأعمال البسيطة فقط.



حكاية الفيفا

الجمهور: ضحية الأمل

غالبًا ما تكون سلطات كرة القدم فوق القانون. إذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن أن تتوقع هذه السلطات من المشجعين التصرف على نحو جيد؟ عند أي مرحلة سوف ينفد صبر الرجل الذي يحضر من أجل دعم فريقه؟ إذا كانت عادة الاتحاد الدولي لكرة القدم هي إغفال القانون، ألن يشعر الجمهور حينئذٍ أنه يوجد لديه ما يبرر تمامًا توليه للأمر بطريقتهم الخاصة؟

يقول "أدولفو بيوي كاساريس" في إحدى كتاباته: إن المشجع الذي يخسر ناديه دائمًا ينتظره درس رائع في قوة التحمل. فمشجعو هذه الفرق دائمة الهزيمة يتلقّوْن درسًا متكررًا في الشعور الرائع بالصبر. وتُظهر بعض الهتافات مدى شعور الجمهور بعظم سوء الحظ الذي يلازمهم مثل هتافات جمهور نادي "ريال بيتيس": "Viva el Betis, manque pierda" ("يحيا بيتيس حتى لو مهزومين") أو هتاف جمهور نادي "أطلس": "aunque gane" (دائمًا ندعمهم). إن هؤلاء المشجعين يعرفون جيدًا أن النتيجة النهائية ليست كل شيء، وأن دولاب البطولات ليس هو المكان الوحيد الذي تُحصى فيه الإنجازات. فالرياضة، من وجهة نظرهم، ترتبط

بالانتماء أكثر من ارتباطها بالفوز أو الهزيمة؛ ذلك أنهم لا يفتقرون إلى نجاحات عامة.

حتى البرازيل مرت بفترة سيئة للغاية ذات مرة، وعندما بدأت تنفض عن كتفيها غبار الهزيمة؛ وذلك بعد أن حجزت لها مكانًا في نهائي كأس العالم 1950 على أرض ملعبها، أطاحت بها الأوروجواي. آنذاك، قال المعلق الكبير "نيلسون رودريجز" إنهم يعانون من "عقدة كلب الشوارع" لذلك لن يستمتعوا أبدًا بقيلولة الانتصار التي يستمتع بها كلب المنازل.

وبعد هزيمة البرازيل في موقعة "الماراكانزو"، غيرت البرازيل القميص من اللون الأبيض المعتاد، كأنها أردات أن تغير جلدها للتخلص من اللعنة التي تلازمها. بدأت البرازيل، بعد هذا التغيير وارتداء الزي الأصفر والأزرق والأخضر، في حصد بطولات كأس العالم الواحدة تلو الأخرى. الفكرة هي أن جميع هذه الانتصارات جاءت مدفوعة بمحاولات وتحمل وجهد قاعدة المشجعين التي خسرت كل شيء لعدة عقود - كل شيء عدا الأمل.

ويمكن قول الشيء ذاته عن عقدة ضحايا برشلونة والطريقة التي انتهى بها الأمر عندما اتخذ "يوهان كرويف" مكانه على مقاعد

الاحتياط. وقد نتج عن الهزائم الكثيرة التي لحقت بـ"البلوجرانا" قيمة مضافة تمثلت في هيمنته لفترة من الفترات.

ولكن هل تحتوي كرة القدم على أي مفاتيح محددة يمكن من خلالها فهم العنف بصورة عامة؟ في الواقع، كرة القدم لا تؤدي إلى العنف بل تقضي عليه من خلال "جيش غير مسلح" كما كان يحب الكاتب الإسباني الذي لا ينسى "مانويل فاسكيز مونتالبان" أن يقول دائمًا.

إذن كيف يمكن تفسير اندلاع العنف من حين لآخر في الملاعب؟ عالم كرة القدم في الحقيقة عالم متناقض يقوم فيه أولئك الأشخاص الذين يضعون القواعد بأي شيء يمكنهم فعله من أجل المراوغة وتفادي الجوانب القانونية. وفي الوقت نفسه، تطالب الجمهور بالتحلي بالصبر الجميل. هؤلاء الأشخاص الذين يجلسون بالأعلى لديهم القدرة على عرض لاعب للبيع -لا بشكل تعسفي تمامًا حتى إذا كان المشجعون يحبون هذا اللاعب - وعلى تلطيخ سمعة قميص النادي بإعلانات مشكوك في أمرها، وتوقيع الاتفاقات التي تجبر الفريق على السفر إلى الصين في جولة مرهقة للاستعداد للموسم الكروي الجديد، وقبول الصفقات التليفزيونية الضخمة التي تضطر الفريق إلى لعب ثلاث مباريات في الأسبوع (الوصفة المثالية للإصابات).

إن المنطق الذي يغلب على من يعتَلُون سُدَّة المقصورات يختلف من المنطق الذي يسيطر على الجمهور الذي يجلس في المدرجات. لذلك فنحن أمام عالمين متناقضين يغلب عليهما التوتر ويزيد من حدة تأججهما الصراعات الاجتماعية والكوارث الرياضية. وباعتبارها مرآة للمجتمع، تقصر كرة القدم الأعمار وتطيلها خارج الملعب. في عام 1969، تزامنت الحرب بين هندوراس والسلفادور مع مباراة بين هذين البلدين، ولم يكن أحد يفكر في النتيجة النهائية. لم تكن الحرب التي اندلعت بسبب ما جرى على أرض الملعب بل بسبب العلاقات المسمومة بين هذين البلدين المتجاورين.

هذا هو الحال عادة عندما يتعلق الأمر بعنف كرة القدم. فالكارثة التي وقعت في ملعب "هيسل" قبل مباراة نهائي دوري أبطال أوروبا عام 1985 التي عُقدت بين ليفربول ويوفينتوس ارتبطت بالاضطرابات الشديدة التي كان يعانيها المجتمع الإنجليزي، والتي كانت أيضًا سببًا في إثارة الشغب، أكثر من ارتباطها بأي شيء آخر حدث على أرضية الملعب أو بركلة الجزاء التي سجلها "بلاتيني" لصالح يوفينتوس.



أحداث شغب استاد "هيسل" عام 1985

ملاعب تحت الرقابة المشددة

تشير حوادث العنف التي شوهت ملاعبنا إلى وجود أزمة. فاللحظات التي يتصرف فيها المشجعون بتناغم مع غيرهم من المشجعين تسمح بتخفيف حدة التوترات غير أن هذه التوترات لا ترتبط بالضرورة بتصرفات هذا الجمهور. من وجهة نظر "أورتيجا إي جاسيت"، تمنح الرياضة البشر عطلة من المدنية. فالقليل من البدائية يمكن أن يلطف بصورة كبيرة من ضغوط الحياة العصرية، والحشود التي تتجمع حول الملعب في مباراة كبيرة تعود بنا بصورة أو بأخرى إلى تلك الحشود القبلية التي كانت تتجمع منذ بدايات جنسنا البشري.

في الواقع، لا يوجد شيء عدواني في هذا الأمر ما دام التعبير عن هذه العواطف لا يغادر أرض الملعب. فالمشجع الذي تزين وجهه الرسومات، والذي يردد ما يردد من هتافات، ليس شخصًا عنيفًا في

حد ذاته؛ ذلك أنه يقبل النتيجة مهما كانت، ولا يفعل أي شيء سوى الصياح بكل ما أوتي من قوة من أجل التأثير على نتيجة المباراة.

إن المشكلة تكمن في أن بعض هذه الهتافات لا تقتصر على طرد الهواء المشبوب بالعاطفة من الرئتين وحسب، بل تطالب بالانتقام الفعلي خاصة إذا كانت هذه الهتافات عنصرية أو قومية أو معادية للأجانب أو النساء أو المثلية الجنسية. وقد أصبحت بعض أشكال التمييز، بسبب وجود العديد من أنواع التعصب المختلفة في العالم شأنها شأن اختلاف أنواع البشر، أصبحت دقيقة للغاية؛ فجمهور أحد الأندية الذي يقع في أحد الأحياء تدفعهم العاطفة إلى مناداة الجانب المنافس، الذي يقع ملعبه في الجهة الجنوبية من الشارع نفسه، بـ "الأفارقة".

ولم يتساهل المسؤولون التنفيذيون، للعديد من السنوات، مع الأولتراس في بعض الأندية وحسب بل دعموهم أيضًا. إذا كان المسؤولون عن اللعبة لا يستطيعون أن يكونوا أمثلة يحتذى بها في الاستقامة، فكيف سيكون المشجعون كذلك؟ إذا كان أولئك الذي يحيطون "ميسي" يتهربون من الضرائب من أجل "مصلحة" لاعب دافعه الوحيد هو إحراز الأهداف، فأي نوع من السلوك يمكن توقعه من المشجعين الذين يتلقون الإعانات؟

في الواقع، يمكن إيقاف بعض المهووسين عن طريق فرض التدابير الرقابية والتحكمية غير أن القضية الحقيقية ليست كذلك؛ ذلك أن رصد التغيرات الضرورية التي تطرأ على مجتمع يصدر منه سلوكيات مثل القيام بإشارات فاشية خلف المرمى أو إلقاء القاذورات في أرض الملعب يعد أكثر أهمية من رصد هؤلاء الأشخاص الذين صدرت منهم هذه السلوكيات؛ إذ لا يمكنك إيقاف السرطان عن طريق تعاطي الأسبرين.

إضافةً إلى ذلك، يمكن أن يؤدي الإفراط في الرقابة في النهاية إلى التأثير بالسلب على شغف الناس باللعبة. مرحبًا بك في عالم الأخ الأكبر الذي يمكن فيه اعتبار بعض الإيماءات أو الهتافات "خطيرة" حسب وجهة نظر الضابط المناوب.

في المجموعات العنيفة، يدخل العنف، سواء كان لفظيًا أم ماديًا، ضمن نطاق قوانين معينة؛ ما يوفر بدوره شعورًا بالانتماء. هؤلاء الأشخاص غير مصابين بأي فيروس غريب، تبِع فقط سلوكهم، الذي قد يكون مؤذيًا، منطقًا معينًا. بالطبع، لا يوجد شيء يسمى سوء سلوك دون سياق، فأي شخص "يسيء التصرف" كجزء من مجموعة يصبح مشمولًا بهذه المجموعة؛ وذلك يعد بالنسبة له شيئًا

فائق الأهمية، شيئًا أكثر أهمية بالنسبة له من هذا السياق. بصورة عامة، ليس هناك علاقة بين رسم وشم يشبه الصليب المعقوف ومراعاة مبادئ الاشتراكية القومية، بل قد يكون مجرد تقليد لواحد من الأصدقاء رسم وشمٍ بالفعل يشبه الصليب المعقوف سواء كان ذلك بسبب اضطرابه أم جهله أم انحرافه أم ببساطة بسبب سذاجته. لا أحاول تبرير رفع الشعارات اللا عقلانية غير أنه يجب بذل محاولة لفهمها فعليًا.

إن كرة القدم هي أكثر منظومة متشعبة على وجه الأرض. الملايين من البشر يحبون نواديَ معينة، أو كما هو الحال مع برشلونة، يحبون كيانًا يطمح إلى أن يكون "أكثر من مجرد نادٍ". هذا الرأسمال الرمزي عالي القيمة يتعرض للمخاطرة عندما يتوقف الفريق عن تمثيل جمهوره. وهنا تكمن أخطر مشكلة في كرة القدم الحديثة؛ عندما تتصرف السلطة وفقًا لأهوائها الخاصة، يبدأ المشجعون في الشعور بأنهم مفوضون للبحث عن أشياء أخرى يمكن أن تميزهم، وقد تشمل العنف.

إن الملاعب المكتظة والمليئة بالكاميرات وضباط الشرطة تعد آخر انتصار للسلطوية التي تحكم اللعبة؛ إذ سوف تتوقف إراقة الدماء

في المدرجات فحسب عندما يخضع الاتحاد الدولي لكرة القدم والسياسيون والشركات المرتبطة بهذه الرياضة للقواعد الديمقراطية. فقط عندما تخرج هذه النسور التي تحلق داخل اللعبة من دائرة "الأنواع المحمية" (وهي العبارة المناسبة التي تعود إلى الروائي "فيران تورنت")؛ فقط عند هذه النقطة يمكن أن تتوقف إراقة الدماء في المدرجات.



تصفيق تشجيعي لمشجعي أيسلندا

طفولة للبيع

استخدم "أندريه مالرو" مصطلح "عصر الرياضة الغريب" للإشارة إلى تلك الحقبة التي أصبح فيها الترفيه عبارة عن منافسات كبرى.

إن صناعة الرياضة باتت ناجحة لدرجة أنها أباحت القيام بالأشياء السيئة باسم الخير. وحولت صناعة الرياضة - بحجة خلق عقول سليمة داخل أجسام جميلة – نفسَها إلى وسيلة مربحة للغاية من الجريمة المنظمة.

لقد قدمت اللجنة الأولمبية الدولية جبهة مثالية إلى ذلك الأوتوقراطي المطلق "خوان أنطونيو سامارانش"، إذ لم تفتضح اختلاساته إلا بعدما ابتعد عن الحلقات الأولمبية. أما "سيب بلاتر"، فقد فضحته الصحافة المرة تلو الأخرى، ومع ذلك لم يقلل ذلك من رغبته في جمع الأموال حتى من آخر عشبة من أعشاب الملاعب.

وقد قرر اللاعب السابق "لويس فيجو" عدم المشاركة ضد "بلاتر" في انتخابات رئاسة الاتحاد الدولي لكرة القدم مشيرًا إلى أنه لن يشارك أبدًا في انتخابات ضد أحد زعماء المافيا.

يصف الاتحاد الدولي لكرة القدم نفسه بأنه منظمة لا تهدف إلى الربح. ويمكِّنه هذا الوصف الذاتي المثير للسخرية من التعتيم تمامًا على شؤونه المالية؛ وهي طريقة كان يسعد بها "آل كابوني". فمجرد ارتكاب بعض الجرائم لا يكفي، بل يجب عليك أيضًا تفادي دفع بعض الضرائب.

إن الحاجة إلى تجديد الملاعب دائمًا ما تطلق العنان لسلسلة من المصالح التي يمكن أن تؤدي إلى مشاريع هائلة مثل تلك التي نُفذت في "ماناوس". أي شخص كان يظن أن مسرح الأوبرا القديمة الذي أقيم في تلك المناطق البعيدة من الأمازون كانت ضربًا من الجنون يجب أن يلقي نظرة على الاستاد الذي أقيمت فيه منافسات كأس العالم هناك في ذلك المكان الذي لا يلعب فيه أي نادٍ من أندية الدرجة الأولى. لقد أصبح هذا المكان الآن ملعبًا للإغوانات.

سوف تتكرر مثل هذه الحالات ولكن على نطاق أوسع في قطر التي سوف تستضيف كأس العالم 2022. ولم يكن يعرف "هنري ميلر" عندما كتب كتابه "كابوس مُكيّف الهواء" أنه يصف بوضوح وصول كرة القدم إلى رمال الشرق الأوسط الغنية بالنفط.

ونظرًا إلى أن الدوري القطري لا يحتاج إلى العديد من الملاعب، تتمثل الخطة في بناء صروح يمكن تفكيكها وبيعها إلى بلدان أخرى. هل يمكن أن يوجد شيء أكثر جلبًا للأموال أكثر من تنظيم قمة كرة القدم العالمية في بلاد لا تنتج أرضها إلا النقود؟

تعرف الفيفا جيدًا أنه يوجد شيء يسمى "القانون"، لذلك تبدأ في إيجاد طرق للالتفاف عليه. ويعلم الجميع أن امتلاك مجموعة من الأطراف عدة أندية لا يمكن أن يكون أمرًا جيدًا بسبب تضارب المصالح الذي ينشأ عن ذلك. وتدين الفيفا بالفعل هذه الممارسة لكنها لا تتصرف إلا إذا طلبت أغلبية الأندية في أي اتحاد ذلك؛ بمعنى أن القانون لا يُطبق إلا بناء على طلب العملاء.

وهل يمكن أن تطلب الأندية ذلك بالفعل؟ في معظم الحالات، يمتلك أي شخص تعود إليه ملكية عدة أندية القناة التليفزيونية الوحيدة التي تبث المباريات. هل من الممكن أن يحاول أغلبية مالكي الأندية التسبب في خلافات مع الشركة التي تبيع حقوق بث مبارياتهم؟ أعتقد أن ذلك صعبًا. ما يعني أنه من الناحية العملية، يمكن أن يمتلك أي شخص أكثر من نادٍ على الرغم من أنه أيضًا يمتلك الشركة التي تبث المباريات.

في عام 2015، وللمرة الأولى في التاريخ، قامت الولايات المتحدة الأمريكية بشيء مثالي في عالم كرة القدم. لم يكن ذلك الأمر متعلقًا بقوانين كرة القدم بل بالقوانين المالية؛ إذ فتح مكتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقًا ضد ممثلي الفيفا بتهمة غسل الأموال. وقد اتهم مكتب التحقيقات الفيدرالي سبعة من كبار المسؤولين في "الكونكاكاف" بتلقيهم رشاوَى على مدى خمسة وعشرين عامًا. وقد كان ذلك بمثابة دليل قانوني على شيء لطالما تحدث عنه الصحفيون.

من وجهة نظر المؤمنين بنظرية المؤامرة، لم يكن التحقيق الذي أطاح بـ"بلاتر" وحاشيته يتعلق في الواقع بنص القانون، وإنما كان بمثابة تحرك من جانب الولايات المتحدة الأمريكية للسيطرة على هذا المشروع الذي تتزايد أرباحه عامًا بعد عام؛ ذلك أنه من شأن "نوافذ الفرص" أن تفتح مصراعيها عليهم لا محالة إذا ما تم تفكيك الشبكة التي تتحكم في "الكونكاكاف".

بوضوح، في الوقت الذي يبذل فيه اللاعبون قصارى جهدهم ويتصببون عرقًا في أرض الملعب، يجلس في المقصورات أولئك المتورطون في الاتجار بالبشر. لقد كشف "بلاتر" في رده على مكتب التحقيقات الفيدرالي عن نزعته الاستبدادية؛ إذ لم يزعج نفسه بالاستقالة وكانت وجهة نظره بشأن هذه الفضيحة أنها "قضية إقليمية"، وأنه يمكن

تسويتها بطريقته الخاصة. ومع ذلك، أظهرت الرشاوَى ذات الصلة، عندما تم تحليلها، ميولًا واضحة، ولكن عندما تم التحقيق في السلوك التصويتي للمتهم، جاءت جميعًا في صالح "بلاتر".

ووقف المستبد السويسري في الانتخابات وفاز بسبب غياب "فيجو" الذي كان يعارضه. وكان "ميشيل بلاتيني"، رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، قد دعاه بقوة إلى التنحي، ولكن دون جدوى. الشيء الوحيد الذي دفع "بلاتر" إلى الدعوة إلى انتخابات جديدة (على الرغم من أنه لم يفعل ذلك إلا في فبراير 2016) كان توجيه اتهامات جديدة إلى المسؤولين الذين تم اعتقالهم، والإعلان عن التوصل إلى خطوط جديدة في التحقيقات.

كم يختلف ذلك عن وداع لاعب كرة قدم عظيم! في صيف عام 2015، عرَّف "تشافي هيرنانديز" الذي ربما يعد أفضل لاعب كرة قدم إسباني على الإطلاق، وظيفته بعد رحيله عن برشلونة على أنها "كرة يتراكضون في الملعب خلفها". كلمات رائعة من لاعب عظيم. وتحت اسم هذا التصور، يجري الاتحاد الدولي لكرة القدم صفقاته التجارية.

في الفن والرياضة على حد سواء، نعود بعقولنا إلى الطفولة؛ إلى ذلك الفضاء الذي كانت فيه المعجزات الكبيرة ممكنة. الشيء المؤسف هو أن الفيفا قد عرضت هذه الطفولة للبيع.



تآمرات كأس العالم

مستقبل اللعبة

"التقدم إلى الخلف"

في محاولة من الفيلسوف "كولاكوفسكي" لشرح بعض الظواهر الاجتماعية، اقتبس من قائد الترام في مدينة "وارسو" القديمة عبارة "تقدموا إلى الخلف!" الذي اعتاد على الصياح بها في وجه الركاب. فالهدف ليس دائمًا في الأمام.

لقد تمكن مرض الحداثة من كرة القدم. وما بدأ لعبةً أصبح ينتمي الآن إلى صناعة الاستعراضات. وباتت الفيفا تدير مجموعة من الملاهي تصادف أن أصبح يطلق عليها اسم "استادات كرة قدم".

إن الاتجاه الحقيقي لكرة القدم يجب أن يكون إلى الخلف بالعودة باتجاه الطفل الذي كنا عليه في الماضي، أو بصورة جماعية، نحو أصل الحياة المجتمعية؛ القبائل الأولى التي كانت تستخدم أقدامها بطرق معينة والحشود التي كانت تذهلها النيران المتوهجة والتجمعات المثيرة والخرافات. تلك الحياة المجتمعية التي تميل إلى

مساندة أولئك الذين تميز أجسادَهم بعضُ الرسومات وليس غيرهم من البشر.

ويشدد اثنان من أشهر المؤيدين لهذه الفكرة ("إدواردو جاليانو" في كتابه "كرة القدم بين الشمس والظل" و"مانويل فاسكيز مونتالبان" في كتابه "دين يبحث عن إله") على البساطة الضرورية للعبة تحكمها القليل من القواعد؛ لعبة يمكن أن تُلعب دون ارتداء أحذية؛ لعبة تتطلب من لاعبيها الحس السليم أكثر من النزعة الرياضية.

إن أفضل شيء في هذه اللعبة - التي تحولت من لعبة تركز على الترفيه إلى لعبة همها الأموال - يتمثل في العودة بأذهاننا إلى تلك الفترة التي يمكن أن يكون بها أبطال يمكن أن تفعل أشياء من أجلهم. بالمعنى الأخلاقي: يتمثل مستقبل اللعبة في ماضيها.

لكن هل من طريقة يمكن من خلالها العودة إلى كرة القدم، في شكلها المؤسسي، إلى نقطة البداية؟ في عام 2015، أظهر نهائي دوري أبطال أوروبا تباينًا مريبًا بين من يأكلون ساندوتشات الجمبري ويشربون الكونياك وبين الداعمين الأساسيين لكرة القدم.

لقد كُشف القناع عن الفيفا للتو. وحتى تلك اللحظة، كانت منصة كبار الشخصيات هي المنطقة الأقل عرضة للمخاطر في هذه الرياضة. أما الملعب، فقد كان هو المكان الذي كان يمكن أن يحدث فيه كل ما هو غير متوقع.

فنحن - المشجعين - نحب المفاجآت، ونعرف أنه لا يمكن لأحد أن يتنبأ بالطريق التي سوف تسلكه هذه اللعبة باستثناء ربما سيدة عجوز لا تهتم باللعبة، بل أغدقت عليها سيدة الحظ ببركاتها أو بول الأخطبوط الألماني الذي خمن نتائج كأس العالم 2006.

عندما التقى يوفنتوس وبرشلونة في النهائي، كانت أوضاع كرة القدم قد انقلبت رأسًا على عقب، ذلك أن جميع المفاجآت لم تعد تحدث على أرض الملعب بل في المكاتب التي يجري فيها التحقيق مع المسؤولين التنفيذيين. ربما كان ذلك هو سبب رغبة اللاعبين في إظهار أن أفضل شيء يمكنك القيام به في الأوقات التي تمر فيها القيم بأزمات هو الإيمان بالتقاليد. وبفضل قانون تعويضي غامض، تجنب داعمو مسابقة صفوة أندية اللعبة كلَّ تلك الشكوك. وفي الوقت الذي كانت فيه نظرية الفوضى وحدها هي التي يمكن أن تفسر الطريقة التي تُحاسب بها الفيفا، كان المتسابقون النهائيون يتبعون نموذجًا

كلاسيكيًا. فقد شاركوا، لمدة تسعين دقيقة، في مغامرة منظمة تمامًا. كان المنطق الذي يغلب على لوحة النتائج في تناقض مباشر مع تلك المجموعات غير المتوقعة التي تجلس بالأعلى في المقصورات.

لم يصعد أي من الجانبين في نهائي برلين عن طريق الخطأ، إذ فاز كل من "اليوفي" و"البرسا" بالدوري والكأس في مسابقاتهما المحلية. الفائز هنا لن تكون المرة الأولى له. ورغم ذلك، كانت برشلونة هي المرشح الأبرز، وحدث كل شيء كما كان متوقعًا تمامًا، وفاز الفريق الكتالوني بثلاثة أهداف مقابل هدف واحد.

لقد شهدت اللعبة انعكاسًا رمزيًا؛ فالتطورات المفاجئة أصبحت في المكاتب، وليس في منطقة الجزاء. وقد أكّدت برشلونة ويوفنتوس أن التقاليد ما تزال موجودة وجيدة، إذ قاما بما كان متوقعًا تمامًا.

ربما كانت تلك إشارة إلى أن مستقبل اللعبة يكمن في أصولها أو بعبارة أخرى في أولئك الذين يلعبونها. بالطبع، لن نعود إلى تلك الفترة التي كانت تُغسل فيها قمصان الفريق من قبل أم فقيرة من الطبقة العاملة، والتي لم يكن يتقاضى فيها اللاعبون أجورًا نظير لعبهم، غير أنه بات من المُلحِّ للغاية الآن أن يوضع القرار في أيدي أولئك الذين يقفون بأنفسهم جنبًا إلى جنب مع عشاق الهتافات

المدوية؛ أولئك الذين يعرفون مدى المعاناة داخل غرفة خلع الملابس؛ أولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم بالفعل من أجل الفريق. الآن، من الممكن أن يخلف "ميشيل بلاتيني" "بلاتر". و"لويس فيجو" أيضًا لديه الفرصة بأن يصبح شخصية مركزية مرة أخرى.

إن صناعة تعتمد على الاتحادات التليفزيونية، والحرب المقدسة بين "نايكي" و"أديداس"، والرباط القوي بين الرعاة والوكالات الحكومية التي تدير بطولات كأس العالم لا يمكن أن تتَّسم بالنزاهة الكاملة، لكنها من الممكن أن تحمل شَبهًا أقرب لما يحدث على أرض الملعب. يجب على الأشخاص الذين يديرون اللعبة محاكاة اللاعبين بالطريقة نفسها التي يحاكي بها اللاعبون طفولاتهم.

هذه الصرخة التي كان يدوي بها قائد ترام "كولاكوفسكي" تستحق التذكر من جديد؛ لأنها تتضمن مفتاحًا اجتماعيًا. فمصير كرة القدم أصبح شأنه شأن ركاب هذا الترام؛ يجب أن "يتقدم إلى الخلف!".



أفضل لاعبي 2017

الفهرس

صدر من سلسلة #كتب_مختلفة:

1. أرامل الخميس	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
2. اسمي نور	إلسا أوسوريو	الأرجنتين
3. كلي لك	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
4. بيتي بو	كلاوديا بينيرو	الأرجنتين
5. مشروع روزي	جرايم سيمسيون	أستراليا
6. لأننا في مكان آخر	رشا خيَّاط	ألمانيا
7. قصص بسيطة	إنجو شولتسه	ألمانيا
8. الثلاثة	سارة لوتز	إنجلترا
9. الموت والبطريق	أندري كوركوف	أوكرانيا
10. تاتي	كريستين دوير هيكي	أيرلندا
11. شركة الحب المحدودة	أندريه سنار ماجنسون	أيسلندا
12. جريمة الساحر	أرني ثورارينسون	أيسلندا
13. الحب لم يعد مناسبًا	ميلا فينتوريني	إيطاليا
14. حذارِ من جوعي	لوتشانا كاستيلينا	إيطاليا
15. سارق الجثث	باتريسيا ميلو	البرازيل
16. السيمفونية البيضاء	أدريانا ليسبوا	البرازيل
17. نيزك في جالفايش	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
18. مقبرة البيانو	جوزيه لويس بايشوتو	البرتغال
19. صانع الملائكة	شتيفان بريجش	بلجيكا
20. فندق الغرباء	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
21. مخاوف السبعة	سلافيدين أفيدتش	البوسنة
22. جامع الكتب	جوستابو فابيرون باترياو	بيرو
23. أبسنت	أيفر تونش	تركيا
24. أحلام محطمة	بيولانت سينوكاك	تركيا
25. ارحل قبل أن أنهار	تونا كيرميتشي	تركيا
26. امرأة صديقي	تونا كيرميتشي	تركيا
27. توباز	هاكان جنيد	تركيا
28. خطايا الأبرياء	برهان سونميز	تركيا
29. ديستينا	ماين كيركانات	تركيا

30. الشيطان امرأة	هاندي ألتايلي	تركيا
31. الصلوات تبقى واحدة	تونا كيرميتشي	تركيا
32. جريمة في البوسفور	أسمهان أيكول	تركيا
33. لون الغواية	هاندي ألتايلي	تركيا
34. مينتا	سولماز كاموران	تركيا
35. نساء إسطنبول	مجموعة قصصية	تركيا
36. الموت في بابل.. الحب في إسطنبول	إسكندر بالا	تركيا
37. حدث في كراكوف	بيترا هولوفا	التشيك
38. حُفِظت القضية	باتريك أورشانديك	التشيك
39. ديتوكس	سوزانا برابتسوفا	التشيك
40. سرادق طائر البطريق	إميل هاكل	التشيك
41. كافكا	فرانز كافكا	التشيك
42. المواطن فانيك	فاتسلاف هافل	التشيك
43. جرائم براج	ميلوش أوربان	التشيك
44. المبعدون	أوجنين سباهيتش	الجبل الأسود
45. العقل المدبر	دافيد أوجنر	جواتيمالا
46. امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
47. خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
48. ربيع البربر	يوناس لوشر	سويسرا
49. كرافت	يوناس لوشر	سويسرا
50. الحياة هنا	ميرال قريشي	سويسرا
51. بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
52. رحلة الانتقام	جوو دا شين	الصين
53. سبع ليالٍ في حدائق الورد	بي ماي	الصين
54. النجمة الحمراء	يركسي هولمانبيك	الصين
55. رقصة الكاهنة	جين رن شون	الصين
56. بنات الصين	بي ماي	الصين
57. الربع الأخير من القمر	تشيه زيه جيان	الصين
58. المغفلون	إريك نويوف	فرنسا
59. المجاعة البيضاء	أكي أوليكانين	فنلندا
60. النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
61. القنّاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا

62. الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
63. صانع الزجاج	إيرميس لافازوناوفسكي	مقدونيا
64. إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
65. صيف بارد جدًّا	روي ياكوبسن	النرويج
66. دكان الساري	روبا باجوا	الهند
67. جوي سبيدبوت	تومي فيرينيجا	هولندا
68. العشاء	هيرمان كوخ	هولندا
69. المنزل الصيفي	هيرمان كوخ	هولندا

صدر من كتب عامَّة:

70. الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتر	ألمانيا
71. قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
72. هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
73. الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
74. الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
75. يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
76. خيالات الشرق	إيسا دي كيروش	البرتغال
77. ضد الانتخابات	دافيد فان ريبروك	بلجيكا
78. أوروبيانا	باتريك أورشادنيك	التشيك
79. قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
80. النشوة المادية	جي. إم. لو كلوزيو	فرنسا
81. لن أمنحكم كراهيتي	أنطوان لاريس	فرنسا
82. جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
83. الجري	ثور جوتاس	النرويج
84. عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا
85. اللعب مع الكبار	يوريس ليونديك	هولندا

يصدر قريبًا: من سلسلة #كتب_مختلفة:

العنوان	المؤلف	البلد
86. النقطة صفر	ناريك ماليان	أرمينيا
87. القادم متأخرًا	ديميتري فيرهولست	بلجيكا
88. ثلاثة على الطريق	تونا كيرميتشي	تركيا
89. ورشة الشيطان	جاتشيم توبول	التشيك
90. خريطة آنا	مارك سينديلكا	التشيك
91. الألفية في بلجراد	فلاديمير بيستالو	صربيا
92. التطهير	صوفي أوكسانين	فنلندا
93. لم يبقَ أحد	أندريس فورجاتش	المجر
94. هذه هي الأسماء	تومي فيرينيجا	هولندا

يصدر قريبًا: من سلسلة كتب عامَّة:

العنوان	المؤلف	البلد
95. بوكو حرام	فولفجانج باور	ألمانيا
96. القرصان الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا

#كتب_مختلفة #المكسيك



حصل الكتاب على الجائزة الوطنية للصحافة "باثكيث مونتالبان" عام ٢٠٠٦

هل أنت مجنون بكرة القدم؟ هذا الكتاب لك!
يتناول الروائي والصحفي "خوان بيورو" في هذا الكتاب إلى أي مدى يصل جنون الساحرة المستديرة من خلال مواقف ونماذج وأهداف تاريخية، بعضها عاشها شخصيًا بنفسه وبعضها يرويها بشكل عام. كما يحلل في بعض الفصول تأثير كرة القدم على حياة الكثيرين من خلال مقارنتها بالعديد من المواقف الحياتية والقصص الأدبية. فتشعر للمرة الأولى أنك لا تقرأ تحليلًا رياضيًا لكرة القدم بل تقرأ رواية أدبية تسرد جنونها وتأثيرها على العالم على مدار التاريخ. ويستعين الكاتب في ذلك بتاريخ العديد من أساطير الرياضة مثل: "بيليه" و"مارادونا" و"ميسي" و"كرستيانو رونالدو".

هذا الكتاب ليس لمشجعي كرة القدم العاديين، بل هو كتاب لمتعصبيها فقط. كتاب لمَن تمثل له كرة القدم الكثير من المشاعر والعواطف والآمال والتعصب والصراعات والتنافسات. كتاب سيزيد من حماسة وشعارات كرة القدم التشجيعية لديك!

خوان بيورو

كاتب وصحفي وُلد في مدينة المكسيك عام 1956. له العديد من المؤلفات الأدبية التي تتنوع ما بين الروايات والقصص القصيرة وأدب الأطفال. كما كتب العديد من المقالات الصحفية وكذلك العديد من المقالات الأدبية التي تميز بها ومنها هذا الكتاب، بالإضافة إلى مشاركته في تأليف بعض الكتب. نال العديد من الجوائز منها جائزة "كواوتيموك" للترجمة عام 1988، وجائزة "ماثاتلان" للأدب لكتاب "تأثيرات شخصية" عام 2001، وجائزة "هيرالد" عام 2004 عن روايته "الشاهد"، وجائزة "أنتونين أرتاود" في المكسيك عن القصة القصيرة "المذنبين" عام 2008، وجائزة "ثيودات دي برشلونة"، فئة الصحافة، لمقال "اكتشاف 3000 صورة من الحرب الأهلية" تم نشرها في 27 يناير لعام 2008 في صحيفة "كاتالونيا". بالإضافة إلى تميزه ككاتب وصحفي وأسلوبه الأدبي الصحفي في الكتابة، ترجم بعض الأعمال عن الألمانية مثل "حيل" لـ"أثور شنيتزلر" و"الأمثال" لـ"جورج كريستوف ليشتنبرج" وترجم عن الإنجليزية "الجنرال" لـ"جراهام جرين".